كتاب مقامات حريري [illegible] ١٥

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

١٧٢

ط
١٥

مما انعم [illegible] العبد الفقير الى
الرضوان [illegible] احمد [illegible] المدني
محمد [illegible] المدرس [illegible] العثماني
[illegible] بجده
[illegible] الثاني
[illegible] ١١٥٦

٤٤١

قد وقف هذه النسخة المرغوبة حضرة سلطاننا اعظم السلاطين العظام
خليفة الله في العالم السلطان الغازي محمود خان
ادام الله دولته وابده الى اخر الدوران حرره العصر
الى الله الملك القدير درويش مصطفى المفتش
بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنهما

٤١٠١

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı Fatih
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No 4101

K. 4163

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان
كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء
ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة
اللكن وفضوح الحصر ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح واغضاء
المسامح كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح وهتك
الفاضح ونستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات
كما نستغفرك من نقل الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب منك
توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا

بالصدق

بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة
قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وان تسعدنا
بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا
من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن
حصائد الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة
ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ
الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه
البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ
فقد مددنا اليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا
كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل
ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت
به النبيين واعليت درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين
فقلت وانت اصدق القائلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين

إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير. وبعد فإنه قد جرى ببعض
أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه،
ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلامة همذان رحمه الله تعالى
وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها،
وكلاهما مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، فأشار من إشارته
حكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع،
وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع، فذاكرته بما قيل فيمن ألف
بين كلمتين، ونظم بيتا أو بيتين، واستقلت من هذا المقام الذي
فيه يحار الفهم، ويفرط الوهم، ويسبر به غور العقل، وتتبين فيه قيمة المرء
في الفضل، ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالب رجل وخيل،
وقلما سلم مكثار، أو أقيل له عثار، فلما لم يسعف بالإقالة
ولا أعفي من المقالة، لبيت دعوته تلبية المطيع، وبذلت في مطاوعته
جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة، وفطنة خامدة،
وروية ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله،
ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره،

إلى ما وشحتها

إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال
العربية، واللطائف الأدبية، والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية،
والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك
الملهية، مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت
روايته إلى الحارث بن همام البصري، وما قصدت فيه بالإحماض إلا تنشيط
قارئيه، وتكثير سواد طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية
إلا بيتين فذين، أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية، وآخرين
توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية، وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره
ومقتضب حلوه ومره. هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق
غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة
ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك
المسرى إلا بدلالته. ولله در القائل **شعر**

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة	بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا	بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في الهذر الذي أوردته، والمورد الذي توردته، كالباحث عن حتفه

بظلفه، والجادع مارن انفه بكفه، فالحق بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا، على اني وان اغمض لي
الفطن المتغابي، ونضح عني المحب المحابي، لا اكاد اخلص من غمر جاهل او
ذي غمر متجاهل، يضع مني لهذا الوضع، ويندد بانه من مناهي الشرع،
ومن نقد الاشياء بعين المعقول، وانعم النظر في مباني الاصول، نظم
هذه المقامات في سلك الافادات، وسلكها مسلك الموضوعات عن
العجماوات والجمادات، ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات، او اثّم
رواتها في وقت من الاوقات، ثم اذا كانت الاعمال بالنيات، وبها انعقاد
العقود الدينيات، فاي حرج على من انشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه، ونحا بها
منحى التهذيب لا الاكاذيب، وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب
لتعليم او هدى الى صراط مستقيم، نظم على انني راض بان احمل الهوى،
واخلص منه لا علي ولا ليا، وبالله اعتضد فيما اعتمد، واعتصم مما يصم، واسترشد
الى ما يرشد، فما المفزع الا اليه، ولا الاستعانة الا به، ولا التوفيق
الا منه، ولا الموئل الا هو، عليه توكلت واليه انيب

المقامة الاولى وتعرف بالصنعانية

حدث

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب، وانأتني
المتربة عن الاتراب، طوحت بي طوائح الزمن، الى صنعاء اليمن،
فدخلتها خاوي الوفاض، بادي الانفاض، لا املك بلغة، ولا اجد في
جرابي مضغة، فطفقت اجوب طرقاتها مثل الهائم، واجول في حوماتها
جولان الحائم، وارود في مسارح لمحاتي، ومسايح غدواتي وروحاتي،
كريما اخلق له ديباجتي، وابوح اليه بحاجتي، او اديبا تفرج رؤيته غمتي،
وتروي روايته غلتي، حتى ادتني خاتمة المطاف، وهدتني فاتحة
الالطاف، الى ناد رحيب، محتو على زحام ونحيب، فولجت غابة
الجمع، لاسبر مجلبة الدمع، فرايت في بهرة الحلقة، شخصا شخت الخلقة،
عليه اهبة السياحة، وله رنة النياحة، وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه،
ويقرع الاسماع بزواجر وعظه، وقد احاطت به اخلاط الزمر، احاطة
الهالة بالقمر، والاكمام بالثمر، فدلفت اليه لاقتبس من فوائده، والتقط
بعض فرائده، فسمعته يقول حين خب في مجاله، وهدرت شقاشق ارتجاله،
ايها السادر في غلوائه، السادل ثوب خيلائه، الجامح في جهالاته،
الجانح الى خزعبلاته، الام تستمر على غيك، وتستمرئ مرعى بغيك،

وحتّام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك
مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى
عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك ولا
تخفى خافية على مليكك أتظنّ أن ستنفعك حالك إذا آن ارتحالك
أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك
إذا زلّت بك قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمّك
محشرك هلّا انتهجت محجّة اهتدائك وعجّلت معالجة دائك
وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك
أما الحِمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب إنذارك فما إعذارك
وفي اللحد مقيلك فما قيلك وإلى الله مصيرك فمن نصيرك طالما
أيقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست
وتجلّت لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحقّ فتماريت وأذكرك
الموت فتناسيت وأمكنك أن تؤاسي فما آسيت تؤثر فلسًا توعيه
على ذكرٍ تعيه وتختار قصرًا تعليه على برٍّ توليه وترغب عن هادٍ تستهديه
إلى زادٍ تستهديه وتغلّب حبّ ثوبٍ تشتهيه على ثوابٍ تشتريه

يواقيت

يواقيت الصِّلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة
الصَّدُقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الألوان
أشهى إليك من صحائف الأديان ومداعبة الأقران آنس لك من تلاوة
القرآن تأمر بالمعروف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر ولا تتحاماه
وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه ثم أنشد

تبًّا لطالب دنيا ... ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غرامًا ... بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه ... ممّا يروم صُبابه

ثم إنه لبّد عجاجته وغيّض مجاجته واعتضد شكوته وتأبّط هراوته
فلما رنت الجماعة إلى تحفّزه ورأت تأهّبه لمزايلة مركزه أدخل كلٌّ منهم
يده في جيبه فأفعم له سجلًا من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك
أو فرّقه على رفقتك فقبله منهم مغضيًا وانثنى عنهم مثنيًا وجعل
يودّع من يشيّعه ليخفى عليهم مهيعه ويسرّب من يتبعه لكي يُجهل مربعه
قال الحارث بن همام فاتبعته مواريًا عنه عياني وقفوت أثره من
لا يراني حتى انتهى إلى مغارة فانساب فيها على غرارة

فأمهلته ريثما خلع نعليه، وغسل رجليه، ثم هجمت عليه، فوجدته مُحاذياً لتلميذ،
على خبز سميذ، وجدي حنيذ، وقبالتهما خابية نبيذ، فقلت له أيكون ذلك
خبرك، وهذا مخبرك، فزفر زفرة القيظ، وكاد يتميز من الغيظ، ولم يزل
يحملق إليّ، حتى خفت أن يسطو عليّ، فلما أن خبت ناره، وتوارى أواره، أنشد

لبست الخميصة أبغي الخبيصة ... وأنشبت شصي في كل شيصة
وصيرت وعظي أحبولة ... أريغ القنيص به والقنيصة
وألجأني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ... ولا نبضت لي منه فريصة
ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصة
ولو أنصف الدهر في حكمه ... لما ملّك الحكم أهل النقيصة

ثم قال ادن فكل، وإن شئت فقم وقل، فالتفت إلى تلميذه وقلت له
عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى، لتخبرني من ذا، فقال هذا أبو زيد السروجي
سراج الغرباء، وتاج الأدباء، فانصرفت من حيث أتيت، وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية وتعرف بالحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم، ونيطت بي

العمائم، أن أغشى معان الأدب، وأنضي إليه ركاب الطلب،
لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام، ومزنة عند الأوام، وكنت
لفرط اللهج باقتباسه، والطمع في تقمص لباسه، أباحث كل من جل و
قل، وأستسقي الوبل والطل، وأتعلل بعسى ولعل، فلما حللت حلوان،
وقد بلوت الإخوان، وسبرت الأوزان، وخبرت ما شان وزان،
ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب،
ويخبط في أساليب الاكتساب، فيدعي تارة أنه من آل ساسان،
ويعتزي مرة إلى أقيال غسان، ويبرز طوراً في شعار الشعراء، ويلبس
حيناً كبر الكبراء، بيد أنه مع تلون حاله، وتبين محاله، يتحلى برواء ورواية،
ومداراة ودراية، وبلاغة رائعة، وبديهة مطاوعة، وآداب بارعة،
وقدم لأعلام العلوم فارعة، فكان لمحاسن آلاته، يلبس على علاته،
ولسعة روايته، يصبى إلى رؤيته، ولخلابة عارضته، يرغب عن معارضته،
ولعذوبة إيراده، يسعف بمراده، فتعلقت بأهدابه، لخصائص آدابه،
ونافست في مصافاته، لنفائس صفاته، نظم فكنت به أجلو همومي وأجتلي
زماني طلوع الوجه ملتمع الضيا • أرى قربه قربى ومغناه غنية

ورؤيته ريّاً ومحياه لي حيا . ولبثنا على ذلك برهة . ينشي لي كل يوم زينة . ويدرأ عن قلبي شبهة . الى ان جدحت له يد الاملاق . كأس الفراق . واغراه عدم العراق . بتطليق العراق . ولفظته معاوز الارفاق . الى مفاوز الآفاق . ونظمه في سلك الرفاق . خفوق راية الاخفاق . فشحذ للرحلة غرار عزيمته . وظعن يقتاد القلب بازمّته .

فما راقني من لاقني بعد بعده ... وما شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ندّ ندّ لفضله ... ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسرّ عني حيناً . لا اعرف له عريناً . ولا اجد عنه مبيناً . فلما ابت من غربتي . الى منبت شعبتي . حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين . وملتقى القاطنين منهم والمتغربين . فدخل ذو لحية كثّة . وهيئة رثّة . فسلم على الجلاس . وجلس في اخريات الناس . ثم اخذ يبدي ما في وطابه . ويعجب الحاضرين بفصل خطابه . فقال لمن يليه . ما الكتاب الذي تنظر فيه . فقال ديوان ابي عبادة . المشهود له بالاجادة . فقال هل عثرت له فيما لمحته . على بديع استملحته . فقال نعم قوله كأنما يبسم عن لؤلؤ . منضّد او برد او اقاح . فانه ابدع في التشبيه . المودع فيه . فقال له يا للعجب

ولضيعة

ولضيعة الادب . لقد استسمنت يا هذا ذا ورم . ونفخت في غير ضرم . اين انت عن البيت النادر الجامع مشبهات الثغر ثم انشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه ... وزانه شنب ناهيك من شنب
يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه . واستعاده منه واستملاه . وسئل لمن هذا البيت . وهل حيّ قائله ام ميت . فقال ايم الله للحق احق ان يتّبع . وللصدق حقيق بان يستمع . انه يا قوم لنجيّكم منذ اليوم . قال فكأن القوم ارتابوا بالعزوة . وابوا تصديق دعوته . فتوجّس ما هجس في افكارهم . وفطن لما بطن من استنكارهم . وحاذر ان يفرط اليه ذمّ . فقرأ ان بعض الظن اثم . ثم قال يا رواة القريض . واساة القول المريض . ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك . ويد الحق تصدع رداء الشك . وقد قيل فيما غبر من الزمان . عند الامتحان يكرم الرجل او يهان . وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار . وعرضت حقيبتي للاعتبار . فابتدر احد من حضر وقال اعرف بيتاً لم ينسج على منواله . ولا سمحت قريحة بمثاله . فان آثرت اختلاب القلوب

فانظم على هذا الاسلوب • وقال فأمطرت لؤلؤاً من نرجس فسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد • فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب • حتى
انشد واغرب نظم سألتها حين زارت نضو برقعها

القاني وإيداع سمعي اطيب الخبر	فزحزحت شفقا غشى سنا قمر
وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر	فحار الحاضرون لبداهته • واعترفوا

بنزاهته • فلما آنس استئناسهم بكلامه • وانصبابهم الى شعب اكرامه •
اطرق كطرفة العين • وقال ودونكم بيتين آخرين وانشد •

واقبلت يوم جد البين في حلل	سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح اقلهما	غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته • واستغزروا ديمته • واجملوا عشرته •
وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية • فلما رأيت تلهب جذوته •
وتألق جلوته • امعنت النظر في توسمه • وسرحت الطرف في ميسمه •
فاذا هو شيخنا السروجي • وقد اقمر ليله الدجوجي • فهنأت نفسي
بمورده • وابتدرت استلام يده • وقلت له ما الذي احال صفتك
حتى جهلت معرفتك • واي شيء شيب لحيتك • حتى انكرت حليتك •

فانشأ

فانشأ يقول هذا الشعر

وقع الشوائب شيب	والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص	ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض	من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو اضرى	بك الخطوب والب
فما على التبر عار	في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه • ومستصحبا القلوب معه •

المقامة الثالثة وتعرف بالدينارية

روى الحرث بن همام • قال نظمني واخدانا لي نادٍ • لم يخب فيه منادٍ •
ولا كبا قدح زنادٍ • ولا ذكت نار عنادٍ • فبينا نحن نتجاذب اطراف
الاناشيد • ونتوارد طرف الاسانيد • اذ وقف بنا شخص عليه سمل •
وفي مشيته قزل • فقال يا اخاير الذخاير • وبشاير العشاير • عموا
صباحا • وانعموا اصطباحا • وانظروا الى من كان ذا ندي وندى •
وجدة وجدى • وعقار وقرى • ومقار وقرى • فما زال به قطوب
الخطوب • وحروب الكروب • وشرر شر الحسود • وانتياب النوب •

العقار الضيعة وهي الارض والدور والمساكن • وهو من العقر وهو اصل كل شيء سميت الضيعة به لانها اصل الاموال واشرفها فانها لا تفنى ولا تسرق • القرى بضم القاف جمع قرية من القرو والقرى وهو الاجتماع • والقاري من يسكن في القرية • المقاري جمع مقراة وهو الحوض سمي به لاجتماع الماء فيه ومعلوم ان الحوض لا يكون الا للاغنياء • والاولى ان يكون جمع مقراة ايضا بمعنى القصعة الكبيرة التي يضيف بها الضيف • وتسمى الجفنة ايضا • القرى بكسر القاف الضيافة • ما زال دام وثبت ولم ينفك •

السود • حتى صفرت الراحة • وقرع الساحة • وغار المنبع • ونبا
المربع • واقوى المجمع • واقض المضجع • واستحالت الحال •
واعول العيال • وخلت المرابط • ورحم الغابط • واودى الناطق و
الصامت • ورثى لنا الحاسد والشامت • وآل بنا الدهر الموقع •
والفقر المدقع • الى ان احتذينا الوجا • واغتذينا الشجا • واستبطنا
الجوى • وطوينا الاحشاء على الطوى • واكتحلنا السهاد • واستوطنا
الوهاد • واستوطأنا القتاد • وتناسينا الاقتاد • واستطبنا
الحين المجتاح • واستبطأنا اليوم المتاح • فهل من حر آس • او سمح
مواس • فوالذي استخرجني من قيلة • لقد امسيت اخا عيلة •
لا املك بيت ليلة • قال الحرث بن همام فاويت لمفاقره •
ولويت الى استنباط فقره • فابرزت له دينارا • وقلت له اختبارا • ان مدحته
نظما • فهو لك حتما • فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال • نظم

اكرم به اصفر راقت صفرته ... جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ... قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحببت الى الانام غرته

كأنما

كأنما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرته
وان تفانت او توانت عترته ... يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته ... كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته ... وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم انزلته بدرته ... ومستشيط تتلظى جمرته
اسر نجواه فلانت شرته ... وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرته ... وحق مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته ... ثم بسط يده بعد ما انشده

وقال انجز حر ما وعد • وسح خال اذ رعد • فنبذت الدينار اليه وقلت
خذه غير مأسوف عليه • فوضعه في فيه • وقال بارك اللهم فيه •
ثم شمر للانثناء • بعد توفية الثناء • فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام
سهلت علي ايتناف اغترام • فجردت دينارا آخر وقلت له
هل لك في ان تذمه • ثم تضمه • فانشد مرتجلا • وشدا عجلا نظم

تبا له من خادع مماذق ... اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوي الحقائق	يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق	ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق	ولا اشتكى الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق	وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضايق	إلا إذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق	ومن إذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق	لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما أغزر وبلك. فقال والشرط أملك. فنفحته بالدينار الثاني.

وقلت له عوذهما بالمثاني. فألقاه في فيه. وقرنه بتوأميه. وانكفأ
يحمد مغداه. ويمدح النادي ونداه. قال الحارث بن همام فناجاني
قلبي بأنه أبو زيد. وأن تعارجه لكيد. فاستعدته وقلت له قد عرفت
بوشيك. فاستقم في مشيك. فقال إن كنت ابن همام. فحييت
بإكرام. وحييت بين كرام. فقلت أنا الحارث. فكيف حالك
والحوادث. فقال أتقلب في الحالين بؤس ورخاء. وأنقلب
مع الريحين زعزع ورخاء. فقلت كيف ادعيت القزل.

وما شكك

وما شكك من هزل. فاستسر بشره الذي كان تجلى. ثم أنشد حين ولى نظم

تعارجت لا رغبة في العرج	ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي	وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت اعذروا	فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة وتعرف بالدمياطية

أخبر الحارث بن همام. قال ظعنت إلى دمياط. عام هياط ومياط.
وأنا يومئذ مرموق الرخاء. موموق الإخاء. أسحب مطارف الثراء.
وأجتلي معارف السراء. فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق.
وارتضعوا أفاويق الوفاق. حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء.
وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء. وكنا مع ذلك نسير النجاء. ولا نرحل
إلا كل هوجاء. وإذا نزلنا منزلا. أو وردنا منهلا. اختلسنا اللبث.
ولم نطل المكث. فعن لنا إعمال الركاب. في ليلة فتية الشباب.
غدافية الإهاب. فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه.
وسلت الصبح خضابه. فحين مللنا السرى. وملنا إلى الكرى. صادفنا
أرضا مخضلة الربا. معتلة الصبا. فتخيرناها مناخا للعيس. ومحطا للتعريس.

فلما خلّها الخليط • وهدأ بها الأطيط والغطيط • سمعت صيّتا من الرجال •
يقول لسميره في الرحال • كيف حكم سيرتك • مع جيلك وجيرتك •
فقال أرعى الجار ولو جار • وأبذل الوصال لمن صال • وأحتمل الخليط
ولو أبدى التخليط • وأودّ الحميم • ولو جرّعني الحميم • وأفضّل الشفيق •
على الشقيق • وأفي للعشير • وإن لم يكافِ بالعشير • وأستقلّ الجزيل •
للنزيل • وأغمر الزميل بالجميل • وأنزل سميري منزلة أميري • وأُحِلّ أنيسي
محلّ رئيسي • وأودع معارفي عوارفي • وأولي مرافقي مرافقي • وألين
مقالي للقالي • وأديم تسآلي عن السالي • وأرضى من الوفاء باللفا • وأقنع
من الجزاء بأقلّ الأجزاء • ولا أتظلّم حين أُظلم • ولا أنقم ولو لدغني الأرقم •
فقال له صاحبه ويك يا بنيّ • إنما يُضنّ بالضنين • ويُنافَس في الثمين •
لكنني أنا لا آتي غير المواتي • ولا أسِم العاتي بمراعاتي • ولا أصافي من يأبى
إنصافي • ولا أواخي من يلغي الأواخي • ولا أمالي من يخيّب آمالي •
ولا أبالي • بمن صرم حبالي • ولا أداري من جهل مقداري • ولا أعطي زمامي •
من يخفر ذمامي • ولا أبذل ودادي • لأضدادي • ولا أدع إيعادي للمعادي •
ولا أغرس الأيادي • في أرض الأعادي • ولا أسمح بمواساتي • لمن يفرح بمساءتي •

ولا أرى التفاتي • إلى من يشمت بوفاتي • ولا أخصّ بحبائي • إلا أحبائي •
ولا أستطبّ لدائي • غير أودّائي • ولا أملّك خلّتي • من لا يسدّ
خلّتي • ولا أصفي نيّتي • لمن يتمنّى منيّتي • ولا أخلص دعائي • لمن لا يرفع
دعائي • ولا أفرغ ثنائي • على من يفرّغ إنائي • ومن حكم بأن أبذل و
تخزن • وألين وتخشن • وأذوب وتجمد • وأذكو وتخمد • لا والله •
بل نتوازن في المقال • وزن المثقال • ونتحاذى في الفعال •
حذو النعال • حتى نأمن التغابن • ونُكفى التضاغن • وإلا فلِمَ أُعلّك و
تعتلّني • وأقلّك فتستثقلني • وأجرح لك وتجرحني • وأسرح لك وتسرحني •
وكيف تجتلب انصافا بضيم • وأنّى تشرق شمس مع غيم • ومتى أصحب
ودّ بعسف • وأيّ حرّ رضي بخطّة خسف • ولله أبوك إذ يقول نظم

جزيت من أعلق بي ودّه • جزاء من يبني على أسّه •
وكلت للخلّ كما كال لي • على وفاء الكيل أو بخسه •
ولم أخسّره وشرّ الورى • من يومه أخسر من أمسه •
وكلّ من يطلب عندي جنى • فما له إلا جنى غرسه •
لا أبتغي الغبن ولا أنثني • بصفقة المغبون في حسّه •

ولست بالموجب حقاً لمن	لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني	أصدقه الحب على لبسه
وما درى من جهله أنني	أقفي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغناك بهجر القلا	وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة	لباس من يرغب عن أنسه
ولا ترج الود ممن يرى	أنك محتاج إلى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما. تقت إلى أن أعرف عينهما. فلما لاح ابن ذكاء. وألحف الجو الضياء. غدوت قبل استقلال الركاب. ولا اغتداء الغراب. وجعلت أستقري صوب الصوت الليلي. وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي. إلى أن لمحت أبا زيد السروجي وابنه يتحادثان. وعليهما بردان رثان. فعلمت أنهما نجيا ليلتي. وصاحبا روايتي. فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما. راث لرثاثتهما. وعرضت عليهما التحول إلى رحلي. والتحكم في كثري وقلي. وطفقت أسير في ما بين السيارة فضلهما. وأهز الأعواد المثمرة لهما. حتى غمرا بالنحلان. واتخذا في الخلان. وكنا بمعرس تتبين منه بنيان القرى. ونتنور نيرانه

القرى. فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه. وانجلاء بؤسه. قال لي إن بدني قد اتسخ. ودرني قد رسخ. أفتأذن لي في قصد قرية لأستحم. وأقضي هذا المهم. فقلت إذا شئت ذلك فالسرعة السرعة. والرجعة الرجعة. فقال ستجد مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك إليك. ثم استن استنان الجواد في المضمار. وقال لابنه بدار بدار. ولم نخل أنه غر. وطلب المفر. فلبثنا نرقبه رقبة أهلة الأعياد. ونستطلعه بالطلائع والرواد. إلى أن هرم النهار. وكاد جرف اليوم ينهار. فلما طال أمد الانتظار. ولاحت الشمس في الأطمار. قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة. وتمادينا في الرحلة. إلى أن أضعنا الزمان. وبان أن الرجل مان. فتأهبوا للظعن. ولا تلووا على خضراء الدمن. ونهضت لأحدج راحلتي. وأحمل رحلتي. فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعداً	ومساعداً دون البشر
لا تحسبن أني نأيتك	عن ملال أو أشر
لكنني مذ لم أزل	ممن إذا طعم انتشر

قال فأقرأت الجماعة القتب. ليعذره من كان عتب. فأعجبوا بخرافته

وتعوّذوا من آفة . ثم اباظعنا . ولم ندر من اعتاض عنّا

المقامة الخامسة وتعرف بالكوفية

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين . وقمرها كتعويذ من لجين . مع رفقة غذوا بلبان البيان . وسحبوا على سحبان ذيل النسيان . ما فيهم الا من يحفظ عنه . ولا يتحفظ منه . ويميل الرفيق اليه . ولا يميل عنه . فاستهوانا السمر . الى ان غرب القمر . وغلب السهر . فلما روّق الليل البهيم . ولم يبق الا التهويم . سمعنا من الباب نبأة مستنبح . ثم تلتها صكة مستفتح . فقلنا من الملمّ في الليل المدلهمّ . فقال

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرّا . ولا لقيتم ما بقيتم ضرّا
قد دفع الليل الذي اكفهرّا . الى ذراكم شعثا مغبرّا
اخا سفار طال واسبطرّا . حتى انثنى محقوقفا مصفرّا
مثل هلال الافق حين افترّا . وقد عرا فناءكم معترّا
وامّكم دون الانام طرّا . يبغي قرى منكم ومستقرّا
فدونكم ضيفا قنوعا حرّا . يرضى بما احلولى وما امرّا
وينثني عنكم ينثّ البرّا

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه . وعلمنا ما وراء برقه . ابتدرنا فتح الباب . وتلقيناه بالترحاب . وقلنا للغلام هيّا هيّا . وهلمّ ما تهيّا . فقال الضيف والذي احلّني ذراكم . لا تلمّظت بقراكم . او تضمنوا لي ان لا تتخذوني كلّا . ولا تجشّموا لاجلي اكلا . فربّ اكلة هاضت الآكل . وحرمته مآكل . وشرّ الاضياف من سام التكليف . وآذى المضيف . خصوصا اذى يعتلق بالاجسام . ويفضي الى الاسقام . وما قيل في المثل الذي سار سائره . خير العشاء سوافره . الا ليعجّل التعشّي . ويجتنب اكل الليل الذي يعشي . اللهم الا ان تقد نار الجوع . وتحول دون الهجوع . قال فكأنه اطلع على ارادتنا . فرمى عن قوس عقيدتنا . لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط . واثنينا على خلقه السبط . ولما احضر الغلام ما راج . واذكى بيننا السراج . تأمّلته فاذا هو ابو زيد . فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد . بل المغنم البارد . فان يكن افل قمر الشعرى . فقد طلع قمر الشعراء . او استسرّ بدر النثرة . فقد تبلّج بدر النثر . فسرت حميّا المسرّة فيهم . وطارت السنة عن مآقيهم . ورفضوا الدعة التي نووها . وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها . وابو زيد مكبّ على اعمال يديه . حتى اذا استرفع ما لديه

قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك • أو عجيبة من عجائب
أسفارك • فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون
ولا رواه الراوون • وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم
ومصيري إلى بابكم • فاستخبرناه عن طرفة مرآه • في مسرح مسراه •
فقال إن مرامي الغربة • لفظتني إلى هذه التربة • وأنا ذو مجاعة
وبوسى • وجراب كفؤاد أم موسى • فنهضت حين سجى
الدجى • على ما بي من الوجى • لأرتاد مضيفا • أو أقتاد رغيفا • فساقني
حادي السغب • والقضاء المكنى أبا العجب إلى أن وقفت على باب دار فقلت

حييتم يا أهل هذا المنزل — وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل — نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل — ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل — وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ — فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول ألق عصاك فادخل — وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز إلي جؤذر • عليه شوذر • وقال نظم

وحرمة الشيخ الذي سن القرى — وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرى — سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى — طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى — فقلت ما أصنع في منزل قفر • ومنزل

حلف فقر • ولكن يا فتى ما اسمك • فقد فتنني فهمك فقال اسمي
زيد • ومنشأي فيد • ووردت إلى هذه المدرة أمس • مع أخوالي من
عبس فقلت له زدني إيضاحا عشت ونعشت فقال أخبرتني أمي
برة • وهي كاسمها برة • أنها نكحت عام الغارة بماوان •
رجلا من سراة سروج وغسان • فلما آنس منها الإثقال • وكان
باقعة على ما يقال • ظعن عنها سرا • وهلم جرا • فما يعرف أحي هو
فيتوقع • أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة العلامات أنه ولدي
وصدفني عن التعرف إليه صفر يدي • ففصلت عنه بكبد مرضوضة •
ودموع مفضوضة • فهل سمعتم يا أولي الألباب • بأعجب من هذا
العجاب • قلنا لا ومن عنده علم الكتاب • فقال فأثبتوها في عجائب
الاتفاق • وخلدوها بطون الأوراق • فما سير مثلها في الآفاق •

فأحضرنا الدواة وأساودها • ورقشنا الحكاية على ما سردها •
ثم استنبطناه عن مرآه • في استضمام فتاه • فقال إذا ثقل ردني
خف على أن أكفل ابني • فقلنا إن كان يكفيك نصاب من المال •
ألفناه لك في الحال • فقال وكيف لا يقنعني نصاب • وهل يحتقر قدره إلا مصاب

قال الراوي فالتزم منا كل منا قسطا • وكتب له به قطا • فشكر عند
ذلك الصنع • واستنفد في الثناء الوسع • حتى استطلنا
القول واستقللنا الطول • ثم إنه نشر من وشي السمر • ما أزرى
بالحبر • إلى أن أظل التنوير • وجشر الصبح المنير • فقضينا الليلة غابت
شوائبها • إلى أن شابت ذوائبها • وكمل سعودها • إلى أن انفطر عودها •
ولما ذر قرن الغزالة • طمر طمور الغزالة • وقال انهض بنا لنقبض
الصلات • ونستنض الإحالات • فقد استطارت صدوع
كبدي • من الحنين إلى ولدي • فوصلت جناحه • حتى سنيت
نجاحه • فحين أحرز العين في صرته • برقت أسارير مسرته • وقال لي
جزيت خيرا عن خطى قدميك • وآمنه خليفتي عليك • فقلت أريد
أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب • وأنافثه لكي يجيب • فنظر إلي نظرة

الخادع إلى المخدوع • وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع ثم أنشأ يقول

يا من تظنى السراب ماء ... لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري ... وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرس ... ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر ... أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما ... حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما ... تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت ... حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر فاسمح ... إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودعني ومضى • وأودع قلبي جمر الغضا •

المقامة السادسة وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام • قال حضرت ديوان النظر بالمراغة • وقد جرى به
ذكر البلاغة • فأجمع من حضر من فرسان اليراعة • وأرباب البراعة •
على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء • ويتصرف فيه كيف شاء •
ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء • أو يفترع رسالة عذراء •

الخادع

وان المفلق من كتاب هذا الاوان، المتمكن من ازمة البيان، كالعيال
على الاوايل، ولو ملك فصاحة سحبان وايل، وكان بالمجلس كهل جالس
في الحاشية، عند مواقف الحاشية، فكان كلما شط القوم في شوطهم
ونشروا العجرة والبجرة من نوطهم، ينبي تخازر طرفه، وتشامخ انفه، انه
مخرنبق لينباع، ومجرمز سيمد الباع، ونابض يبري النبال، ومترابض يبغي
النضال، فلما نثلت الكناين، وفاءت السكاين، وركدت الزعازع،
وكف المنازع، اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا ادا، وجرتم عن القصد
جدا، وعظمتم العظام الرفات، وافتتنتم بالميل الى من فات،
وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات، ومعهم انعقدت المودات،
انسيتم يا جهابذة النقد، وموابذة الحل والعقد، ما ابرزته
طوارف القرايح، وبرز فيه الجذع على القارح، من العبارات المهذبة،
والاستعارات المستعذبة، والرسايل الموشحة، والاساجيع المستملحة، وهل للقدماء
اذا انعم النظر من حضر، غير المعاني المطروقة الموارد، المعقولة الشوارد،
المأثورة عنهم لتقادم المولد، لا لتقدم الصادر على الوارد، واني
لأعرف الآن من اذا انشأ وشى، واذا عبر حبر، وان اسهب اذهب

واذا اوجز

واذا اوجز اعجز، وان بده شده، ومتى اخترع خرع، فقال له ناظورة
الديوان، وعين اولئك الاعيان، من قارع هذه الصفاة،
وقريع هذه الصفات، قال انه قرنك في نجاك، وقرينك في
جدالك، واذا شئت فرض نجيبا، وادع مجيبا، لترى عجيبا،
فقال له يا هذا ان البغاث في ارضنا لا يستنسر، والتمييز عندنا
بين الفضة والقضة متيسر، وقل من استهدف للنضال
فخلص من الداء العضال، او استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان
فلا تعرض عرضك للمفاضح، ولا تعرض عن نصاحة الناصح
فقال كل امرء اعرف بوسم قدحه، وسيتفرى الليل عن صبحه
فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه، ويعجم به عوده، فقال احدهم
ذروه في حصتي لارميه بحجر قصتي، فانها عضلة العقد ومحك
المنتقد، فقلدوه في هذا الامر الزعامة، تقليد الخوارج ابا نعامة، فاقبل
على الكهل وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي، وارفع حالي بالبيان الحالي،
وكنت استعين على تقويم اودي، بسعة ذات يدي، مع قلة عددي،
فلما ثقل حاذي، ونفد رذاذي، اممته من آرجاي برجاي، وعودته لاعادة آوي

وأروى • فهش للوفادة وارتاح • وغدا بالإفادة وراح • فلما استأذنته
في المراح إلى المراح • على كاهل المراح • قال قد أزمعت أن لا أزودك
بتاتا • ولا أجمع لك شتاتا • أو تنشي أمام ارتحالك • رسالة تودعها
شرح حالك • حروف إحدى كلمتيها يعمها النقط • وحروف الأخرى
لم يعجمن قط • وقد استأنيت ببياني حولا • فما أحار قولا •
ونبهت فكري سنة • فما ازداد إلا سنة • واستعنت بقاطبة
الكتاب • فكل منهم قطب وتاب • فإن كنت صدعت
عن وصفك باليقين • فأت بآية إن كنت من الصادقين •
فقال له لقد استسعيت يعبوبا • واستسقيت أسكوبا • وأعطيت
القوس باريها • وأنزلت الدار بانيها • ثم فكر ريثما استجم قريحته •
واستدر لقحته • وقال له ألق دواتك • وخذ أداتك واكتب
الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين • واللؤم غض الدهر جفن
حسودك يشين • والأروع يثيب • والمعور يخيب • والحلاحل
يضيف • والماحل يخيف • والسمح يغذي • والمحك يقذي •
والعطاء ينجي • والمطال يشجي • والدعاء يقي • والمدح ينقي • والحر يجزي

والالطاط

والإلطاط يخزي • واطراح ذي الحرمة غي • ومحرمة بني الآمال بغي •
وما ضن إلا غبين • ولا غبن إلا ضنين • ولا خزن إلا شقي • ولا قبض
راحة تقي • وما فتئ وعدك يفي • وآراؤك تشفي • وحلمك يغضي •
وهلالك يضي • وآلاؤك تغني • وأعداؤك تثني • وحسامك يفني •
وسؤددك يبني • ومواصلك تجتني • ومادحك يقتني • وسماحك
يغيث • وسماؤك تغيث • ودرك يفيض • وردك يغيض •
ومؤملك شيخ حكاه فيّ • ولم يبق له شيء • أمك بظن خرصه
يثب • ومدحك بنخب مهور ما تجب • ومرامه يخف • وأواصره تشف •
واطراده يجتذب • وملامه يجتنب • وورآؤه ضفف • مستهم
شظف • وحقهم جنف • وغمهم قشف • وهو في دمع يجيب •
وولَه يذيب • وهم تضيف • وكمد ينيف • لمأمول خيب •
وإهمال شيب • وعدو نيب • وهد وتغيب • ولم يزغ وده
فيغضب • ولا خبث عوده فيقضب • ولا نفث صدره فينفض •
ولا نشز وصله فيبغض • وما يقتضي كرمك نبذ حرمه • فبيض أمله بتخفيف
ألمه • ينث حمدك بين عالمه • بقيت لإماطة شجب • وإعطاء نشب •

ومداواةِ شجنٍ، ومراعاةِ يفنٍ، موصولاً بخفضٍ، وسرورٍ غضٍّ، ما عشي معهدٌ غنيٌّ، أو خشي وهمٌ غبيٌّ، والسلام. قال: فلما فرغ من إملاء رسالته، وجلّى في هيجاء البلاغة عن بسالته، أرضته الجماعة فعلاً وقولاً، وأوسعته حفاوةً وطولاً، ثم سُئل من أي الشعوب نجاره، وفي أي الشعاب وجاره، فقال:

غسّانُ أسرتيَ الصميمة … وسروجُ تربتيَ القديمة

فالبيتُ مثلُ الشمس إشراقاً … ومنزلةً جسيمة

والربعُ كالفردوس … مطيبةً ومنزهةً وقيمة

واهاً لعيشٍ كان لي … فيها ولذاتٍ عميمة

أيامَ أسحبُ مطرفي … في روضها ماضي العزيمة

أختالُ في برد الشباب … وأجتلي النعم الوسيمة

لا أتقي نوبَ الزمان … ولا حوادثه الملمّة

فلوَ انّ كرباً متلِفٌ … لتلِفتُ من كربي المقيمة

أو يفتدى عيشٌ مضى … لفدته مهجتي الكريمة

فالموتُ خيرٌ للفتى … من عيشةٍ عيشِ البهيمة

تقتادُه بُرةُ الصَّغار … إلى العظيمة والهضيمة

ويرى السباع

ويرى السباعُ تنوشُها … أيدي الضباعِ المستضيمة

والذنبُ للأيام لو … لا شؤمُها لم تنبُ شيمة

ولوِ استقامت كانت … الأحوالُ فيها مستقيمة

ثم إنّ خبره نمى إلى الوالي، فملأ فاه باللآلي، وسامه أن ينضوي إلى أحشائه، ويلي ديوان إنشائه، فأحسبه الحباء، وظلفه عن الولاية الإباء. قال الراوي: وكنت عرفت عود شجرته، قبل إيناع ثمرته، وكدت أنبّه على علوّ قدره، قبل استنارة بدره، فأوحى إليّ بإيماض جفنه، أن لا أجرّد عضبه من جفنه، فلما خرج بطين الخرج، وفصل فائزاً بالفلج، شيّعته قاضياً حقّ الرعاية، ولاحياً له على رفض الولاية، فأعرض متبسماً، وأنشد مترنماً:

لجوبُ البلاد مع المتربة … أحبُّ إليّ من المرتبة

لأنّ الولاة لهم نبوةٌ … ومعتبةٌ يا لها معتبة

وما فيهمُ من يربّ الصنيع … ولا من يشيّد ما رتّبه

فلا يخدعنك لموعُ السراب … ولا تأتِ أمراً إذا ما اشتبه

فكم حالمٍ سرّه حلمُه … وأدركه الروعُ لما انتبه

المقامة السابعة وتعرف بالبرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد . وقد شمت بها برق عيد . فكرهت الرحلة عن تلك المدينة . أو أشهد بها يوم الزينة . فلما أظل بفرضه ونفله . وأجلب بخيله ورجله . اتبعت السنة بلبس الجديد . وبرزت مع من برز للتعييد . وحين التأم جمع المصلى وانتظم . وأخذ الزحام بالكظم . طلع شيخ في شملتين . محجوب المقلتين . وقد اعتضد شبه المخلاة . واستقاد لعجوز كالسعلاة . فوقف وقفة متهافت . وحيا تحية خافت . ولما فرغ من دعائه . أجال خمسه في وعائه . فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ . في أوان الفراغ . فناولهن عجوزه الحيزبون . وأمرها أن تتوسم الزبون . فمن آنست ندى يديه . ألقت ورقة منهن لديه . قال فأتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب نظم

لقد أصبحت موقوذا	بأوجاع وأوجال
وممنوا بمحتال	ومختال ومغتال
وخوان من الإخوان	قال لي لإقلالي

وإعمال

وإعمال من العمال	في تضييع آمالي
فكم أصلى بإذحال	وإمحال وترحال
وكم أخطر في بال	ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جار	أطفاني بأطفالي
فلولا أن أشبالي	أغلالي وأعلالي
لما جهزت آمالي	إلى آل ولا وال
ولا جرت أذيالي	على مسحب إذلالي
فمحرابي أحرى بي	وأسمالي أسمى لي
فهل حر يرى	تخفيف أثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي	بسربال وسربال

قال الحارث بن همام لما استعرضت حلة الأبيات . تقت إلى معرفة ملحمها . وراقم علمها . فناجاني الفكر بأن الوصلة إليه العجوز . وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز . فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا . وتستوكف الأكف كفا كفا . وما أن نجح لها عناء . ولا رشح على يديها إناء . فلما أكدى استعطافها . وكدها مطافها

عاذت بالاسترجاع • ومالت إلى ارتجاع الرقاع • وأنساها الشيطان
ذكر ربّ رقعتي • فلم تعج إلى بقعتي • وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان • وشاكية
تحامل الزمان • فقال إنا لله • وأفوّض أمري إلى الله • ولا حول ولا قوة إلا بالله • وأنشد

لم يبق صاف ولا مصاف	ولا معين ولا مُعين
وفي المساوي بدا التساوي	فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها منّي النفس وعديها • واجمعي الرقاع وعدّيها • فقالت
لقد عددتها • لما استعدتها • فوجدت يد الضياع • قد غالت إحدى
الرقاع • فقال تعساً لك يا لكاع • أتحرم ويحك القنص والحبالة •
والقبس والذبالة • إنها لضغث على إبالة • فانصاعت تقتص مدرجها •
وتنشد مدرجها • فلما دانتني قرنت بالرقعة درهماً وقطعة • وقلت
لها إن رغبت في المشوف المعلم • وأشرت إلى الدرهم • فبوحي
بالسر المبهم • وإن أبيت أن تشرحي • فخذي القطعة واسرحي •
فمالت إلى استخلاص البدر التم • والأبلج الهم • وقالت دع
جدالك • وسل عما بدا لك • فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته •
والشعر وناسج بردته • فقالت إن الشيخ من أهل سروج • وهو الذي

وشّى الشعر

وشّى الشعر المنسوج • ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق • ومرقت
مروق السهم الراشق • فخالج قلبي أن أبا زيد هو المشار إليه • وتأجج كربي
للمصاب بناظريه • وآثرت أن أفاجئه وأناجيه • لأعجم عود فراستي
فيه • وما كنت لأصل إليه إلا بتخطي رقاب الجمع • المنهي عنه في الشرع •
وعففت أن يتأذى بي قوم • أو يسري إليّ لوم • فسدكت بمكاني •
وجعلت شخصه قيد عياني • إلى أن انقضت الخطبة • وحقّت الوثبة •
فخففت إليه • وتوسمته على التحام جفنيه • فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس •
وفراستي فراسة إياس • فعرفته حينئذ بشخصي • وآثرته بأحد قميصي •
وأهبت به إلى قرصي • فهشّ لعارفتي وعرفاني • ولبّى دعوة رغفاني •
وانطلق ويدي زمامه • وظلّي أمامه • والعجوز ثالثة الأثافي • والرقيب الذي
لا يخفى عليه خاف • ولما استحلس وكنتي • وأحضرته عجالة مكنتي • قال
يا حارث أمعنا ثالث • فقلت ليس إلا العجوز • فقال ما دونها سرّ محجوز •
ثم فتح كريمتيه • ورأرأ بتوءميه • فإذا سراجا وجهه يتقدان
كأنهما الفرقدان • فابتهجت بسلامة بصره • وعجبت من غرائب سيره •
ولم يلقني قرار • ولا طاوعني اصطبار • حتى سألته ما دعاك إلى التعامي

مع سيرك في المقام، وجوبك الموامي، وإيغالك في المرامي. فتظاهر باللكنة، وتشاغل باللهنة، حتى إذا قضى وطره، أثار إلي نظره، وقال نظم

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف، وينقي الكف، وينعم البشرة، ويعطر النكهة، ويشد اللثة، ويقوي المعدة. وليكن نظيف الظرف، أريج العرف، فتي الدق، ناعم السحق، يحسبه اللامس ذرورا، ويخاله الناشق كافورا. واقرن به خلالة نقية الأصل، محبوبة الوصل، أنيقة الشكل، مدعاة إلى الأكل، لها نحافة الصب وصقال العضب، وآلة الحرب، ولدونة الغصن الرطب. قال فنهضت فيما أمر، لا لأدرأ عنه الغمر، ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع، بإدخالي المخدع، ولا تظنيت أنه سخر من الرسول، في استدعاء الخلالة والغسول، فلما عدت بالملتمس، في أقرب من رجع النفس، وجدت الجو قد خلا، والشيخ والشيخة قد أجفلا. فاستشطت من مكره غضبا، وأوغلت في إثره طلبا، فكان كمن قمس في الماء، أو عرج به إلى عنان السماء.

المقامة

المقامة الثامنة وتعرف بالمعرية

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان، أن تقدم خصمان، إلى قاضي معرة النعمان، أحدهما قد ذهب منه الأطيبان، والآخر كأنه قضيب البان. فقال الشيخ أيد الله القاضي، كما أيد به المتقاضي، إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد، أسيلة الخد، صبور على الكد، تخب أحيانا كالنهد، وترقد أطوارا في المهد، وتجد في تموز مس البرد، ذات عقل وعنان، وحد وسنان، وكف ببنان، وفم بلا أسنان، تلدغ بلسان نضناض، وترفل في ذيل فضفاض، وتجلى في سواد وبياض، وتسقى ولكن من غير حياض، ناصحة خدعة، خبأة طلعة، مطبوعة على المنفعة، ومطاوعة في الضيق والسعة، إذا قطعت وصلت، ومتى فصلتها عنك انفصلت، فطالما خدمتك فجملت، وربما جنت عليك فآلمت وململت. وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض، فأخدمته إياها بلا عوض، على أن يجتني نفعها، ولا يكلفها إلا وسعها، فأولج فيها متاعه، وأطال بها استمتاعه، ثم أعادها وقد أفضاها، وبذل عنها قيمة لا أرضاها.

فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا • وأما الإفضاء ففرط عن خطاء • وقد رهنته على أرش ما أوهنته • مملوكاً متناسب الطرفين • منتسباً إلى القين • نقياً من الدرن والشين • يقارن محله سواد العين • يفشي الإحسان • وينشي الاستحسان • ويغذي الإنسان • ويتحامى اللسان • إن سوّد جاد • أو وسم أجاد • وإذا زوّد وهب الزاد • ومتى استزيد زاد • لا يستقر بمغنى • وقلما ينكح إلا مثنى • يسخو بموجوده • ويسمو عند جوده • وينقاد مع قرينته • وإن لم تكن من طينته • ويستمتع بزينته • وإن لم يطمع في لينته • فقال لهما القاضي • إما أن تبينا • وإلا فبينا • فأطرق الشيخ وألهى • وابتدر الغلام وقال

أعارني إبرة لأرفو أطماراً	عفاها البلى وسوّدها
فانخرمت في يدي على خطإ	مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني	بأرشها إذ رأى تأوّدها
بل قال هات إبرة تماثلها	أو قيمة بعد أن تجوّدها
واعتاق ميلي رهناً لديه	وناهيك بها سبّة تزوّدها
فالعين مرهى لرهنه ويدي	تقصر عن أن تفكّ مرودها

فاسبر ذا الشيخ غور مسكنتي	وارث لمن لم يكن تعوّدها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه بغير تمويه • فقال الشيخ نظم

أقسم بالمشعر الحرام ومن	ضمّ من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم ترني	مرتهناً ميله الذي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلاً	من إبرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني	بمصميات من ههنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته	ضرّاً وبؤساً وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا	نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يستطيع فكّ مرودة	لما غدا في يديّ مرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي	فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي وقصته	فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما • وتبيّن خصاصتهما وتخصصهما • أبرز لهما ديناراً من تحت مصلاه • وقال اقطعا به الخصام وافصلاه • فتلقفه الشيخ دون الحدث • واستخلصه على وجه الجد لا العبث • وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرتي • وسهمك لي عن أرش إبرتي •

ولستُ عن الحق بمُميل. فقُم وخُذ الميل. فعرا الحدثَ لما حدث اكتئاب. ووجم
له القاضي. وهيّج أسفه على الدينار الماضي. إلا أنه جبر بال الفتى وتبلّغه
بدريهمات رضخ بها له. وقال لهما اجتنبا المعاملات.
وادرآ المخاصمات. ولا تحضراني في المحاكمات. فما عندي
كيس الغرامات. فنهضا من عنده فرحين برفده. مفصحين بحمده.
والقاضي ما يخبو ضجره. مذ بضّ حجره. ولا ينصل كمده. مذ رشح
جلمده. حتى إذا أفاق من غشيته. أقبل على غاشيته. وقال قد أُشرب
حسّي. ونبّأني حدسي. أنهما صاحبا دهاء. لا خصما ادّعاء.
فكيف السبيل إلى سبرهما. واستنباط سرّهما. فقال له نحرير زمرته.
وشرارة جمرته. إنه لن يتم استخراج خبئهما. إلا بهما. فقفّاهما القاضي
عوناً يرجعهما إليه. فلما مثلا بين يديه. قال لهما اصدقاني سنّ بكركما.
ولكما الأمان من تبعة مكركما. فأحجم الحدث واستقال. وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجي وهذا ولدي … والشبل في المخبر مثل الأسد
ولا تعدّت يده ولا يدي … في إبرة يوماً ولا في برد
وإنما الدهر المسيء المعتدي … مال بنا حتى غدونا نجتدي

كل ندي

كل ندي الراحة عذب المورد … وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد … بالجد إن أجدى وإلا بالدد
لنجلب الرشح إلى الحظ الصدي … وننفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا مرصد … إن لم يفاجي اليوم فاجا من غد

فقال القاضي لله درك فما أعذب نفثات فيك. وواهاً لك
لولا خداع فيك. وإني لك من المنذرين. وعليك من الحذرين.
فلا تماكر بعدها الحاكمين. واتّق سطوة المتحكمين. فما كل مسيطر
يقيل. ولا كل أوان يُسمع القيل. فعاهده الشيخ على اتّباع
مشورته. والارتداع عن تلبيس صورته. وفصل عن جهته. والختر
يلمع من جبهته. قال الحارث بن همام فلم أر أعجب منها في
تصاريف الأسفار. ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار.

المقامة التاسعة وتعرف بالإسكندرية

حدث الحارث بن همام قال طحا بي مرح الشباب. وهوى الاكتساب
إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة. أخوض الغمار. لأجني الثمار. وأقتحم
الأخطار. لكي أدرك الأوطار. وكنت لقفت من أفواه العلماء.

وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الأديب إذا دخل البلد الغريب
أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام
ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب إماما و
جعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا
وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي
الأجساد بالأرواح فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية
عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات
إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت أيد الله
القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة و
أشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون
وبيني وبين جاراتي بون وكان أبي إذا خطبني بناة المجد وأرباب
الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله تعالى
بحلفة أن لا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي
أن حضر هذا الخدعة نادي أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه
وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي

بزخرفة محاله

بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي
ورحلني عن أناسي ونقلني إلى كسره وحصلني تحت أسره وجدته
قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث
وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم والقضم
إلى أن مزق مالي بأسره وأنفق مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة
وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت له يا هذا إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا
عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك
فزعم أن صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد
ولي منه سلالة كأنها خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ لنا من
الطوى دمعة وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه
وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص
عرسك فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت
بحبسك فأطرق إطراق الأفعوان ثم شمر للحرب العوان نظم

اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب

سروج داري التي ولدت بها   والأصل غسان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحر في   العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي   منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختار   اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من   القول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا   ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا   بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته   مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلى   ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به   أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أبنائه يصان ولا   يرقب فيهم إل ولا نسب
كأنهم في عراصهم جيف   يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به   من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي   وساورتني الهموم والكرب
وقادني الدهر المليم إلى   سلوك ما يستشينه الحسب

فبعت

فبعت حتى لم يبق لي لبد   ولا بتات إليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت ساقتي   بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب   خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا   أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة   والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت إذ عبثت به   حد التراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهمها   أن سناني بالنظم مكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها   زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى   كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي   ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت نيط بها   إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا   كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار إلى   ما كنت أحوي بها وأحتلب
فأذن بشرحي كما أذنت لها   ولا تراقب واحكم بما يجب

ق فلما أحكم ما شاده، وأكمل إنشاده، عطف القاضي إلى الفتاة، بعد أن شغف بالأبيات

وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام • وولاة الأحكام • انقراض جيل الكرام • وميل الأيام
إلى اللئام • وإني لأخالك بحكمك صدوقاً في الكلام • بريئاً من الملام • وها هو قد
اعترف لك بالقرض • وصرح عن المحض • وبين مصداق النظم • وتبين أنه
معروق العظم • وإعنات المعذر ملأمة • وحبس المعسر مأثمة •
وكتمان الفقر زهادة • وانتظار الفرج بالصبر عبادة • فارجعي إلى
خدرك • واعذري أبا عذرك • ونهنهي من غربك • وسلمي
لقضاء ربك • ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة • وناولهما
من دراهمها قبضة • وقال لهما تعللا بهذه العلالة • وتنديا بهذه البلالة •
واصبرا على كيد الزمان وكربه • فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده •
فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار • وهزة الموسر
بعد الإعسار • قال الراوي بهذه الحكاية وكنت عرفت أنه أبو زيد
ساعة بزغت شمسه • ونزغت عرسه • وكدت أفصح عن افتنانه •
وأثمار أفنانه • ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه • وتزويق
لسانه • فلا يرى عند عرفانه • أن يرشحه لإحسانه • فأحجمت
عن القول إحجام المرتاب • وطويت ذكره كطي السجل للكتاب •

إلا أني قلت

إلا أني قلت بعد ما فصل • ووصل إلى ما وصل • لو أن لنا
من ينطلق في أثره • لأتانا ببعض خبره • وما ينشر من حبره • فأتبعه
القاضي بعض أمنائه • وأمره بالتجسس عن أنبائه • فما لبث أن رجع
متدهدهاً • وقهقه مقهقهاً • فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم • فقال لقد عاينت
عجباً • وسمعت ما أنشأ لي طرباً • فقال له ماذا رأيت • وما الذي وعيت • قال
لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه • ويخالف بين رجليه • ويغرد بملء شدقيه ويقول مقول

كدت أصلى ببلية	من وقاح شمرية
وأزور السجن لولا	حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته • وذوت سكينته • فلما فاء
إلى الوقار • وعقب الاستغراب بالاستغفار • قال اللهم بحرمة
عبادك المقربين • حرم حبسي على المتأدبين • ثم قال لذلك الأمين
علي به • فانطلق مجداً في طلبه • ثم عاد بعد لأي مخبراً بتنائيه • فقال القاضي
أما إنه لو حضر • لكفي الحذر • ثم لأوليته بما هو به أولى • ولأريته
أن الآخرة خير له من الأولى • قال الحرث بن همام
فلما رأيت صغو القاضي إليه • وفوت ثمرة التنبيه عليه • غشيتني

ندامة الفرزدق حين أبان النوار. والكسعي لما استبان النهار.

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن
طوق. فلبيته ممتطياً شملة. ومنتضياً عزيمة مشمعلة. فلما ألقيت بها
المراسي. وشددت أمراسي. وبرزت من الحمام بعد تسبيت راسي.
رأيت غلاماً أفرغ في قالب الجمال. وألبس من الحسن حلة الكمال.
وقد أعلق شيخ بردنه. يدعي أنه فتك بابنه. والغلام ينكر عرفته.
ويكبر قرفته. والخصام بينهما متطاير الشرار. والزحام عليهما يجمع بين الأخيار
والأشرار. إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد. بالتنافر إلى
والي البلد. وكان ممن يزن بالهنات. ويغلب حب البنين على
البنات. فاستعديا إلى ندوته. كالسليك في عدوته. فلما حضراه
جدد الشيخ دعواه. واستعدى عدواه. فاستنطق الغلام. والأمر الكلام
وقد فتنه بمحاسن فطرته. وطر عقله بتصفيف طرته. فقال إنها إفكة
أفاك. على غير سفاك. وعضيهة محتال. على من ليس بمغتال.
فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين. وإلا فاستوف

منه اليمين

منه اليمين. فقال الشيخ إنه جدله خالياً. وأفاح دمه خالياً. فأنى
لي شاهد. ولم يكن ثمة مشاهد. ولكن ولني تلقين اليمين. ليبين
لك أيصدق أم يمين. فقال أنت المالك لذلك. مع وجدك
المتهالك على ابنك الهالك. فقال الشيخ للغلام قل والذي
زين الجباه بالطرر. والعيون بالحور. والحواجب بالبلج. والمباسم
بالفلج. والجفون بالسقم. والأنوف بالشمم. والخدود باللهب. والثغور بالشنب.
والبنان بالترف. والخصور بالهيف. إنني ما قتلت ابنك سهواً
ولا عمداً. ولا جعلت هامته لسيفي غمداً. وإلا فرمى الله جفني بالعمش.
وخدي بالنمش. وطرتي بالجلح. وطلعتي بالبلح. ووردي بالبهار.
ومسكي بالبخار. وبدري بالمحاق. وفضتي بالاحتراق. وشعاعي
بالظلام. ودواتي بالأقلام. فقال الغلام الاصطلاء بالبلية. ولا
الإيلاء بهذه الألية. والانقياد بالقود. ولا الحلف بما لم يحلف به أحد.
فأبى الشيخ إلا تجرعه اليمين التي اخترعها. وأمقر له جرعها. ولم يزل التلاحي
بينهما يستعر. ومحجة التراضي تتوعر. والغلام في ضمن تأبيه يخلب الوالي
بتلويه. ويطمعه في أن يليه. إلى أن استهواه هواه على قلبه. والب به

دسول الوجد الذي تيّمه • والطمع الذي توهّمه • أن تخلّص الغلام وتستخلصه • وأن تنقذه من حبالة الشيخ وتقنصه • فقال الشيخ هل لك فيما هو أليق بالأولى • وأقرب للتقوى • فقال إلامَ تشير فأقتفيه • ولا أقف فيه • فقال أرى أن تقصر عن القيل والقال • وتقتصر على مائة مثقال • لأتحمّل منها بعضاً • وأجتني لك الباقي عرضاً • فقال الشيخ ما منّي خلاف • فلا يكن لوعدك إخلاف • فنقده الوالي عشرين • ووزّع على وزعته تكملة الخمسين • ورقّ ثوب الأصيل • وانقطع لأجله صوب التحصيل • فقال له خذ ما راج • ودع اللجاج • وعليّ في غدٍ أن أتوصّل إلى أن ينضّ لك الباقي وتحصّل • فقال الشيخ أفعل ذلك على أن الازمه ليلتي • ويرعاه إنسان مقلتي • حتى إذا أغفى بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح • تخلّصت قابيه من قوب • وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب • فقال له الوالي ما أراك سمت شططاً • ولا رمت فرطاً •

قال الحارث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية • علمت أنه علم السروجية • فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام • وانتثرت عقود الزحام • ثم قصدت فناء الوالي • فإذا الشيخ للفتى كالي •

فنشدته الله

فنشدته الله أهو أبو زيد • فقال إي ومحلّ الصيد • فقلت من هذا الغلام • الذي هفت له الأحلام • فقال هو في النسب فرخي • وفي المكسب فخّي • فقلت هلّا اكتفيت بمحاسن فطرته • وكفيت الوالي الافتتان بطرّته • فقال لو لم تبرز جبهته السين • لما قنصت الخمسين •

ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى • ونذيل الهوى من النوى • فقد أجمعت على أن أنسلّ بسحرة • وأصلي قلب الوالي نار حسرة • قال فقضيت الليلة معه في سمر • آنق من حديقة زهر • حتى إذا ألأل الأفق ذنب السرحان • وآن انبلاج الفجر وحان • ركب متن الطريق • وأذاق الوالي عذاب الحريق • وسلّم إليّ ساعة الفراق • رقعة محكمة الإلصاق • وقال ادفعها إلى الوالي إذا سلب القرار • وتحقّق منّا الفرار • ففضضتها فعل المتلمّس • من مثل صحيفة المتلمّس • فإذا فيها مكتوب نظم

قل لوالٍ غادرته بعد بيني ... نادماً سادماً يعضّ اليدين

سلب الشيخ ماله وفتاه ... لبّه فاصطلى لظى حسرتين

جاد بالعين حين أعمى هواه ... عينه فانثنى بلا عينين

خفّض الحزن يا معنّى فما ... يجدي طلاب الآثار من بعد عين

وَلَئِنْ جَلَّ مَا عَرَاكَ كَمَا جَلَّ لَدَى ٱلْمُسْلِمِينَ رُزْءُ ٱلْحُسَيْنِ

فَلَقَدِ ٱعْتَضْتَ مِنْهُ فَهْمًا وَحَزْمًا وَٱللَّبِيبُ ٱلْأَرِيبُ يَبْغِي زَيْنِ

فَٱعْصِ مِنْ بَعْدِهَا ٱلْمَطَامِعَ وَٱعْلَمْ أَنَّ صَيْدَ ٱلظِّبَاءِ لَيْسَ بِهَيِّنِ

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلِجُ ٱلْفَخَّ وَلَوْ كَانَ مُحْدِقًا بِٱللُّجَيْنِ

وَلَكَمْ مَنْ سَعَى لِيَقْتَادَ صَيْدًا وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ خُفَّيْ حُنَيْنِ

فَتَبَصَّرْ وَلَا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ رُبَّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنِ

وَٱغْضُضِ ٱلطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ

فَبَلَاءُ ٱلْفَتَى ٱتِّبَاعُ هَوَى ٱلنَّفْسِ وَبَذْرُ ٱلْهَوَى طُمُوحُ ٱلْعَيْنِ

قَالَ ٱلرَّاوِي فَمَزَّقْتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ. وَلَمْ أُبَلْ أَعَذَلَ أَمْ عَذَرَ.

المقامة الحادية عشرة وتعرف بالساوية

حَدَّثَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ. قَالَ آنَسْتُ مِنْ قَلْبِي ٱلْقَسَاوَةَ. حِينَ حَلَلْتُ سَاوَةَ. فَأَخَذْتُ بِٱلْخَبَرِ ٱلْمَأْثُورِ. فِي مُدَاوَاتِهَا بِزِيَارَةِ ٱلْقُبُورِ. فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ. وَكِفَاتِ ٱلرُّفَاتِ. رَأَيْتُ جَمْعًا عَلَى قَبْرٍ يُحْفَرُ. وَمَجْنُوزٍ يُقْبَرُ. فَٱنْحَزْتُ إِلَيْهِمْ مُتَفَكِّرًا فِي ٱلْمَآلِ. وَمُتَذَكِّرًا مَنْ دَرَجَ مِنَ ٱلْآلِ. فَلَمَّا أُلْحِدَ ٱلْمَيْتُ. وَفَاتَ قَوْلُ لَيْتَ. أَشْرَفَ

شَيْخٌ مِنْ رَبَاوَةٍ. عَلَيْهِ طَلَاوَةٌ. مُتَخَصِّرًا بِهِرَاوَةٍ. وَقَدْ لَفَّعَ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ. وَنَكَّرَ شَخْصَهُ لِدَهَائِهِ. فَقَالَ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ. فَٱدَّكِرُوا أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ. وَشَمِّرُوا أَيُّهَا ٱلْمُقَصِّرُونَ. وَأَحْسِنُوا ٱلنَّظَرَ أَيُّهَا ٱلْمُتَبَصِّرُونَ. مَا لَكُمْ لَا يَحْزُنُكُمْ دَفْنُ ٱلْأَتْرَابِ. وَلَا يَهُولُكُمْ هَيْلُ ٱلتُّرَابِ. وَلَا تَعْبَأُونَ بِنَوَازِلِ ٱلْأَحْدَاثِ. وَلَا تَسْتَعِدُّونَ لِنُزُولِ ٱلْأَجْدَاثِ. وَلَا تَعْبِرُونَ لِعَيْنٍ تَدْمَعُ. وَلَا تَعْتَبِرُونَ بِنَعْيٍ يُسْمَعُ. وَلَا تَرْتَاعُونَ لِإِلْفٍ يُفْقَدُ. وَلَا تَلْتَاعُونَ لِمَنَاحَةٍ تُعْقَدُ. يُشَيِّعُ أَحَدُكُمْ نَعْشَ ٱلْمَيْتِ. وَقَلْبُهُ تِلْقَاءَ ٱلْبَيْتِ. وَيَشْهَدُ مُوَارَاةَ نَسِيبِهِ. وَفِكْرُهُ فِي ٱسْتِخْلَاصِ نَصِيبِهِ. وَيُخَلِّي بَيْنَ وَدُودِهِ وَدُودِهِ. ثُمَّ يَخْلُو بِمِزْمَارِهِ وَعُودِهِ. طَالَمَا أَسِيتُمْ عَلَى ٱنْثِلَامِ ٱلْحَبَّةِ. وَتَنَاسَيْتُمُ ٱخْتِرَامَ ٱلْأَحِبَّةِ. وَٱسْتَكَنْتُمْ لِٱعْتِرَاضِ ٱلْعُسْرَةِ. وَٱسْتَهَنْتُمْ بِٱنْقِرَاضِ ٱلْأُسْرَةِ. وَضَحِكْتُمْ عِنْدَ ٱلدَّفْنِ. وَلَا ضَحِكُكُمْ سَاعَةَ ٱلزَّفْنِ. وَتَبَخْتَرْتُمْ خَلْفَ ٱلْجَنَائِزِ. وَلَا تَبَخْتُرُكُمْ يَوْمَ قَبْضِ ٱلْجَوَائِزِ. وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعْدِيدِ ٱلنَّوَادِبِ. إِلَى إِعْدَادِ ٱلْمَآدِبِ. وَعَنْ تَحَرُّقِ ٱلثَّوَاكِلِ. إِلَى ٱلتَّأَنُّقِ فِي ٱلْمَآكِلِ. لَا تُبَالُونَ بِمَنْ هُوَ بَالٍ. وَلَا تُخْطِرُونَ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ لَكُمْ بِبَالٍ. حَتَّى كَأَنَّكُمْ قَدْ عَلِقْتُمْ مِنَ ٱلْحِمَامِ بِذِمَامٍ. أَوْ حَصَلْتُمْ مِنَ ٱلزَّمَانِ عَلَى

أمانٌ. أو وثقتم بسلامة الذات. أو تحققتم مسالمة هادم اللذات.
كلا ساء ما تتوهمون. ثم كلا سوف تعلمون. ثم أنشد

أيا من يدعي الفهم ... إلى كم يا أخا الوهم ... تعبي الذنب والذم
وتخطي الخطأ الجم ... أما بان لك العيب ... أما أنذرك الشيب
وما في نصحه ريب ... ولا سمعك قد صم ... أما نادى بك الموت
أما أسمعك الصوت ... أما تخشى من الفوت ... فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو ... وتختال من الزهو ... وتنصب إلى اللهو
كأن الموت ما عم ... وحتام تجافيك ... وإبطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك ... عيوبا شملها انضم ... إذا أسخطت مولاك
وإن أخفق مسعاك ... فما تقلق من ذاك ... تلظيت من الهم
وإن لاح لك النقش ... من الأصفر تهتش ... وإن مر بك النعش
تغاممت ولا غم ... تعاصي الناصح البر ... وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر ... ومن مان ومن نم ... وتسعى في هوى النفس
وتحتال على الفلس ... وتنسى ظلمة الرمس ... ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ ... لما طاح بك اللحظ ... ولا كنت إذا الوعظ

جلا الأحزان تغتم ... ستذري الدم لا الدمع ... إذا عاينت لا جمع
يقي في عرصة الجمع ... ولا خال ولا عم ... كأني بك تنحط
إلى اللحد وتنغط ... وقد أسلمك الرهط ... إلى أضيق من سم
هناك الجسم ممدود ... ليستأكله الدود ... إلى أن ينخر العود
ويمسي العظم قد رم ... ومن بعد فلا بد ... من العرض إذا اعتد
صراط جسره مد ... على النار لمن أم ... فكم من مرشد ضل
وكم ذي عزة ذل ... وكم من عالم زل ... وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر ... بما يحلو به المر ... فقد كاد يهي العمر
وما أقلعت عن ذم ... فلا تركن إلى الدهر ... وإن لان وإن سر
فتلفى كمن اغتر ... بأفعى تنفث السم ... وخفض من تراقيك
فإن الموت لاقيك ... وسار في تراقيك ... وما ينكل إن هم
وجانب صعر الخد ... إذا ساعدك الجد ... وزم اللفظ إن ند
فما أسعد من زم ... ونفس عن أخي البث ... وصدقه إذا نث
ورم العمل الرث ... فقد أفلح من رم ... ورش من ريشه انحص
بما عم وما خص ... ولا تأس على النقص ... ولا تحرص على الكم

وعادِ الخُلُقَ الرَّذِل • وعوِّد كفَّك البذل • ولا تستمع العذل
ونزِّهها عن الضيم • وزوِّد نفسك الخير • ودع ما يعقب الضير
وهيِّئ مركب السير • وخف من لجة اليم • بذا أوصيت يا صاح
وقد بحتُ كمن باح • فطوبى لفتى راح • بآدابي يأتمّ •

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر • قد شدّ عليه جبائر المكر لا الكسر • متعرضاً للاستماحة • في معرض الوقاحة • فاحتلبت به أولئك الملأ • حتى أترع كمّه وملأ • ثم انحدر من الربوة • جذلاً بالحبوة • فجاذبته من ورائه • حاشية ردائه • فالتفت إليّ مستسلماً • وواجهني مسلّماً • فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه • وقلت له نظم إلى كم يا أبا زيد • أفانينك في الكيد • لينحاش لك الصيد • ولا تعبأ بمن ذمّ • فأجاب من غير استحياء • ولا ارتياء وقال •

تبصّر ودع اللوم • وقل لي هل ترى اليوم • فتى لا يقمر القوم
متى ما دست ثمّ

فقلت له بُعداً لك يا شيخ النار • وزاملة العار • فما مثلك في طلاوة علانيتك • وخبث نيتك • إلا مثل روث مفضض • أو كنيف مبيّض • ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين • وانطلق ذات الشمال • وناوحت مهب الجنوب • وناوح مهب الشمال •

المقامة الثانية عشرة وتعرف بالدمشقية

حكى الحارث بن همام • قال شخصت من العراق إلى الغوطة • وأنا ذو جُرْد مربوطة • وجِدة مغبوطة • يُلهيني خُلوّ الذرع • ويزدهيني حُفول الضرع • فلما بلغتها بعد شق النفس • وإنضاء العنس • ألفيتها كما تصفها الألسن • وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين • فشكرت يد النوى • وجريت طلقاً مع الهوى • وطفقت أفضّ بها ختوم الشهوات • وأجتني قطوف اللذات • إلى أن شرع سفر في الإعراق • وقد استفقت من الإغراق • فعادني عيد من تذكار الوطن • والحنين إلى العطن • فقوّضت خيام الغيبة • وأسرجت جواد الأوبة • فلما أهبت الرفاق • واستتب الاتفاق • أزمعنا المسير • دون استصحاب الخفير • فرُدناه من كل قبيلة • وأعملنا في تحصيله ألف حيلة • فأعوز وجدانه في الأحياء • حتى خلنا أنه ليس من الأحياء • فحارت لعوزه عزوم السيارة • وانعقدوا بباب جيرون للاستشارة • فما زالوا بين عقد وحلّ • وشزر وسحل • إلى أن نفد التناجي • وقنط الراجي •

وكان حذيهم شخص ميسمه ميسم الشبان • ولبوسه لبوس الرهبان •
وبيده سبحة النسوان • وفي عينيه ترجمة النشوان • وقد قيد لحظه
بالجمع • وأرهف أذنيه لاستراق السمع • فلما أنى انكفاؤهم
وقد برح الخفاء بهم • قال يا قوم ليفرخ روعكم • وليأمن سربكم • فسأخفركم
بما يسر رُوعكم • ويبدو طوعكم • قال الراوي فاستطلعناه
طلع الخفارة • واستثنيناه الجعالة على السفارة • فزعم أنها كلمات
لقنها في المنام • ليحترس بها من كيد الأنام • فجعل بعضنا يومض إلى
بعض • ويقلب طرفيه بين لحظ وغض • وتبين له أنا استضعفنا
الخبر • واستشعرنا الخور • فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا • وجعلتم
تبري خبثا • ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار • وولجت مقاحم
الأخطار • فغنيت بها عن مصاحبة خفير • واستصحاب جفير •
ثم إني سأنفي ما رابكم • وأستسل الحذر الذي نابكم • بأن أوافقكم
في البداوة • وأرافقكم في السماوة • فإن صدقكم وعدي • فأجدوا
سعدي • وأسعدوا واجدي • وإن كذبكم فمي • فمزقوا أدمي • وأريقوا دمي •
قال الحارث بن همام فألهمنا تصديق رؤياه • وتحقيق ما رواه •

فنزعنا عن

فنزعنا عن مجادلته • وآثرنا على معادلته • وفصمنا بقوله عرى
الارتياب • وألغينا اتقاء العائب والعائث • ولما حمت الرحال •
وأزف الترحال • استنزلنا كلماته الراقية • لنجعلها الواقية الباقية •
فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن • كلما أظل الملوان • ثم ليقل بلسان
خاضع • وصوت خاشع • اللهم يا محيي الرفات •
ويا دافع الآفات • ويا واقي المخافات • ويا كريم المكافات •
ويا موئل العفاة • ويا ولي العفو والمعافاة • صل على محمد
خاتم أنبيائك • ومبلغ أنبائك • وعلى مصابيح أسرته • ومفاتيح
نصرته • وأعذني من نزغات الشياطين • ونزوات السلاطين •
وإعنات الباغين • ومعاناة الطاغين • ومعاداة العادين •
وعدوان المعادين • وغلب الغالبين • وسلب السالبين •
وحيل المحتالين • وغيل المغتالين • وأجرني اللهم من جور المجاورين •
وسطوة الجائرين • وكف عني أكف الظالمين • وأخرجني
من ظلمات الظالمين • وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين •
اللهم احفظني في تربتي وغربتي • وغيبتي وأوبتي • ونجعتي ورجعتي

وتصرفي ومنصرفي، وتقلبي ومنقلبي، واحفظني في نفسي ونفائسي
وعرضي وعرضي، وعددي وعددي، وسكني ومسكني، وحوالي
وحالي ومآلي ومالي، ولا تلحقني تغيرا، ولا تسلط علي مغيرا، واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا. اللهم احرسني بعينك وعونك
واخصصني بأمنك ومنك، وتولني باختيارك وخيرك،
ولا تكلني إلى كلاءة غيرك، وهب لي عافية غير عافية، وارزقني
رفاهية غير واهية، واكفني مخاشي اللأواء، واكنفني بغواشي
الآلاء، ولا تظفر بي أظفار الأعداء، إنك سميع الدعاء. ثم أطرق لا يدير
لحظا، ولا يحير لفظا، حتى قلنا قد أبلسته خشية، أو أخرسته غشية،
ثم أقنع رأسه، وصعد أنفاسه، وقال أقسم بالسماء ذات
الأبراج، والأرض ذات الفجاج، والماء الثجاج، والسراج الوهاج،
والبحر العجاج، والهواء والعجاج، إنها لمن أيمن العوذ، وأغنى
عنكم من لابسي الخوذ، من سردها عند ابتسام الفلق، لم يشفق
من خطب إلى الشفق، ومن ناجى بها طليعة الغسق، أمن ليلته من
السرق. قال الراوي فتلقفناها، حتى أتقناها، وتدارسناها، كيلا ننساها.

ثم سرنا

ثم سرنا نزجي الحمولات، بالدعوات لا بالحداة، ونحمي الحمولات
بالكلمات لا بالكماة، وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة،
ولا يستنجز منا العدات، حتى إذا عاينا أطلال عانة، قال لنا
الإعانة الإعانة، فأحضرناه المعلوم والمكتوم، وأريناه المعكوم والمختوم،
وقلنا له اقض ما أنت قاض، فما تجد فينا غير راض، فما استخفه
سوى الخف واللين، ولا حلي بعينه سوى الحلي والعين،
فاحتمل منهما وقره، وناء بما يسد فقره، ثم خالسنا مخالسة الطرار،
وانصلت منا انصلات الفرار، فأوحشنا فراقه، وأدهشنا
إمراقه، ولم نزل ننشده بكل ناد، ونستخبر عنه كل مغد وهاد، إلى
أن قيل إنه مذ دخل عانة، ما زايل الحانة، فأغراني خبث هذا القول
بسبكه، والانسلاك فيما لست من سلكه، فادلجت إلى الدسكرة
في هيئة متنكرة، فإذا الشيخ في حلة ممصرة، بين دنان ومعصرة،
وحوله سقاة تبهر، وشموع تزهر، وآس وعبهر، ومزمار ومزهر،
وهو تارة يستبزل الدنان، وطورا يستنطق العيدان، ودفعة
يستنشق الريحان، وأخرى يغازل الغزلان، فلما عثرت

على لبه • وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك
يا ملعون • أأنسيت يوم جيرون • فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا نظم

لزمت السفار • وجبت القفار • وعفت النفار •
لأجني الفرح • وخضت السيول • وروضت الخيول
لجر ذيول • الصبا والمرح • ومطت الوقار
وبعت العقار • لحسو العقار • ورشف القدح •
ولولا الطماح • إلى شرب راح • لما كان باح
فمي بالملح • ولا كان ساق • دهائي الرفاق
لأرض العراق • بحمل السبح • فلا تغضبن •
ولا تصخبن • ولا تعذلن • فعذري وضح •
ولا تعجبن • لشيخ أبن • بمغنى أغن
ودن طفح • فإن المدام • تقوي العظام
وتشفي السقام • وتنفي الترح • وأصفى السرور
إذا ما الستور • أزيلت وسر • الحياء اطرح •
وأحلى الغرام • إذا المستهام • أزال اكتتام

الهوى وافتضح

الهوى وافتضح • فبح بهواك • وبرد حشاك •
فزند أساك • به قد قدح • وداو الكلوم
وسل الهموم • ببنت الكروم • التي تقترح •
وخص الغبوق • بساق يسوق • بلاء المشوق
إذا ما طمح • وشاد يشيد • بصوت تميد
جبال الحديد • له إن صدح • وعاص النصيح •
الذي لا يبيح • وصال المليح • إذا ما سمح •
وجل في المحال • ولو بالمحال • ودع ما يقال
وخذ ما صلح • وفارق أباك • إذا ما أباك •
ومد الشباك • وصد من سنح • وصاف الخليل •
وناف البخيل • وواف الجميل • ووال المنح •
ولذ بالمتاب • أمام الذهاب • فمن دق باب •

كريم فتح • فقلت له بخ بخ لروايتك • وأف وتف لغوايتك •
فبالله من أي الأعياص عيصك • فقد أعضلني عويصك •
فقال ما أحب أن أفصح عني • ولكني سأكني ثم أنشد وقال نظم

أنا أطروفة الزمن | والأعجوبة الأمم
وأنا الحول الذي | احتال في العرب والعجم
غير أني ابن حاجة | براه الدهر واهتضم
وأبو صبية بدوا | مثل لحم على وضم
وأبو العيلة المعيل | إذا احتال لم يلم

قال الراوي فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب، ومسود وجه الشيب، وساءني عظم تمرده، وقبح توردِه، فقلت له بلسان الأنفة، وإدلال المعرفة، ألم يأن يا شيخنا أن تقلع عن الخنا، فتضجر وزجر، وتنكر وفكر، ثم قال إنها ليلة مراح لا تلاح، ونهزة شرب راح لا كفاح، فعد عما بدا، إلى أن نتلاقى غدا، ففارقته فرقا من عربدته، لا تعلقا بعدته، وبت ليلتي لابسا حداد الندم، على نقلي خطى القدم، إلى ابنة الكرم لا الكرم، وعاهدت الله تعالى أن لا أحضر حانة نباذ، ولو أعطيت ملك بغداذ، وأن لا أشهد معصرة الشراب، ولو رد علي عصر الشباب، ثم إنا رحلنا العيس، وقت التغليس، وخليناه بين الشيخين أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشر وتعرف بالبغدادية

روى الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء، مع مشيخة من الشعراء، لا يعلق لهم مبار بغبار، ولا يجري معهم مبار في مضمار، فأفضنا في حديث يفضح الأزهار، إلى أن نصفنا النهار، فلما غاض در الأفكار، وصبت النفوس إلى الأوكار، لمحنا عجوزا تقبل من البعد، وتحضر إحضار الجرد، وقد استتلت صبية أنحف من المغازل، وأضعف من الجوازل، فما كذبت إذ رأتنا أن عرتنا، حتى إذا حضرتنا، قالت حيا الله المعارف، وإن لم تكن معارف، اعلموا يا آمال الآمل، وثمال الأرامل، أني من سروات القبائل، وسريات العقائل، لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر، ويسيرون القلب، ويمطون الظهر، ويولون اليد، فلما أردى الدهر الأعضاد، وفجع بالجوارح الأكباد، وانقلب ظهرا لبطن، نبا الناظر، وجفا الحاجب، وذهبت العين، وفقدت الراحة، وصلد الزند، ووهت اليمين، وبانت المرافق، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب، فمذ اغبر العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، اسود يومي الأبيض، وابيض فودي الأسود

حتى رثى لي العدو الأزرق • فحبذا الموت الأحمر • وتلوي من ترون عينه فراره • وترجمانه اصفراره • قصوى بغية أحدهم ثردة • وقصارى منيته بردة • وكنت آليت أن لا أبذل الحر إلا للحر • ولو أني مت من الضر • وقد ناجتني القرونة • بأن توجد عندكم المعونة • وقد آذنتني فراسة الحوباء • بأنكم ينابيع الحباء • فنضر الله امرءا أبر قسمي • وصدق توسمي • ونظر إلي بعين يقذيها الجمود • ويقذيها الجود • **قال الحارث بن همام** فهمنا براعة عبارتها • وملح استعارتها • وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلحامك • فقالت أفجر الصخر ولا فخر • فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك • فقالت لأرينكم أولا شعاري • ثم لأروينكم أشعاري • فأبرزت ردن درع دريس • وبرزت برزة عجوز درديس • **وأنشأت** تقول

أشكو إلى الله اشتكاء المريض … ريب الزمان المتعدي البغيض

يا قوم إني من أناس غنوا … دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض

فخارهم ليس له دافع … وصيتهم بين الورى مستفيض

كانوا إذا ما نجعة أعوزت … في السنة الشهباء روض أريض

تشب للسارين نيرانهم … ويطعمون الضيف لحما غريض

مابات جار

ما بات جار لهم ساغبا … ولا لروع قال جاش الجريض

فغيضت منهم صروف الردى … بحار جود لم أخلها تغيض

وأودعت منهم بطون الثرى … أسد التحامي وأساة المريض

فمحملي بعد المطايا المطا … وموطني بعد اليفاع الحضيض

وأفرخي ما تأتلي تشتكي … بؤسا له في كل يوم وميض

إذا دعا القانت في ليله … مولاه نادوه بدمع يفيض

أتح لنا اللهم من عرضه … من دنس الذم نقي رحيض

يا رازق النعاب في عشه … وجابر العظم الكسير المهيض

يطفي نار الجوع عنا ولو … بمذقة من حازر أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم … ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له … يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لي صفحة … ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب • واستخرجت خبايا الجيوب • حتى ماحها من دينه الارتياح • وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح • فلما أفعم جيبها تبرا • وأولاها كل منا برا • تولت تتلوها الأصاغر •

وفوها بالشكر فاغر. فاشرأبت الجماعة بعد تصرمها الى سبرها. لتبلو مواقع
برها. فتكفلت لهم باستنباط السر المرموز. ونهضت أقفو أثر العجوز. حتى
انتهت الى سوق مغتصة بالأنام. مختصة بالزحام. فانغمست في الغمار. وامّلست
من الصبية الأغمار. ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال. فأماطت الجلباب.
ونضت النقاب. وأنا ألمحها من خصاص الباب. وأرقب ما ستبدي
من العجاب. فلما انسرت أهبة الخفر. رأيت محيا أبي زيد قد سفر.
فهممت بأن أهجم عليه. لأعنفه على ما أجرأ اليه. فاستلقى استلقاء
المتمردين. ثم رفع عقيرة المغردين. واندفع ينشد **نظم**

يا ليت شعري أدهري ... أحاط علماً بقدري
وهل درى كنه غوري ... في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه ... بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف ... عليهم وبنكر
أصطاد قوماً بوعظ ... وآخرين بشعر
وأستفز بخل ... عقلاً وعقلاً بخمر
وتارة أنا صخر ... وتارة أخت صخر

ولو سلكت

ولو سلكت سبيلا ... مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ... ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا ... عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره. وبديعة أمره. وما
زخرف في شعره من عذره. علمت أن شيطانه المريد. لا يسمع
التفنيد. ولا يفعل الا ما يريد. فثنيت الى أصحابي عناني. وأبثثتهم ما
أثبته عياني. فوجموا لضيعة الجوائز. وتعاهدوا على محرمة العجائز.

المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالمكية

حكى الحارث بن همام. قال نهضت من مدينة السلام. لحجة الاسلام.
فلما قضيت بعون الله التفث. واستبحت الطيب والرفث.
صادف موسم الخيف. معمعان الصيف. فاستظهرت للضرورة
بما يقي حر الظهيرة. فبينما أنا تحت طراف. مع رفقة ظراف. وقد حمي
وطيس الحصباء. وأعشى الهجير عين الحرباء. اذ هجم علينا شيخ متسعسع
يتلوه فتى مترعرع. فسلم الشيخ تسليم أديب أريب. وحاور محاورة
قريب لا غريب. فأعجبنا بما نثر من سمطه. وعجبنا من انبساطه قبل بسطه.

وقلنا له من أنت وكيف ولجت وما استكنت
فقال أما أنا فعافٍ وطالب إسعافٍ وسرّ ضرّي غير خافٍ
والنظر إلى تشفيع لي كافٍ وأما الإنسان الذي علق به الارتياب
فما هو بعجاب إذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنّى اهتدى إلينا
وبما استدلّ علينا فقال إن للكرم نشراً تنمّ نفحاته وترشد إلى روضه
فوحاته فاستدللت بأرج عرفكم على تبلّج عرفكم وبشّرني مضوّع رندكم
بحسن المنقلب من عندكم. فاستخبرناه حينئذ عن لبانته ليتكفّل
بإعانته. فقال إن لي مأرباً. ولفتاي مطلباً. فقلنا كلا المرامين سيقضى
وكلاكما سوف يرضى. ولكن الكبر الكبر. فقال أجل ومن دحى
الصبح الأغبر. ثم وثب للمقال. كالمنشط من العقال. **وأنشد**

إني امرؤ أبدعني	بعد الوجى والتعب
وشقّتي شاسعة	يقصر عنها خببي
وما معي خردلة	مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدّة	وحيرتي تلعب بي
إن ارتحلت راجلا	خفت دواعي العطب

وإن تخلّفت

وإن تخلّفت عن الركـ	ـب فقد ضاق مذهبي
فزفرتي في صعد	وعبرتي في صبب
وأنتم منتجع الرا	جي ومرمى الطلب
لهاكم منهلّة	ولا انهلال السحب
وجاركم في حرم	ووفركم في حرب
ما لاذ مرتاع بكم	فخاف غلب النوب
ولا استدرّ آمل	حباءكم فما حبي
فانعطفوا في قصّتي	واحسنوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي	في مطعمي ومشربي
أساءكم ضرّ الذي	أسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي	ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي	من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة	في أن ذا أبي أدبني
فليت أني لم أكن	أرضعت ثدي الأدب
فقد دهاني شؤمه	وعقّني فيه أبي

فقلت له أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسنميطك ما يوصلك إلى أبلدك فما مأربة ولدك. فقال له قم يا بني كما قام أبوك وفه بما في نفسك لا فض فوك. فنهض الفتى نهوض البطل للبراز. وأصلت لسانا كالعضب الجراز. وأنشأ **نظم**

يا سادة في المعالي • لهم مبان مشيدة
ومن إذا ناب خطب • قاموا بدفع المكيدة
ومن يهون عليهم • بذل الكنوز العتيدة
أريد منكم شواءً • وجردقاً وعصيدة
فإن غلا فرقاق • به توارى الشهيدة
أو لم يكن ذا ولا ذا • فشبعة من ثريدة
فإن تعذرن طرّاً • فعجوة ونهيدة
فاحضروا ما تسنّى • ولو شظاظ قديدة
وروّجوه فنفسي • لما يروج مريدة
والزاد لا بد منه • لرحلتي البعيدة
وأنتم خير رهط • يدعون عند الشديدة

أنبريكم كل يوم • لها أياد جديدة
وراحكم وصلات • شمل الصلات المعيدة
وبغيتي في معادي • ما ترفدون زهيدة
وفي أجر وعقبى • تغيركم بي حميدة
ولي نتائج فكر • يفضحن كل قصيدة

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الأسد. أرحلنا الوالد وزودنا الولد. فقابلا الصنع بشكر نشر رديه. وأديا به دينه. ولما عزما على الانطلاق وعقدا للرحلة حبك النطاق. قلت للشيخ هل صاحبت عند ساعة عوق. أم بقيت حاجة في نفس يعقوب. فقال حاش لله وكلا. بل جل معروفكم وجلى. فقلت له فدناكما دناك. وأفدنا كما أفدناك. أين الدويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة. فتنفس تنفس من ادكر أوطانه. وأنشد والشهيق يقيم لسانه.

سروج داري ولكن • كيف السبيل إليها
وقد أناخ الأعادي • بها وأخنوا عليها
فوالتي سرت أبغي • حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء • مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وآذنت مدامعه بالهموع، فكره أن يستوكفها
ولم يملك أن يكفكفها، فقطع إنشاده المستحلى، وأوجز في الوداع وولى

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

أخبر الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب، هامية الرباب
ولا أرق صب طريد عن الباب، وشجي ببعد الأحباب، فلم تزل الأفكار تهيج
همي، وتجول في الوساوس وهمي، حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن
أرزق سميرا من الفضلاء، ليقصر طول الليلة الليلاء، فما انفضت منيتي
ولا أغمضت مقلتي، حتى قرع الباب قارع، له صوت خاشع
فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر، وليل الحظ قد أقمر، فنهضت إليه
عجلان، وقلت من الطارق الآن، فقال غريب أجنه الليل
وغشيه السيل، ويبتغي الإيواء لا غير، وإذا أسحر قدم السير قال
فلما دل شعاعه على شمسه، وعنوانه على سر طرسه، علمت أن مسامرته غنم
ومساهرته نعم، ففتحت الباب بابتسام، وقلت ادخلوها بسلام، فدخل شخص
قد حناه الدهر وصعده، وبل القطر بردته، فحيا بلسان عضب، وبيان عذب
ثم شكر على تلبية صوته، واعتذر من الطروق في غير وقته، فأدنيت إليه المصباح

المتقد

المتقد، وتأملته تأمل المنتقد، فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب
ولا رجم غيب، فأحللته محل من أظفر بقصوى الطلب، ونقلني من قذى
الكرب إلى روح الطرب، ثم أخذ يشكو الأين، وأخذت في كيف وأين
فقال ابغني ريقي، فقد أتعبني طريقي، فظننته متبطنا للسغب
متكاسلا لهذا السبب، فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي، في
الليل الداجي، فانقبض انقباض المحتشم، وأعرض إعراض المتبشم
فسؤت ظنا بامتناعه، وأحفظني حؤول طباعه، حتى كدت أغلظ
له في الكلام، وأسعه بجمة الملام، فتبين من لمحات ناظري، ما خامر
خاطري، فقال يا ضعيف الثقة بأهل الثقة، عد عما خطر بالك
واستمع إلي لا أبا لك، فقلت هات يا أخا الترهات، فقال
اعلم أني بت البارحة حليف إفلاس، ونجي وسواس، فلما
قضى الليل نحبه، وغور الصبح شهبه، غدوت وقت الإشراق
إلى بعض الأسواق، متصديا لصيد يسنح، أو حر يسمح، فلحظت بها
تمرا قد حسن تصفيفه، وأحسن إليه مصيفه، فجمع على التحقيق
صفاء الرحيق، وقنوء العقيق، وقابلته لبأ قد برز كالإبريز الأصفر

وانجلى في اللون المزعفر • فهو يثني على طاهيه بلسان شاهده • ويصوب
رأي مشتريه • ولو نقد حبة القلب فيه • فأسرتني الشهوة بأشطانها
وأسلمتني القيمة إلى سلطانها • فبقيت أحير من ضب
وأذهل من صب • لا وجد يوصلني إلى نيل المراد • ولذعة الازدراد •
ولا قدم تطاوعني على الذهاب • مع حرقة الالتهاب • لكن حدا بي
القرم وسورته • والسغب وفورته • على أن انتجع كل أرض وأقنع
من الورد ببرض • فلم أزل سحابة ذلك النهار • أدلي دلوي إلى الأنهار
وهي لا ترجع ببلة • ولا تجلب نقع غلة • إلى أن ضعفت الشمس
للغروب • وضعفت النفس من اللغوب • فرحت بكبد حرى •
وأثنيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى • وبينما أنا أسعى وأقعد • وأهب
وأركد • إذ قابلني شيخ يتأوه أوه الثكلان • وعيناه تهملان •
فما شغلني ما أنا فيه من داء الذيب • والجوى المذيب • عن تعاطي
مداخلته • والطمع في مخاتلته • فقلت له يا هذا إن لبكائك لسرا • وإن وراء
تحرقك لشرا • فأطلعني على برحائك • واتخذني من نصحائك •
فإنك ستجد مني طبا آسيا • أو عونا مواسيا • فقال والله

ما أنا ذو عيش فات • ولا من دهر أفتات • بل لانقراض العلم ودروسه
وأفول أقماره وشموسه • فقلت وأي حادثة نجمت • وقضية
استعجمت • حتى هاجت لك الأسف • على فقد من سلف •
فأبرز رقعة من كمه • وأقسم بأبيه وأمه • لقد أنزلها بأعلام المدارس •
فما أمازوا عن الأعلام الدوارس • واستنطق لها أحبار المحابر •
فخرسوا ولا خرس سكان المقابر • فقلت أرنيها فلعلي أغني فيها •
فقال ما أبعدت في المرام • فرب رمية من غير رام • ثم ناولنيها •
فإذا المكتوب فيها نظم أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من
شبيه ∴ أفتنا في قضية حار عنها • كل قاض وحار كل فقيه ∴
رجل مات عن أخ مسلم • حر تقي من أمه وأبيه ∴ وله زوجة
لها أيها الحبر • أخ خالص بلا تمويه ∴ فحوت فرضها وحاز
أخوها • ما تبقى بالإرث دون أخيه ∴ فاشفنا بالجواب عما سألنا •
وهو نص لا خلف يوجد فيه فلما قرأت شعرها • ولمحت سرها •
قلت له على الخبير بها سقطت • وعند ابن نجدتها حططت •
إلا أني مضطرم الأحشاء • مضطر إلى العشاء • فأكرم مثواي • ثم

استمع فتواي •

فقال لقد انصفت في الاشتراط • وتجافيت عن الاشتطاط
فانهض معي الى ربعي • لتظفر بما تبتغي • وتنقلب كما ينبغي • قال
فصاحبته الى ذراه • كما حكم الله • فادخلني بيتا احرج من التابوت •
واوهن من بيت العنكبوت • الا انه جبر ضيق ربعه • بتوسعة ذرعه •
فحكمني في القرى • ومطايب ما يشترى • فقلت اريد ان يكون
راكبا على اشهى مركوب • وانفع صاحب مع اضر مصحوب •
فافكر ساعة طويلة • ثم قال لعلك تعني بنت نخيلة • مع لباء
سخيلة • فقلت اياهما عنيت • ولاجلهما تعنيت • فنهض نشيطا •
وربض مستشيطا • وقال اعلم اصلحك الله ان الصدق نباهة •
والكذب عاهة • فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الانبياء • وحلية
الاولياء • على ان تنحى بمين مانه • وتتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان •
فقد تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها • وتابى الدنية ولو اضطرت اليها •
ثم اني لست لك بزبون • ولا انخدع بصفقة مغبون • وما انا
قد انذرتك قبل ان نهتك الستر • وتتعقد بيننا الوتر • فلا تلغ
تدبر الانذار • وحذار من المكاذبة حذار • فقلت له والذي حرم اكل الربوا •

واحل اكل اللباء • ما فهت بزور • ولا دليتك بغرور •
وستخبر حقيقة الامر • وتحمد بذل اللباء والتمر • فهش هشاشة
المصدوق • وانطلق مغذا الى السوق • فما كان اسرع من
ان اقبل بهما يذلح • ووجهه يتكلح • فوضعهما لدي • ووضع المتن
علي • وقال اضرب الجيش بالجيش • تحظ بلذة العيش • فحسرت
عن ساعد النهم • وحملت حملة الفيل الملتهم • وهو يلحظني كما يلحظ
الحنق • ويود من الغيظ لو اختنق • حتى اذا التهمت النوعين •
وغادرتهما اثرا بعد عين • افردت حيرة في اطلال الابيات •
وفكرة في جواب الابيات • فما لبث ان قام • واحضر الدواة
والاقلام • وقال قد ملات الجراب • فامل الجواب • والا فهيا ان
نكلت لاغترام ما اكلت • فقلت له ما عندي الا التحقيق
فاكتب الجواب وبالله التوفيق شعر

قل لمن يلغز المسائل اني •	كاشف سرها الذي تخفيه
ان ذاك الميت الذي قد •	م الشرع اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوج ابنه برضاه •	بحماة له ولا غرو فيه

ثم مات ابنه وقد علقت • منه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء • واخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى ال • جد واولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزو • جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في • الاصل اخوها من امها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار • ث وقلنا يكفيك ان تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذ • يها كل قاض يقضي وكل فقيه

قال فلما ابنت الجواب • واستثبت منه المصوب • قال لي اهلك والليل • فشمر الذيل وبادر السيل • فقلت اني بدار غربة • وايواي افضل قربة • لا سيما وقد اغدف جنح الظلام • وسبح الرعد في الغمام • فقال اعزب عافاك الله الى حيث شئت • ولا تطمع في ان تبيت • فقلت ولم ذاك مع خلو ذراك • قال لأني انعمت اليك النظر في التقامك ما حضر • حتى لم تبق ولم تذر • فرأيتك لا تنظر في مصلحتك • ولا تراعي حفظ صحتك • ومن امعن فيما امعنت • وتبطن ما تبطنت • لم تخلص من كظة مدنفة •

او هيضة متلفة • فدعني بابيك كفافا • واخرج عني ما دمت معافا • فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت • فلما سمعت اليته • وبلوت بليته • خرجت من بيته بالرغم • وتزودت الغم • تجودني السماء • وتخبطني الظلماء • وتنبحني الكلاب • وتتقاذفني الابواب • حتى ساقني اليك لطف القضاء • فشكر اليد البيضاء • فقلت له احبب بلقائك المتاح • الى قلبي المرتاح • ثم اخذ يفتن في حكاياته • ويشمط مضحكاته بمبكياته • الى ان عطس انف الصباح • وهتف داعي الفلاح • فتأهب لاجابة الداعي • ثم عطف الى وداعي • فعقته عن الانبعاث • وقلت الضيافة ثلاث • فناشد وحرج • ثم ام المخرج • وانشد اذ عرج

لا تزر من تحب في كل شهر • غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم • ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحارث بن همام فودعته بقلب داعي القرح • ووددت لو ان ليلتي بطية الصبح

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد
المغرب فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة قد
انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كاس
المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة
تستفاد وادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل عليهم
وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار
ويبغي ملح الحوار لا ممالح الحوار فحلوا الي الحبا وقالوا مرحبا مرحبا
فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف او نغبة طاير خايف
حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين
وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب والفضل اللباب
اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات وامتن اسباب
النجاة مواساة ذوي الحاجات واني ومن احلني ساحتكم واتاح
لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد ضيبة خماص فهل في
الجماعة من يفثأ عنا حميا المجاعة فقالوا يا هذا انك حضرت
بعد العشاء ولم يبق الا فضلات العشاء فان كنت بها

قنوعا

قنوعا فما تجد فينا ممنوعا فقال ان اخا الشدايد ليقنع بلفاظات
الموايد ونفاضات المزاود فامر كل منهم عبده ان يزوده
ما عنده فاعجبه الصنيع وشكر عليه وجلس يرقب ما يحمل اليه
وثبنا نحن الى استثارة ملح الادب وعيونه واستنباط معينه من
عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس
فقد اعيينا الى ان نستنتج له الافكار ونفترع منه الابكار على ان
ينظم البادي ثلاث جمانات في عقد ثم يتدرج الزايد ذات
من بعده فيربع ذو ميمنته في نظمه ويسبع صاحب ميسرته على
رغمه قال الحارث وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف وتالفنا
الفة اصحاب الكهف فابتدر المعظم جنبتي صاحب ميمنتي وقال لم
اخا ملل وقال ميامنه كبر رجاء اجر ربك وقال الذي يليه من
يرب اذا بر ينم وقال الاخر سكت كل من نم لك تكس
وافضت النوبة الي وقد تعين نظم السمط السباعي علي
فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويغير وفي ضمن ذلك
استطعم فلا اجد من يطعم الى ان ركد النسيم وحصحص التسليم

فقلت لأصحابي لو حضر السروجي هذا المقام • لشفى الداء العقام •

فقالوا لو أنزلت هذه بإياس • لأمسك منها على ياس • وجعلنا

نغيض في استصعابها • واستغلاق بابها • وذلك الضيف المعتري •

يلحظنا لحظ المزدري • ويؤلف الدرر ونحن لا ندري • فلما عثر على

اقتضاحنا • ونضوب ضحضاحنا • قال يا قوم إن من العناء العظيم •

استيلاد العقيم • والاستشفاء بالسقيم • وفوق كل ذي علم عليم •

ثم أقبل علي وقال سأنوب منابك • وأكفيك ما نابك • فإن شئت

أن تنثر ولا تعثر • فقل مخاطباً لمن ذم البخل • وأكثر العذل • لن يبخل مؤمل

إذا ألم وملك بذل • وإن أحببت أن تنظم • فقل للذي تعظم •

أس أرملا إذا عرا	وارع إذا المرء أسا
أسند أخا نباهة	أبن إخاء دنسا
أسل جناب غاشم	مشاغب إن جلسا
أسر إذا هب مرا	وارم به إذا رسا
اسكن تقو فعسى	يسعف وقت نكسا

قال فلما سحرنا بآياته • وحسرنا ببعد غاياته • مدحناه حتى استعفى •

ومنحناه

ومنحناه إلى أن استكفى • ثم شمر ثيابه • وأزر فرجرابه ونهض

ينشد لله در عصابة صدق المقال مقاولا

فاقوا الأنام فضائلا	مأثورة وفواضلا
جاورتهم فوجدت سحـ	ـبانا لديهم باقلا
وحللت فيهم سائلا	فلقيت جوداً سائلا
أقسمت لو كان الكرا	م حياً لكانوا وابلا

ثم خطا قيد رمحين • وعاد مستعيذاً من الحين • وقال يا عزم عدم الآل

وكثر من سلب الملال • إن الغاسق قد وقب • ووجه المحجة قد

انتقب • وبيني وبين كني ليل دامس • وطريق طامس • فهل من

مصباح يؤمنني العثار • ويبين لي الآثار • قال فلما جيء بالملتمس

وجلى الوجوه ضوء القبس • رأيت صاحب صيدنا • هو أبو زيدنا •

فقلت لأصحابي هذا الذي أشرت إليه إذا نطق أصاب •

وإن استمطر صاب • فأتلعوا نحوه الأعناق • وأحدقوا به الأحداق •

وسألوه أن يسامرهم ليلته • على أن يجبروا عيلته • فقال حبا لما

أحببتم • ومرحبا بكم إذ رحبتم • غير أني قصدتكم وأطفالي يتضورون

من الجوع • ويدعون لي يوشك الرجوع • وإن استأنوني خامرهم
الطيش • ولم يصف لي العيش • فدعوني لأذهب فأسد مخمصتهم •
وأسيغ غصتهم • ثم انقلب إليكم على الأثر • متأهبا للسمر إلى السحر
فقلنا لأحد الغلمة اتبعه إلى فئته • ليكون أسرع لفيئته • فانطلق
معه مضطبنا جرابه • ومحتثا إيابه • وأبطأ إبطاء جاوز حده • ثم عاد
الغلام وحده • فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث • فقال أخذني
في طرق متعبة • وسبل متشعبة • حتى أفضينا إلى دويرة خربة •
فقال ههنا مناخي • ووكر أفراخي • ثم استفتح بابه • واختلج مني
جرابه • وقال لعمري لقد خففت عني • واستوجبت الحسنى مني •
فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح • ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنى نخلة	فلا تقربنها إلى قابل
وإما سقطت على بيدر	فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت	فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن إذا ما سبحت	فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف	وبع آجلا منك بالعاجل

ولا

ولا تكثرن على صاحب	فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك • واقتد بها في أمورك • وبادر
إلى صحبك في كلاءة ربك • فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي • واتل
عليهم نصيحتي • وقل لهم عني إن السهر في الخرافات • لمن أعظم
الآفات • ولست ألغي احتراسي • ولا أجلب الهوس إلى راسي •
قال الراوي فلما وقفنا فحوى شعره • على بكره ومكره • تلاومنا على
تركه • والاغترار على إفكه • ثم تفرقنا بوجوه باسرة • وصفقة خاسرة •

وصيتي ط

[illegible]

المقامة السابعة عشر وتعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين •
ومطامح العين • فتية عليهم سيماء الحجى • وطلاوة نجوم الدجى •
وهم في مماراة مشتجرة الهبوب • ومباراة مستشيطة الألهوب •
فهزني لقصدهم هوى المحاضرة • واستحلاء جنى المناظرة •
فلما التحقت برهطهم • وانتظمت في سمطهم • قالوا أأنت ممن
يبلي في الهيجاء • ويلقي دلوه في الدلاء • فقلت بل أنا من نظارة
الحرب • لا من أبناء الطعن والضرب • فاضربوا عن حجاجي •

وأفاضوا في التناجي • وكان في بحبوحة حلقتهم • وإكليل رفقتهم شيخ
قد برته الهموم • ولوحته السموم • حتى عاد أنحل من قلم • وأقحل من جلم •
إلا أنه كان يبدي العجاب إذا أجاب • ويسبي السحاب كلما أبان •
فأعجبت بما أوتي من الإصابة • والتبريز على تلك العصابة •
وما زال يفضح كل معمى • ويصمي في كل مرمى • إلى أن خلت الجعاب •
ونفد السؤال والجواب • فلما رأى انفضاض القوم • واضطرارهم إلى
الصوم • عرض في المطارحة • واستأذن في المفاتحة • وقالوا له
حبذا • ومن لنا بذا • فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها • وصبحها
مساؤها • نسجت على منوالين • وتجلت في لونين • وصلت
إلى جهتين • وبدت ذات وجهين • إن بزغت من مشرقها فناهيك
بروقها • وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها • قال فكأن القوم
رموا بالصمات • وحقت عليهم كلمة الإنصات • فما نبس منهم إنسان
ولا فاه لأحدهم لسان • فحين رآهم بكما كالأنعام • وصموتا كالأصنام •
قال لهم أجلتكم أجل العدة • وأرخيت لكم طول المدة • ثم ها هنا
مجمع الشمل • وموقف الفصل • فإن سمحت خواطركم مدحنا • وإن شكت

زنادكم

زنادكم قدحنا • فقالوا والذي ما لنا في لجة هذا البحر مسبح
ولا في ساحله مسرح • فأرح أفكارنا من الكد • وهنئ العطية
بالنقد • واتخذنا إخوانا يثبتون إذا وثبت • ويثبون متى استثبت •
فأطرق ساعة • ثم قال سمعا لكم وطاعة • فاستملوا مني •
وانقلوا عني • الإنسان صنيعة الإحسان • ورب الجميل فعل
الندب • وشيمة الحر ذخيرة الحمد • وكسب الشكر استثمار السعادة •
وعنوان الكرم تباشير البشر • واستعمال المداراة يوجب المصافاة •
وعقد المحبة يقتضي النصح • وصدق الحديث حلية اللسان • وفصاحة
المنطق سحر الألباب • وشرك الهوى آفة النفوس • وملل
الخلائق شين الخلائق • وسوء الطمع يباين الورع • والتزام الحزامة
زمام السلامة • وتطلب المثالب نشر المعايب • وتتبع العثرات
يدحض المودات • وخلوص النية خلاصة العطية • وتهنئة النوال
ثمن السؤال • وتكلف الكلف يسهل الخلف • وتنقص المعونة
ينفي المؤونة • وفضل الصدر سعة الصدر • وزينة الرعاة بعث
السعاة • وجزاء المدائح بث المنائح • ومهر الوسائل تشفيع المسائل

ومجلبة الغواية استغراق الغاية • وتجاوز الحد يكل الحد • وتعدي
الأدب يحبط القرب • وتناسي الحقوق ينشئ العقوق • وتحاشي
الريب يرفع الرتب • وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار • وتنوه الأقدار
بمواتاة الأقدار • وشرف الأعمال في تقصير الآمال • وإطالة الفكرة تنقيح
الحكمة • ورأس الرياسة تهذيب السياسة • ومع اللجاجة تلغى الحاجة •
وعند الأوجال تتفاضل الرجال • وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم •
وبتزيد السفير يهجن التدبير • وبتخلل الأحوال تتبين الأهوال •
وبموجب الصبر ثمرة النصر • وباستحقاق الأحماد بحسب الاجتهاد •
وبوجوب الملاحظة كفاء المحافظة • وصفاء الموالي بتعهد الموالي •
وتحلي المروات بحفظ الأمانات • واختبار الإخوان بتخفيف
الأحزان • ودفع الأعداء بكف الأوداء • وامتحان العقلاء بمقارنة
الجهلاء • وتبصر العواقب يؤمن المعاطب • واتقاء الشنعة
ينشر السمعة • وقبح الجفاء ينافي الوفاء • وجوهر الأحرار عند الأسرار •
ثم قال هذه مائة لفظة تحتوي على أدب وعظة • فمن ساقها
هذا المساق فلا مراء ولا اشتقاق • ومن رام عكس قالبها وأن يردها

على عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار • وجوهر الوفاء ينافي الجفاء •
وقبح السمعة ينشر الشنعة • ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها •
حتى تكون خاتمة فقرتها • وآخرة دررها • ورب الإحسان صنيعة الإنسان •
قال الراوي فلما صدع برسالة الفريقة • والملوحة المفيدة علمنا
كيف تتفاضل الإنشاء • وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء • ثم
اعتلق كل منا بذيله • وفلذ له فلذة من نيله • فأبى قبول فلذتي • و
قال لست أرزأ تلامذتي • فقلت له كن أبا زيد على شحوب
سحنتك • ووضوب ماء وجنتك • فقال أنا هو على تحولي وتحولي •
وتقشف محولي • فأخذت في تزنيبه على تشريقه وتغريبه •
فحوقل واسترجع • ثم أنشد من قلب موجع نظم

سل الزمان علي عضبه	ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كرا	ه مراغما وأسال غربه
وأجالني في الأفق أطوي	شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في	كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه	متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه، ويخطر بيديه، ونحن بين متلفت إليه، ومتهافت عليه، ثم لم نلبث أن حللنا الحبى، وتفرقنا أيادي سبا.

المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجارية

حكى الحارث بن همام قال: قفلت ذات مرة من الشام، أنحو مدينة السلام، في ركب من بني نمير، ورفقة أولي خير ومير، ومعنا أبو زيد السروجي، عقلة العجلان، وسلوة الثكلان، وأعجوبة الزمان، والمشار إليه بالبنان، في البيان. فصادف نزولنا سنجار، أن أولم بها بعض التجار، فدعا إلى مأدبته الجفلى، من أهل الحضارة والفلا، حتى سرت دعوته إلى القافلة، وجمع فيها بين الفريضة والنافلة. فلما أجبنا مناديه، وحللنا ناديه، أحضر من أطعمة اليد واليدين، ما حلا في الفم وحلي بالعين، ثم قدم جاما كأنما جمد من الهواء، أو جمع من الهباء، أو صيغ من نور الفضا، أو قشر من الدرة البيضاء، وقد أودع لفايف النعيم، وضمخ بالطيب العميم، وسيق إليه شرب من تسنيم، وسفر عن وجه وسيم، وأرج نسيم، فلما اضطرمت بحضرتنا الشهوات، وترامت إلى مخبره اللهوات، وتشارف أن تشن إليه الغارات، وتنادى

عند

عند تخبيه بالثارات، نشز أبو زيد كالمجنون، وتباعد عنه تباعد الضب عن النون، فراودناه على أن يعود، وأن لا يكون كقدار في ثمود، فقال: والذي ينشر الأموات من الرجام، لا عدت دون رفع الجام، فلم نجد بدا من تألفه، وإبرار حلفه، فاستقلناه والعقول معه سائلة، والدموع عليه سائلة، فلما فاء إلى مجثمه، وخلص من مأثمه، سألناه لم قام، ولأي معنى استرفع الجام، فقال: إن الزجاج نمام، وإني آليت منذ أعوام، أن لا يضمني ونموما مقام. فقلنا: وما سبب يمينك الصارمة، وأليتك الحازمة؟ فقال: إنه كان لي جار، لسانه يتقرب، وقلبه عقرب، ولفظه شهد ينقع، وحشوه سم منقع، فملت لمجاورته، إلى محاورته، واغتررت بكاشرته، في معاشرته، واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته، وأغرتني خدعة سمته بمناسمته، فمازجته وعندي أنه جار مكاشر، فبان أنه عقاب كاسر، وآنسته على أنه حب مواس، فوضح أنه حباب موالس، وما لحته ولا أعلم أنه عند نقره ممن يفرح بعقره، وعاقرته ولم أدر أنه بعد فره ممن يطرب لمغره، وكانت عندي

جارية لا يوجد لها في الكمال مجارية • إن سفرت خجّلت النيّرين •
وصليت القلوب بالنيران • وإن بسمت أزرت بالجمان • وبيع
المرجان بالمجان • وإن رنت هيّجت البلابل • وحقّقت سحر بابل • وإن
نطقت عقلت لبّ العاقل • واستنزلت العصم من المعاقل • وإن
قرأت شفت المفؤود • وأحيت الموءود • وخلتها أوتيت من مزامير
آل داود • وإن غنّت ظلّ معبد لها عبدا • وقيل سحقا لإسحق وبعدا •
وإن زمرت أضحى زنام عندها زنيما • بعد أن كان بحبله زعيما •
وبالأطراب زعيما • وإن رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس • و
أنستك رقص الحبب في الكؤوس • فكنت أزدري معها حُمر النعم •
وأحلى بتمليها جيد النعم • وأحجب خبرها عن الشمس والقمر • وأذود
ذكرها عن شرائع السمر • وأنا مع ذلك البجح من أن تسري
برياها ريح • أو يكهن بها سطيح • أو ينمّ عليها برق مليح • واتفق
لوشل الحظ المبخوس • ونكد الطالع المنحوس • أن أنطقني بوصفها حميّا
المدام • عند الجار النمام • ثم ثاب الفهم • بعد أن صرد السهم •
فحسست الخبال والوبال • وضيعة ما أودع ذلك الغربال • بيدائي

عاهدته على كتم ما لفظته • وأن يحفظ السر ولو أحفظته •
فزعم أنه يخزن الأسرار • كما يخزن اللئيم الدينار • وأنه لا يهتك
الأستار • وإن عرض لأن يلج النار • فما غبر على ذلك من الزمان •
إلا يوم أو يومان • حتى بدا للأمير تملك المدرة • وواليها • ذي المقدرة •
أن يقصد باب قيله • مجددا عرض خيله • ومستمطرا عارض نيله •
وأراد أن تصحبه تحفة تلائم هواه • ليقدمه بين يدي نجواه • وجعل
يبذل الجعائل لروّاده • ويبني المراغب لمن يظفر بمراده • فاستفّ
ذلك الجار المختار إلى بذوله • وعصى في ادّراع العار في عذل
عذوله • فأتى الوالي ناشرا أذنيه • وأبثّه ما كنت أسررته إليه •
فما راعني إلا انسياب صاغيته إليّ • وانثيال حفدته عليّ •
يسومني إيثاره بالدرة اليتيمة • على أن أحتكم عليه في القيمة •
فغشيني من الغم ما غشي فرعون وجنوده من اليم • ولا أزال أدافع
عنها ولا يغني الدفاع • واستشفع إليه ولا يجدي الاستشفاع •
وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص • وارتياد المناص • تجرّم وتضرّم •
وحرّق عليّ الأرّم • ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة بدري

ولا بان أنزع قلبي من صدري • حتى آل الوعيد إيقاعاً • والتقريع
قراعاً • فقادني الإشفاق من الحين • إلى أن قصصت سواد العين
بصفرة العين • ولم يحظ الواشي بغير الإثم والشين • فعاهدت الله
تعالى مذ ذلك العهد • أن لا أحاضر نماماً من بعد • والزجاج مخصوص
بهذه الطباع الذميمة • وبه يضرب المثل في النميمة • وقد جرى عليه
سيل يميني • ولذلكم السبب لم تمتد إليه يميني نظم

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته • على أن حرمتم بي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وإنني • سأرتق فتقي من تليد وطارف
على أن ما زودتكم من فكاهة • ألذ من الحلوا الذي كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره • وقبلنا عذاره • وقلنا له
قدماً وقذت النميمة خير البشر • حتى انتزع حمالة الحطب
ما انتشر • ثم سألناه عما أحدث جاره القتات • ودخلة المقتات
بعد ما أرش له نبل السعاية • وجذم له حبل الرعاية • فقال أخذ في
الاستخذاء والاستكانة • والاستشفاع إلي بذوي المكانة •
وكنت حرجت على نفسي • أن لا يسترجعه أنسي أو يرجع إلى

أنسي

أنسي • فلم يكن له مني سوى الرد • والإصرار على الصد • وهو
لا يكترث من البجه • ولا يتثبت عن وقاحة الوجه • بل يلظ بالوسائل
ويلح بالمسائل • فما أنقذني من إبرامه • ولا أبعد عليه نيل مرامه •
إلا أبيات نفثت بها الصدر الموتور • والخاطر المبتور • فإنها
كانت مدرجة لشيطانه • ومسجنة له في أوطانه • وعند
انتشارها بت طلاق الجور • ودعا بالويل والثبور • وأيس من
نشر وصلي المقبور • كما يئس الكفار من أصحاب القبور • فاستنشدناه
أن ينشدنا إياها • ويشنفنا رياها • فقال أجل خلق الإنسان من عجل • ثم
أنشد لا يزويه خجل • ولا يثنيه وجل نظم

ونديم محضته صدق ودي • إذ توهمته صديقاً حميما
ثم أوليته قطيعة قال • حين ألفيته صديداً حميما
خلته قبل أن يجرب لفا • ذا ذمام فبان خلفاً ذميما
وتخيرته كليماً فأمسى • منه قلبي بما جناه كليما •
وتظنيته معيناً رحيما • فتبينته لعيناً رجيما •
وتراءيته مريداً فتجلى • عن شبكي لعربد أثيما •

فتوهمت أن يهب نسيما • فأبى أن يهب إلا سموما
بت من لسعه الذي أعجز الرا • قي سليما وبات مني سليما
وغدا أمره غداة افترقنا • مستقيما والجسم مني سقيما •
لم يكن رابعا خصيبا ولكن • كان بالشر رابعا لي خصيما •
قلت لما بلوته ليته كا • ن عديما ولم يكن لي نديما •
بغض الصبح حين نم إلى • قلبي لأن الصباح يلفى نموما
ودعاني إلى هوى الليل إذ • كان سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه •
بالصدق أثاما فيما أتاه ولوما

قال ولما سمع رب المنزل قريضه وسجعه • واستملح تقريظه وسبعه •
بوأه مهاد كرامته • وصدره على تكرمته • ثم استحضر عشر
صحايف من الغرب • فيها حلوا القند والضرب • وقال له لا يستوي
أصحاب النار وأصحاب الجنة • ولا يسع أن يجعل البريء كذي الظنة •
وهذه الآنية تتنزل منزلة الأبرار • في صون الأسرار • ولا تولها الإبعاد •
ولا تلحق هودا بعاد • ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه • ليحكم فيها بما يهواه •

فأقبل

فأقبل علينا أبو زيد وقال اقرءوا سورة الفتح • وابشروا باندمال
القرح • فقد جبر الله تعالى ثكلكم • وسنى أكلكم • وجمع في ظل الحلواء شملكم •
وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم • ولما هم بالانصراف •
مال إلى استهداء الصحاف • فقال للأديب إن من دلائل الظرف
سماحة المهدي بالظرف • فعاطاهما والغلام • فاحذف الكلام •
وانهض بسلام • فوثب في الجواب • وشكره شكر الروض للسحاب •
ثم اقتادنا أبو زيد إلى حوائه • وحكمنا في حلوائه • وجعل يقلب
الأواني بيده • ويفض عددها إلى عدده • ثم قال لست أدري
أأشكو ذلك النمام أم أشكر • وأتناسى فعلته أم أذكر • فإنه وإن
كان أسلف الجريمة • ونمنم النميمة • فمن غيمه انهلت هذه الديمة •
ومن سيفه انحازت لي هذه الغنيمة • وقد خطر ببالي أن أرجع إلى
اشتبائي • وأقنع بما أسنى لي • وأن لا أتعب نفسي ولا أجمالي • وأنا
أودعكم وداع محافظ • وأستودعكم خير حافظ • ثم استوى على
راحلته • راجعا في حافرته • ولاويا إلى زافرته • فغادرنا بعد أن وحدت
عنسه • وزايلنا أنسه • كدست غاب صدره • أو ليل أفل بدره •

المقامة التاسعة عشرة وتعرف بالنصيبية

روى الحارث بن همام قال أمحل العراق ذات العويم • لإخلاف أنواء الغيم • وتحدث الركبان بريف نصيبين • ولين جنبة أهلها المحسنين • فاقتعدت مهرياً • واعتقلت سمهرياً • وسرت تقذفني أرض إلى أرض • ويجذبني رفع من خفض • حتى بلغتها نقضاً على نقض • فلما ألحقتني مغانيها الخصيب • وضربت بمرعيها بنصيب • نويت أن ألقي بها جراني • وأتخذ أهلها جيراني • إلى أن يحيي السنة الجماد • ويتعهد أرض قومي العهاد • فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها • ولا تمخضت ليلتي عن يومها • أو ألفيت بها أبا زيد السروجي • يجول في أرجاء نصيبين • ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين • وهو ينثر فيه الدرر • ويحتلب بكفه الدرر • فوجدت جهادي قد حاز مغنماً • وقدحي الفذ قد صار توأماً • ولم أزل أتبع ظله أينما انبعث • وألتقط لفظه كلما نفث • إلى أن عراه مرض امتد مداه • وعرقه مداه • حتى كاد يسلبه ثوب المحيا • ويسلمه إلى أبي يحيى • فوجدت لفوت لقياه • وانقطاع سقياه • ما يجد المبعد عن مرامه • والمرضع عند فطامه • ثم أرجفت بأن رهنه

قد

قد غلق • ومخلب الحمام به قد علق • فقلق صحبه لإرجاف المرجفين • وانثالوا إلى عقوته موجفين

نظم

حيارى يميد بهم شجوهم •
كأنهم ارتضعوا الخندريسا • أسالوا الغروب وعطوا الجيوب •
وصكوا الخدود وشجوا الرؤوسا • يودون لو سالمته المنون •
وغالت نفائسهم والنفوسا •

قال الراوي وكنت فيمن التف بأصحابه • واغتدى إلى بابه • فلما انتهينا إلى فنائه • وتصدينا لاستنشاء أنبائه • برز إلينا فتاه • مفترة شفتاه • فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته • وكنه قوى حركاته • فقال قد كان في قبضة المرضة • وعركة الوعكة • إلى أن شف الدنف • واستشف التلف • ثم من الله تعالى بتقوية ذمائه • فأفاق من إغمائه • فارجعوا أدراجكم • وانضوا انزعاجكم • فكأن قد غدا وراح • وساقاكم الراح • فأعظمنا بشراه • وأقرضناه ثراه • ودخل موذناً بنا • ثم خرج آذناً لنا • فلقيناه نقي وسناً • طلقاً • وجلسنا محدقين بسريره • محدقين إلى أساريره • فقلب طرفه في الجماعة • ثم قال اجتلوا هابنت الساعة • وأنشد

نظم

عافاني الله وشكراً له • من علة كادت تعفيني

ومن بالبرء على أنه	لا بد من حتف سيبريني
ما يتناساني ولكنه	إلى تقضي الأكل ينسيني
إن حم لم يغن حميم ولا	حمى كليب منه يحميني
وما أبالي أدنا يومه	أم أخر الحين إلى حين

فأي فخر في حيوة أرى
فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل. وارتداد الوجل. ثم تداعينا إلى القيام
لاتقاء الإبرام. فقال كلا بل البثوا بياض يومكم عندي. لتشفوا
بالمفاكهة وجدي. فإن مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس أنسي.
فتحرينا مرضاته. وتحامينا معاصاته. فأقبلنا على الحديث نمخض
زبده. ونلغي زبده. إلى أن حان وقت المقيل. وكلت الألسن من
القال والقيل. وكان يوما حامي الوديقة. يانع الحديقة. فقال إن النعاس
قد أمال الأعناق. وراود الآماق. وهو خصم الألد. وخطب لا يرد.
فصلوا أجله بالقيلولة. واقتدوا فيه بالآثار المنقولة. قال الراوي فاتبعنا
ما قال. وقلنا وقال. فضرب الله على الآذان. وأفرغ السنة في الأجفان.

حتى

حتى خرجنا من حكم الوجود. وصرفنا بالهجود عن السجود. فما استيقظنا
إلا والحر قد باخ. واليوم قد شاخ. فتكرعنا لصلوة العجماوين.
وأدينا ما حل من الدين. ثم تحثحثنا الارتحال إلى ملتقى الرحال فالتفت
أبو زيد إلى شبله. وكان على شاكلته وشكله. وقال إني لأخال أبا عمرة
قد أضرم في أحشائهم الجمرة. فاستدع أبا جامع. فإنه بشرى كل
جائع. وأردفه بأبي نعيم. الصابر على كل ضيم. ثم عزز بأبي حبيب
المحبب إلى كل لبيب. المقلب بين إحراق وتعذيب. وأهب
بأبي ثقيف. فحبذا هو من أليف. وهلم بأبي عون. فما مثله من عون.
ولو استحضرت أبا جميل. لجمل أي تجميل. وحيهل بأم القرى. المذكرة
بكسرى. فلا تتناس أم جابر. فكم لها من ذاكر. وناد أم الفرج. ثم
أفكه بها ولا حرج. واختم بأبي رزين. فهو مسلاة كل حزين. وإن
تقرن بها أبا العلاء. تمح اسمك من البخلاء. وإياك واستدناء الجرجين
قبل استقلال حمول البين. وإذا انتزع القوم عن المرس. و
صافحوا أبا إياس. فأطف عليهم أبا الثرو. فإنه عنوان السرو.
قال ففقه ابنه لطائف رموزه. بلطافة تمييزه. فطاف

علينا بالطيبات والطيب. الى ان آذنت الشمس بالمغيب. فلما اجمعنا
على التوديع فقلنا له الم تر الى هذا اليوم البديع. كيف بدا
صبحه قمطريرا. ومسيه مستنيرا. فسجد حتى اطال ثم رفع راسه وقال نظم

لا تيأسا عند النوب. من فرجة تجلو الكرب.

فلكم سموم هب ثم جرى نسيما فانقلب.

وسحاب مكروه تنشأ فاضمحل وما سكب.

ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب.

ولطالما طلع الأسى. وعلى تقفيه غرب.

فاصبر اذا ما ناب روع فالزمان ابو العجب.

وترج من روح الاله لطايفا لا تحتسب. قال فتملينا ابيات الغر
وحمدنا الله تعالى الشكر. وودعناه مسرورين ببرئه. مغمورين ببره.

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والكنى الطفيلية والكنايات الصوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم. ومثله ذات الزمين.
والبلهنية رغد العيش. ومنه قولهم عيش ابله. والسمهرية رماح وفي
تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم
اسمهر الشيء اذا اشتد. وقيل انها منسوبة الى سمهر وهو زوج
ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما. وقوله ضرب الله تعالى
على الآذان اي انامنا. ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف
اي انمناهم. وقيل في تفسيره ومنعناهم السمع. وقوله بكر عنا الصلوة
العجماوين اي غسلنا اكارعنا وهو كناية عن الوضوء. والعجماوان صلوتا
الظهر والعصر. سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما. ومنه الحديث
صلوة النهار عجماء. وقوله هلم اي قل له هلم وهي تاتي بمعنى هات
وبمعنى اقبل. والافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمونث والاثنين
والجمع. وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا. ومن العرب
من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما. وللجمع هلموا. وللمونث الواحدة
هلمي وللاثنين هلما. وللجمع هلممن. وقوله حيهل اي عجل ويقال حيهل
بفلان بتسكين اللام وفتحها. وتنوينها. وباثبات النون معها. ومنه قول
ابن مسعود في عمر رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر. وفي حيهل
لغات اخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها. فهذا
تفسير الالفاظ اللغوية. واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية

السمهرية

فابو يحيى كنية ملك الموت • وابو عمرة كنية الجوع • ويكنى ايضا
ابا مالك • وابو جابر كنية الخبز • وابو نعيم كنية الخبز الحوارى •
وابو حبيب الجدى • وابو ثقيف الخل • وابو عون الملح • وابو جميل
البقل • وام القرى السكباج • وام جابر الهريسة • وام الفرج الجوزابة •
وابو رزين الخبيص • وابو العلاء الفالوذج • وابو يأس الغسول •
والمرجفان الطشت والابريق • وابو النشر البخور •

المقامة العشرون وتعرف بالفارقية

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين • مع رفقة موافقين • لا يمارون
في المناجاة • ولا يدرون ما طعم المداجاة • فكنت بهم كمن لم يرم
عن وجاره • ولا ظعن عن الفه وجاره • فلما انخنا بها مطايا التسيار •
وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار • تواصينا بتذكار الصحبة • وتناهينا
عن التقاطع في الغربة • واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار • ونتهادى
فيه طرف الاخبار • فبينا نحن في بعض الايام • وقد انتظمنا في
سلك الالتيام • وقف علينا ذو مقول جري • وجرس جهوري •
فحيا تحية نفاث في العقد • قناص للاسد والنقد • ثم قال • نظم

عندي يا قوم حديث عجيب • فيه اعتبار للبيب الاريب •
رأيت في ريعان عمري اخا • بأس له حد الحسام القضيب •
يقدم في المعرك اقدام من • يوقن بالقتل ولا يستريب •
فيفرج الضيق بكراته • حتى يرى ما كان ضنكا رحيب •
ما بارز الاقران الا انثنى • عن موقف الطعن برمح خضيب •
ولا سما يفتح مستصعبا • مستغلق الباب منيعا مهيب •
الا ونودي حين يسمو له • نصر من الله وفتح قريب •
هذا وكم من ليلة باتها • يميس في برد الشباب القشيب •
يرشف العيد ويرشفنه • وهو لدى الكل المفدى الحبيب •
فلم يزل يبتزه دهره • ما فيه من بطش وعود صليب •
حتى اصارته الليالى لقى • يعافه من كان منه قريب •
قد اعجز الراقي تحيل ما • به من الداء واعيا الطبيب •
وصار من بيض وصار منه • من بعد ما كان المجاب المجيب •
واض كالمنكوس في خلقه • ومن يعش يلق دواهي المشيب •
وها هو اليوم مسجى فمن • يرغب في تكفين ميت غريب •

ثم إنه أعلن بالنحيب • وبكى بكاء المحب على الحبيب • ولما رقأت
دمعته • وانقضت لوعته • قال يا نجعة الرواد • وقدوة الأجواد •
والله ما نطقت ببهتان • ولا أخبرتكم إلا عن عيان • ولو كان في عصاي
سير • ولعيني مطير • لاستأثرت بما دعوتكم إليه • ولما وقفت موقف
الدال عليه • ولكن كيف الطيران بلا جناح • وهل على من لا يجد
من جناح • قال الراوي • فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرونه •
ويتخافتون فيما يأتونه • فتوهم أنهم على صرفه بحرمان • أو مطالبته
ببرهان • ففرط منه أن قال يا بلامع القاع • ويرامع البقاع • ما هذا
الارتياء الذي يأباه الحياء • حتى كأنكم كلفتم مشقة • لا شقة •
واستوهبتم بلدة لا بردة • أو هززتم لكسوة البيت • لا لتكفين
الميت • أف لمن لا تندى صفاته • ولا ترشح حصاته • فلما
بصرت الجماعة بذلاقته • ومرارة مذاقته • رفاه كل منهم بنيله •
واحتمل ظله خوف سيله • قال الحارث بن همام • وكان هذا السائل
واقفا خلفي • ومحتجبا بظهري عن طرفي • فلما أرضاه القوم ببرهم
وحق على التأسي بهم • خلعت خاتمي من خنصري • ولفت إليه

بصري • فإذا هو شيخنا السروجي بلا فرية • ولا مرية • فأيقنت
أنها أكذوبة تكذبها • وأحبولة نصبها • إلا أني طويته على غره •
وصنت شغاه عن فره • فحصبته بالخاتم • وقلت أرصده
لنفقة المأتم • ثم قال وإنا لك • فما أصرم شغلتك • وأكرم
فعلتك • ثم انطلق يسعى قدما • ويهرول لهرولته قدما • فتبعت
إلى عرفان مبيته • وامتحان دعوى حميته • فقرعت ظنبوبي •
والهبت ألهوبي • حتى أدركته على غلوه • واجتليته في خلوه •
فأخذت بمجمع أردانه • وعقته عن الاستنان في ميدانه •
وقلت والله ما لك مني ملجأ ولا منجا • أو تريني ميتك
المسجى • فكشف عن سراويله • وأشار إلى غرموله • فقلت له
قاتلك الله فما أعبثك بالنهى • وأحيلك على النهى • ثم عدت
إلى أصحابي عود الرائد الذي لا يكذب أهله • ولا يبرقش قوله •
فأخبرتهم بالذي رأيت • ولا ورّيت ولا راءيت • فقهقهوا
من كيت وكيت • ولعنوا ذلك الميت •

المقامة الحادية والعشرون منسوبة الى الري

حدث الحارث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري وعرفت
قبيلي من دبيري · ان اصغي الى العظات · والغي الكلم المحفظات
لاتحلى بمحاسن الاخلاق · واتخلى مما يسم بالاخلاق · وما زلت
آخذ نفسي بهذا الادب · واخمد به جمر الغضب · حتى صار التطبع
به طباعا · والتكلف له هوى مطاعا · فلما حللت بالري · وقد
حللت حبى الغي · وعرفت الحي من اللي · رأيت بها ذات بكرة
زمرة اثر زمرة · وهم منتشرون انتشار الجراد · ومستنون استنان
الجياد · ومتواصفون واعظا يقصدونه · ويحلون ابن سمعون
دونه · فلم يتناء بي لاستماع المواعظ · واختبار الواعظ · ان اقتفي
اللاغط · واحتمل الضاغط · فصحبت اصحاب المطاوعة · وانخرطت
في سلك الجماعة · حتى افضنا الى ناد جمع الامير والمأمور · وحشد
النبيه والمغمور · وفي وسط هالته · ووسط اهلته شيخ قد تقوس
واقعنسس · وتقلنس وتطلس · وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور
ويلين الصخور · فسمعته يقول وقد افتتن به العقول · ابن آدم
ما اغواك بما يغرك · واضراك بما يضرك · والهجك بما يطغيك

وابهجك

وابهجك بمن يطريك · تعنى بما يعنيك · وتهمل ما يعنيك
وتنزع في قوس تعديك · وترتدي الحرص الذي يرديك
لا بالكفاف تقتنع · ولا من الحرام تمتنع · ولا للعظات تستمع · ولا
بالوعيد ترتدع · دابك ان تتقلب مع الاهواء · وتخبط خبط
العشواء · وهمك ان تدأب في الاحتراث · وتجمع التراث
للوراث · يعجبك التكاثر بما لديك · ولا تذكر ما بين يديك
وتسعى ابدا لغاربك · ولا تبالي الك ام عليك · أتظن ان
ستترك سدى · والا تحاسب غدا · ام تحسب ان الموت
يقبل الرشى · او يميز بين الاسد والرشا · كلا والله لا يدفع
المنون مال ولا بنون · ولا ينفع اهل القبور · سوى العمل المبرور · فطوبى
لمن سمع ووعى · وحقق ما ادعى · ونهى النفس عن الهوى · وعلم
ان الفائز من ارعوى · وان ليس للانسان الا ما سعى · وان سعيه
سوف يرى · ثم انشد انشاد وجل · بصوت زجل · نظم
لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى · اذا سكن المثرى الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا · بما تقتني من اجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فإنه • بمخلبه الأشغى يغول وبنابه •
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره • فكم خامل أخنى عليه ونابه •
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه • أخو ضلة إلا هوى من عقابه •
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه • بدمع يضاهي المزن حين مصابه •
ومثل لعينيك الحمام ووقعه • وروعة ملقاه ومطعم صابه •
وإن قصارى مسكن الحي حفرة • سينزلها مستنزلا عن قبابه •
فواها لعبد ساءه سوء فعله • وأبدى التلافي قبل إغلاق بابه •

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها • وتوبة يظهرونها • حتى كادت الشمس تزول • والفريضة تعول • فلما خشعت الأصوات • والتأم الإنصات • واستكنت العبرات والعبارات • استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر • وجعل يجأر إليه من عامله الجائر • والأمير صاغ إلى خصمه • لاه عن كشف ظلمه • فلما أيس من روحه • استنهض الواعظ لنصحه • فنهض نهضة الشمير • وأنشد معرضا للأمير نظم

عجبا لراج أن ينال ولاية • حتى إذا ما نال بغيته بغى •
يسدي ويلحم في المظالم والخنا • في وردها طورا وطورا مولغا •

ما إن يبالي حين يتبع الهوى • فيها أأصلح دينه أم أوتغا •
يا ويحه لو كان يوقن أنه • ما حاله إلا تحول لما طغى •
أو لو تبين ما ندامة من صغا • سمعا إلى إفك الوشاة لما صغى •
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه • وتغاض إن ألفى الرعاية أو لغا •
وارع المرار إذا دعاك لرعيه • ورد الأجاج إذا أحماك السيغا •
واحمل أذاه ولو أمضك مسه • واسأل غرب العرم منك وافرغا •
فليضحكن الدهر منه إذا نبا • عنه وشب لحينه نار الوغا •
وليبغلن به الشمات إذا بدا • متخليا من شغله متفرغا •
ولتأوين له إذا ما خده • أضحى على ترب الهوان ممرغا •
هذا وله سوف يوقف موقفا • فيه يرى رب الفصاحة ألثغا •
وليحشرن أذل من فقع الفلا • ويحاسبن على النقيصة والشغا •
ويؤاخذن بما اجتنى وبما جنى • ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى •
ويناقشن على الدقائق مثل ما • قد كان يفعل بالورى بل أبلغا •
حتى يعض على الولاية كفه • ويود لو لم يبغ منها ما بغى •

ثم قال أيها المتوشح بالولاية • المترشح للرعاية • دع الإدلال

بنماء

بدولتك والاغترار بصولتك فان الدولة ريح قلب و
القدرة برق خلب وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته
واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته ولا تكن ممن يذر
الآجلة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها
واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا
تهمل يا انسان بل ستوضع لك الميزان وكما تدين تدان
قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل
يتأفف من الامرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي
فاشكاه والى المشكو منه فاشجاه والطف الواعظ وحباه وعزم
عليه ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا
وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بعون صفقته واتبعته
اخطو متقاصرا واريه لمحا باصرا فلما استشف ما اخفيه وفطن
لتقلب وجهي فيه قال خير دليليك من ارشد ثم اقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث	حدث ملوك فكه منافث
اطرب ما لا تطرب المثالث	طورا اخو جد وطورا عابث

ما غيرتني بعدك الحوادث	ولا التحى عودي خطب كارث
ولا فرى نابي خذ غارث	بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل سرح فيه ذئبي عائث	حتى كاني للانام وارث

سامهم وحامهم ويافث

قال الحرث بن همام فعلمت انه لا ابو زيد ولقد قمت
لديه ولا عمرو بن عبيد فهششت هشاشة الكريم اذا ام وقال اسمع
يا ابن ام نظم عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد
ثم انه ودع اخدانه وانطلق يسحب اردانه فطلبناه من بعد بالري
واستثرنا خبره من مدارج الطي فما منا من عرف قراره ولا دري
اي الجراد عاره

المقامة الثانية العشرون وتعرف بالفراتية

حكى الحرث بن همام قال اويت في بعض الفترات الى سقي الفرات
فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقا من
الماء الفرات فاطفت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم وكاثرتهم
لادبهم لا لمادبهم فجالست منهم اضراب القعقاع بن شور

ووصلت بهم الى الكور بعد الحور • حتى انهم اشركوني في المرتع والمربع
واحلوني محل الانملة من الاصبع • واتخذوني ابن انفسهم عند الولاية و
العزل • وخازن سرهم في الجد والهزل • فاتفق ان ندبوا في بعض
الاوقات لاستقراء مزارع الرزداقات • فاختاروا من الجواري
المنشآت • جارية حالكة الشيات • تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب • وتنساب في الحباب كالحباب • ثم دعوني الى الموافقة •
واستدعوني للمرافقة • فلما توركنا في المطية الدهماء • وتبطنا
الولية الماشية على الماء • الفينا بها شيخا عليه سحق سربال •
وسب بال • فعافت محضره • وعنفت من احضره • وهمت بابرازه
من السفينة • لولا ما ثاب اليها من السكينة • فلما لمح منا استثقال
ظله • واستبراد طله • تعرض للمنافثة فصمتت • وحمل بعد ما عطس فما
شمتت • فاخذ ينظر فيما آلت حاله اليه • وينتظر نصرة المبغي عليه •
وجعلنا نحن في شجون من جد ومجون • الى ان اعترض ذكر الكاتبين وفضلهما
وتبيان افضلهما • فقال قائل ان كتبة الانشاء انبل الكتاب • ومال مائل
الى تفضيل الحساب • وامتد اللجاج • واحتد الحجاج • واشتد الضجاج •

الجماعة

حتى اذا

٦١

حتى اذا لم يبق للجدال مطرح • ولا للمراء منسرح • قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم
اللغط • وآثرتم الصواب والغلط • وان جلية الحكم عندي • فارتضوا
بنقدي • ولا تستفتوا احدا بعدي • اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع •
وصناعة الحساب انفع • وقلم المكاتبة خاطب • وقلم المحاسبة
حاطب • واساطير البلاغات تنسخ لتدرس • ودساتير الحسابات
تنسخ وتدرس • والمنشي جهينة الاخبار • وحقيبة الاسرار •
ونجي العظماء • وكبير الندماء • وقلمه لسان الدولة • وفارس الجولة •
ولقمان الحكمة • وترجمان الهمة • وهو البشير والنذير • والشفيع و
السفير • به تستخلص الصياصي • وتملك النواصي • ويقتاد العاصي •
ويستدنى القاصي • وصاحبه بريء من التبعات • آمن كيد السعاة •
مقرظ بين الجماعات • غير معرض لنظم الجماعات • فلما انتهى في الفصل
الى هذا الفصل • لحظ من لمحات القوم انه اذرع حبا وبغضا •
وارضى بعضا واحفظ بعضا • فعقب كلامه بان قال الا ان صناعة
الحساب موضوعة على التحقيق • وصناعة الانشاء مبنية على
التلفيق • وقلم الحاسب ضابط • وقلم المنشي خابط • وبين اتاوة توظيف

المعاملات

وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس
اذ الاتاوة تملؤ الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخرج الاوارج
يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم ان الحسبة حفظة
الاموال وحملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة الثقات
واعلام الانصاف والانتصاف والشهود المقانع في الاختلاف
ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس
الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار
في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء والمنع
ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن
الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا
وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على ان يراع الانشاء
متقول ويراع الحساب متاول والمحاسب مناقش والمنشي ابو براقش
ولكليهما حمة حين يرتقي الى ان يلقي ويرتقي واعنات فيما
ينشي حتى يغشى ويرشي الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
قال الحرث بن همام فلما امتع الاسماع بما راق وراع استنسبناه

فاستراب

فاستراب وابى الانتساب ولو وجد منتسبا لانتسب فحصلت
من لبسه على غمة حتى اذكرت بعد امة فقلت والذي
سخر الفلك الدوار والفلك السيار اني لاجد ريح ابي زيد
وان كنت اعهده ذا رواء وايد فتبسم ضاحكا من قولي وقال
انا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي
لا يفري فريه ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد
فرغب عن الالفة ولم يرغب في التحفة وقال اما بعد ان
سحقتم حقي لاجل سحقي وكسفتم بالي لاخلاق سربالي فما
اريكم الا بالعين السخينة وما لكم مني الا الصحبة السفينة ثم انشد

اسمع اخي نصيحة من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان ترما يشين فواره كرما وان ترما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى • خاف إلى أن يستثار بنبشه •
وفضيلة الدينار يظهر سرها • من حكه لا من ملاحة نقشه •
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا • لصقال ملبسه ورونق رقشه •
أو أن تهين مهذبا في نفسه • لدروس بزته ورثة فرشه •
ولكم أخي طمرين هيب لفضله • ومفوف البردين عيب لفحشه •
وإذا الفتى لم يغش عارا لم يكن • أسماله إلا مراقي عرشه •
ما إن يضر العضب كون قرابه • خلقا ولا البازي حقارة عشه •

ثم ما عتم أن استوقف الملاح • وصعد من السفينة وساح • فندم
كل منا على ما فرط في ذاته • وأغضى جفنه على قذاته • وتعاهدنا
على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة برده • وأن لا نزدري سيفا مخبوءا في غمده •

المقامة الثالثة والعشرون وتعرف بالبغدادية

حكى الحارث بن همام قال • نبا بي مألف الوطن • في شرخ الزمن • لخطب
خشي • وخوف غشي • فأرقت كأس الكرى • ونصصت ركاب
السرى • وجبت في سيري وعورا لم تدمثها الخطى • ولا اهتدت
إليها القطا • حتى وردت حمى الخلافة • والحرم العاصم من المخافة •

فسروت

فسروت إهاب الروع واستشعاره • وتسربلت لباس
الأمن وشعاره • وقصرت همي على ملحة أجتليها • ولذة أجتنيها
فبرزت يوما إلى الحريم لأروض طرفي • وأجيل في طرفه طرفي •
فإذا فرسان متتالون • ورجال منثالون • وشيخ طويل اللسان •
قصير الطيلسان • قد لبب فتى جديد الشباب • خلق الجلباب • فقفوت
أثر النظارة • حتى وافينا باب الإمارة • وهناك صاحب المعونة متربعا
في دسته • ومروعا بسمته • فقال له الشيخ أعز الله الوالي وجعل
كعبه العالي • إني كفلت هذا الغلام فطيما • وربيته يتيما • ثم لم آله
تعليما • فلما مهر وبهر • جرد سيف العدوان وشهر • ولم أخله يتوثب
علي ويتبجح • حين يرتوي مني ويلتقح • فقال له الغلام علام عثرت
مني • حتى تنشر هذا الخزي عني • فوالله ما سترت وجه برك • ولا
هتكت حجاب سترك • ولا شققت عصا أمرك • ولا ألغيت تلاوة
شكرك • فقال له الشيخ ويلك أي ريب أخزى من ريبك • وهل
عيب أفحش من غيبك • وقد ادعيت سحري واستلحقته • وانتحلت شعري
واسترقته • واسترقاق الشعر عند الشعراء • أفظع من سرقة البيضاء والصفراء •

وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار. فقال الوالي للشيخ: وهل حين سرق سلخ، أم مسخ أو نسخ؟ فقال: والذي جعل الشعر ديوان العرب، وترجمان الأدب، ما أحدث سوى أن بتر شمل شرحه، وأغار على ثلثي سرحه. فقال له: أنشد أبياتك برمتها، ليفضح ما اختاره من جملتها. فأنشد نظم

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى وقرارة الأكدار

دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً بعداً لها من دار

وإذا أظل سحابها لم ينتقع ... منه صدى لجهامه الغدار

غاراتها ما تنقضي وأسيرها ... لا يفتدى بجلائل الأخطار

كم مزدهى بغرورها حتى بدا ... متمرداً متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وأولغت ... فيه المدى ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعاً ... فيها سدى من غير ما استظهار

واقطع علائق حبها وطلابها ... تلق الهدى ورفاهة الأسرار

وارقب إذا ما سالمت من كيدها ... حرب العدى وتوثب الغدار

واعلم بأن خطوبها تفجا ولو ... طال المدى ووَنت سرى الأقدار

فقال

فقال له الوالي: ثم ماذا صنع هذا؟ قال: أقدم للؤمه في الجزاء، على أبياتي السداسية الأجزاء، فحذف منها جزوين، ونقص من أوزانها وزنين، حتى صار الرزء منها رزوين. فقال: بيّن ما أخذ من أبياتك. فقال: أرعني سمعك، وأخل للتفهم عني ذرعك، لتقدر قدر اجترامه إليّ، وتتبين كيف أصلت عليّ. ثم أنشد، وأنفاسه تتصعد:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى

دار متى ما أضحكت ... في يومها أبكت غدا

وإذا أظل سحابها ... لم ينتقع منه صدى

غاراتها ما تنقضي ... وأسيرها لا يفتدى

كم مزدهى بغرورها ... حتى بدا متمردا

قلبت له ظهر المجن ... وأولغت فيه المدى

واقطع علائق حبها ... وطلابها تلق الهدى

وارقب إذا ما سالمت ... من كيدها حرب العدى

واعلم بأن خطوبها ... تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي إلى الغلام، وقال له: تبًّا لك من خرّيج عارق، وتلميذ سارق

فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه، ولحقت بمن يناويه و
مباينه، إن كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي،
وإنما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر. قال فكأن
الوالي جوز صدق زعمه، فندم على بادرة ذمه، وظل يفكر فيما
يكشف له عن الحقائق، ويتميز به الفائق عن المائق، فلم ير إلا
أخذهما بالمناضلة، وأن يرزهما في قرن المساجلة، فقال لهما إن أردتما
افتضاح العاطل، واتضاح الحق من الباطل، فتراسلا في النظم وتباريا
وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا، ليهلك من هلك عن
بينة، ويحيى من حي عن بينة، فقالا له بلسان واحد، وجواب متوارد
قد رضينا بسبر نمرنا بأمرك، قال إني مولع من أنواع البلاغة
بالتجنيس، وأراه لها كالرئيس، فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها
بوشيه، وترصعانها بحليه، وضمناها شرح حالي مع ألف
بديع الصفة، ألمى الشفة، مليح التثني، كثير التيه والتجني، مغرى
بتناسي العهد، وإطالة الصد، وإخلاف الوعد، وأنا له كالعبد،
فبدر الشيخ مجليا، وتلاه الفتى مصليا، وتجاريا بيتا فبيتا على

هذا

هذا النسق، إلى أن كمل نظم الأبيات واتسق، وهي

وأحوى حوى رقي برقة لفظه، وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني، لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره، وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما، أجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة، وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه، وأكبره عن أن أفوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره، ومنه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى، علي وغيري يجتني رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت أعنتي، بدارا إلى من يجتلي نور بدره
وإني على تصريف أمري وأمره، أرى المر حلوا في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي متراسلين، بهت لذكائهما المتعادلين، وقال
أشهد بالله أنكما فرقدا سماء، وكزندين في وعاء، وأن هذا الحدث
لينفق مما آتاه الله، ويستغني بوجده عمن سواه، فتب أيها الشيخ
من اتهامه، وثب إلى إكرامه، فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي

او تعلق به تقاتي • وقد بلوت كفرانه للصنيع • ومنيت منه العقوق

الشنيع • فاعترضه الغلام وقال يا هذا ان اللجاج شؤم • والحنق لؤم •

وتحقيق الظنة اثم • واعنات البري ظلم • وهبني اقترفت جريرة •

او اجترحت كبيرة • اما تذكر اذ انشدتني لنفسك • في انسك •

سامح اخاك اذا خلط • منه الاصابة بالغلط

وتجاف عن تعنيفه • ان زاغ يوما او قسط

واحفظ صنيعك عنده • شكر الصنيعة ام غمط

واطعه ان عاصى وهن • ان عز وادن ان شحط

واقن الوفاء ولو اخل • بما اشترطت واشترط

واعلم بانك ان طلبت مهذبا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط • ومن له الحسنى فقط

او ما ترى المحبوب والمكروه لزا في نمط

كالشوك يبدو في الغصو • ن مع الجنى للملتقط

ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط

ولو انتقدت بني الزمان وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل • ويحملق حملقة البازي المطل •

ثم قال والذي زين السماء بالشهب • وانزل الماء من السحب •

ما روغي عن الاصطلاح • الا لتوقي الافتضاح • فان هذا الفتى لعتاد

امونه • واراعي شؤونه • وقد كان الدهر يسح • فلم اكن اشح • فاما الآن

فالوقت عبوس • وحشو العيش بوس • حتى ان يدي هذه عارية •

وبيتي لا تطور فيه فارة • قال فرق لهما قلب الوالي • وادنى

لهما من غير الليالي • وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف • وامر النظارة بالانصراف •

قال الراوي • وكنت متشوقا الى مرأى الشيخ لعلي اعلم علمه • اذا عاينت

وسمه • ولم يكن الزحام يسفر عنه • ولا يفرج لي فادنو منه • فلما تقوضت

الصفوف • وانجفل الوقوف • توسمته فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه •

فعرفت حينئذ مغزاه فيما اتاه • وكدت انقض عليه • لاستعرف اليه •

فزجرني بايماض طرفه • واستوقفني بايماء كفه • فلزمت موقفي •

واخرت منصرفي • فقال الوالي ما املك • ولايما سبب مقامك •

فابتدرني الشيخ وقال انه انيسي • وصاحب ملبوسي • فتسمح عند

هذا القول بتانيسي • ورخص في جلوسي • ثم افاض عليهما خلعتين •

ووصلهما بنصاب من العين، واستشهدهما أن سيعاشر بالمعروف،
إلى أظلال اليوم المخوف. فنهضنا من ناديه، منشدين بشكر أياديه،
فتبعتهما لأعرف مثواهما، وأترسّم نجواهما. فلما أخرجا من الوالي، وأفضينا
إلى الفضاء الخالي، أدركني أحد جلاوزته، مهيبًا بي إلى حوزته. فقلت
لأبي زيد ما أظنه استحضرني إلا ليستخبرني، فماذا أقول، وفي أي
واد أجول. فقال بيّن له غباوة قلبه، وتلاعبي بلبّه، ليعلم أن ريحه
لاقت إعصارًا، وجدوله صادف تيارًا. فقلت أخاف أن يتّقد
غضبه، فيلفحك لهبه، أو يستشري طيشه، فيسري إليك بطشه.
فقال إني أرحل إلى الرُّها، وأنّى يلتقي سهيل والسُّها. فلما حضرت
الوالي وقد خلا مجلسه، وانجلى تعبّسه، أخذ يصف أبا زيد وفضله،
ويذمّ الدهر وأهله. ثم قال نشدتك الله ألست الذي أعاره الدست.
فقلت لا والذي أحلّك في هذا الدست، ما أنا بصاحب ذلك
الدست. بل أنت الذي تمّ عليه الدست. فازورّت مقلتاه،
واحمرّت وجنتاه، وقال والله ما أعجبني نظم قصيح مريب، ولا تحكيف
معيب، ولكن ما سمعت بأن شخصًا دلّس بعد ما تقلّس، فبهذا

تمّ لأن ألبس. أفتدري أين سكع ذلك الألكع. فقلت أشفق
منك لتعدّي طوره، فقطع عن بغداد من فوره. فقال لا قرّب الله
له نوى، ولا كلأه أين ثوى، فما زاولت أشدّ من نكره، ولا ذقت أمرّ
من مكره. ولولا حرمة أدبه، لأوغلت في طلبه، إلى أن يقع فأوقع به.
وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام، فأفتضح بين الأنام، ويحبط
مكانتي عند الإمام، وأصير ضحكة الخاص والعام. فعاهدني على أن
لا تفوه بما اعتمد، ما دمت حلًّا بهذا البلد. قال الحارث بن همام
فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل، ووفيت له كما وفى السموأل.

المقامة الرابعة والعشرون وتعرف بالنحوية

أخبر الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع، في إبان الربيع،
فتية وجوههم أبلج من أنواره، وأخلاقهم أبهج من أزهاره، وألفاظهم
أرق من نسيم أسحاره. فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر،
ويغني عن رنات المزاهر. وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد، وحظر
الاستبداد، وأن لا يتفرد أحدنا بالتذاذ، ولا يستأثر ولو بردّ ذ
فأجمعنا في يوم سما دجنه، وتناحسنه، وحكم بالاصطباح مزنه.

تم

على أن ننتهي بالخروج • إلى بعض المروج • لننسرح النواظر في النواضر ونصقل
الخواطر بشيم المواطر • فبرزنا ونحن كأشهر عدة • وكندماني جذيمة
مودة • إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت • وتنوعت أزاهيرها و
تلونت • ومعنا الكميت الشموس • والسقاة الشموس • والشادي
الذي يطرب السامع ويلهيه • ويقري كل سمع ما يشتهيه • فلما اطمأن
بنا الجلوس • ودارت علينا الكؤوس • وغل علينا ذو طمر عليه طمر •
فتجهمناه تجهم الغيد للشيب • ووجدنا صفونا منه قد شيب •
إلا أنه سلم تسليم أولي الفهم • وجلس يفض لطائم النثر والنظم •
ونحن نزدري من انبساطه • ونبري لطي بساطه • إلى أن غنى شادينا المغرد •
ومغردنا المطرب • ألام سعاد لا تصليني حبلي • ولا تأوين لي مما ألاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري • وكادت تبلغ الروح التراقي
وها أنا قد عزمت على انتصاف • أساقي فيه خلي ما يساقي
فإن وصلا ألذ به فوصل • وإن صرما فصرم كالطلاق
قال فاستفهمنا العابث بالمثاني • لم نصب الوصل الأول ورفع الثاني
فأقسم بتربة أبويه • لقد نطق بما اختاره سيبويه • فتشعبت حينئذ

آراء

آراء الجمع • في تجويز النصب والرفع • فقالت فرقة رفعهما هو الصواب •
وقالت طائفة لا يجوز فيهما إلا الانتصاب • واستبهم على الآخرين الجواب •
واستعر بينهم الاصطخاب • وذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة •
وإن لم يفه ببنت شفة • حتى إذا سكنت الزماجر • وصمت المزجور
والزاجر • قال يا قوم أنا أنبئكم بتأويله • وأميز صحيح القول من عليله • إنه ليجوز
رفع الوصلين ونصبهما • والمغايرة في الإعراب بينهما • وذلكم بحسب
اختلاف الإضمار • والتقدير المحذوف في هذا المضمار • قال
ففرط من الجماعة إفراط في مماراته • وانخراط إلى مباراته • فقال أما إذ دعوتم
نزال وتلبيتم للنضال • فما كلمة هي إن شئتم حرف محبوب • أو اسم لما
فيه حرف حلوب • وأي اسم يتردد بين فرد حازم • وجمع ملازم •
وأية هاء إذا التحقت أماطت الثقل • وأطلقت المعتقل • وأين يدخل السين
فتعزل العامل من غير أن تجامل • وما منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه
سوى حرف • وأي مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة • واختلف
حكمه بين مساء وغدوة • وما العامل الذي يتصل آخره بأوله • ومعكوسه
مثل عمله • وأي عامل نائبه أرحب منه وكرا • وأعظم مكرا • وأكثر لله تعالى ذكرا •

وفي اي موطن يلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال
بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب
وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين
وفي موضعه الاول التزام وفي الثاني الزام وما وصف اذا اردف
بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون
فهذه اثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا
وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه التي هالت
ما حارت له الافكار وحالت فلما اعجزنا العوم في بحره
واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا من استثقال الرؤية له الى استنزال
الرواية عنه ومن بغي التبرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزل النحو في
الكلام منزلة الملح في الطعام وحجب مطالعه عن بصائر الطغام لا انلتكم
مراما ولا شفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتختصني كل منكم بيد فلم
يبق في الجماعة الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه خباءة كمه فلما حصلت تحت
وكائه اضطرم شعلة ذكائه وكشف حينئذ من اسرار الغازه و
بدائع اعجازه ما جلا به صدأ الاذهان وجلى مطلعه بنور البرهان قال الراوي

ففهمنا حين فهمنا واعجبنا اذ اجبنا وندمنا على ما قدمنا و
اخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس ونعرض عليه ارتضاع الكاس
فقال لات مأرب ولا حفاوة ومشرب لم يبق له عندي حلاوة
فاطلنا مراودته وآلينا معاودته ثم شمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه
انفا وانشد نهاني الشيب عما فيه افراحي فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة وقد انار مشيب الرأس اصباحي
آليت ما لا خامرتني الخمر ما علقت روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يدي ولا اجلت قداحي بين اقداحي
ولا صرفت الى صرف مشعشعة همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة ابدا شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي
محى المشيب مراحي حين خط على رأسي فابغض به من كاتب ماح
ولاح يلحي على جري العنان الى ملهى فسحقا له من لائح لاح
ولو لهوت وفودي شايب لجنا بين المصابيح من غشا مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح
ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سروجي

وتبدر الادب الذي بحجاب البروج وكان قصاراً انما التحرق لبعده
والتوق من بعيد **تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية**
اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصل الذنب فوصل فانه نظير
قولهم المرء مجزي بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر وهذه المسئلة
اوردها سيبويه في كتابه وجوز في اعرابها اربعة اوجه **احدها**
وهو اجودها ان ترفع خير الاول وتنصب الثاني وتنصب شر الاول وترفع الثاني
ويكون تقديره ان كان عمله خيراً فجزاؤه خير وان كان عمله شراً فجزاؤه شر
فينتصب الاول على انه خبر كان ويرتفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف
وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها بدلالة حرف الشرط الذي هو ان
على تقديرهما وحذفت المبتدأ ايضاً لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط
عليه لانه كثيراً ما يقع بعدها **الوجه الثاني** ان تنصبهما جميعاً ويكون تقدير الكلام
ان كان عمله خيراً فهو يجزى خيراً وان كان عمله شراً فهو يجزى شراً فينتصب الاول
على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به **الوجه الثالث**
ان ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول
على انه اسم كان ويرتفع خير الثاني على ما بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز

ان يرتفع

ان يرتفع خير الاول على انه فاعل كان ويجعل كان المقدرة ههنا هي التامة
التي لا تحتاج الى خبر لانها تاتي بمعنى حدث ووقع كقوله تعالى وان كان
ذو عسرة ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير اي ان حدث
خير فجزاؤه خير **الوجه الرابع** وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه
في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما تبين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير
ان كان في عمله خير فهو يجزى خيراً وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات
فيه يجري اعراب البيت الذي غنى به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم
المرء مقتول بما قتل به ان سيفاً فسيف وان خنجراً فخنجر **واما** الكلمة
التي هي حرف محجوب او اسم لما فيه حرف حلوب فهي نعم ان اردت بها
تصديق الاخبار او العدة عند السؤال فهي حرف وان عنيت بها الابل
فهي اسم والنعم يذكر ويؤنث وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل
وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامرة وسميت حرفاً تشبيهاً لها
بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل **واما** الاسم
المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم فهو سراويل فقال بعضهم هو واحد و
جمعه سراويلات فعلى هذا القول فرد وكنى عن ضمه الخنصر بانه حازم

وقال آخرون بل هو جمع وواحده شِرْوال مثل شملال وشماليل فعلى هذا
القول هو جمع ومعنى قولنا ملازم اي لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا
النوع من الجمع وهو كل ما ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان
او ثلث لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بانه لا نظير له في الاسماء الآحاد
واما الهاء التي اذا لحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل
فهي الهاء التي تلحق الجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف
الجمع عند التحاق الهاء لانها قد اصارته الى مثال الآحاد كرفاهية
وكراهية فخف بهذا السبب وصرف لطرح العلة وقد كنى عما لا ينصرف
بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم **واما**
السين التي تعزل العامل من غير ان تجامل فهي اذا دخلت على الفعل المستقبل
وفصلت بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب
فيرتفع حينئذ الفعل وينتقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى ان تصير المخففة
من الثقيلة وكذلك قوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم
انه سيكون **اما** المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو
عند ولا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن

واما المضاف الذي ان اضل من عرى الاضافة بعروة اختلف
حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة
وكل ما يأتي بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة
استعمالهم اياها في الكلام ثم نونتها ايضا لتبيين بذلك انها منصوبة
على الظرف لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف وعند بعض النحويين
ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها
على ما هو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن
يختص معناها بما حضرك وقرب منك **واما** العامل الذي يتصل آخره باوله
ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها اي وكلتاهما من حروف النداء
وعملهما في الاسم المنادى سيان وان كان يا اجول بالنصب واكثر في الاستعمال
وقد اختار بعضهم ان ينادى باي القريب فقط كالهمزة **واما** العامل الذي
نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر تعالى ذكرا فهو باء القسم ومن آباء
هي اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك
اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر في مثل قولك بك لافعلن ثم ابدلت
الواو منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معناهما

على حد واحد الا ان [illegible]

لان الواو تفيد الجمع. والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان. ثم صارت الواو البدل لان الباء ادور في الكلام. واعلق بالاقسام. ولهذا الغزنا بها اكثر الله تعالى ذكراً. ثم ان الواو اكثر موطناً من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر. والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب. وتنتظم ايضاً مع نواصب الفعل وادوات العطف ولهذا وصفها برحب الوكر. وعظم المكر. واما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان. وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف. وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء. ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام. والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة. فقد رأيت كيف تعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه. واما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب. فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول. لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما. وذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى. او من اسماء الاشارة نحو ذاك وهذا. فيجب لازالة اللبس اقرار كل واحد منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما

لتقدمه

بتقدمه. والمفعول بتأخره. واما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما. وفيها قولان احدهما انها مركبة من مه التي بمعنى الكف ومن ما. والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما اخرى كما تزاد ما على ان. فصار لفظهما ما ما. فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من الالف الاولى هاء فصار مهما. ومهما من ادوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها. لم يتم الكلام ولا عقل المعنى. الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل. وتكون حينئذ ملتزماً للفعل. وان اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى الكف فهم المعنى. وكنت ملتزماً من خاطبته ان يكف. واما الوصف الذي اذا اردف بالنون. نقص صاحبه في العيون. وقوم بالدون. وخرج من الزبون. وتعرض للهون. فهو ضيف. فاذا الحقته النون استحال الى الضيفن الذي يتبع الضيف. وينزل في النقد منزلة الزيف.

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه. وارب اقضيه. فبلوت من شتائها الكالح. وصرها النافح. ما عرفني جهد البلاء. وعكفني على الاصطلاء. فلم اكن ازايل وجاري. ومستوقد ناري. الا لضرورة ادفع اليها

اوقات جماعةٍ احافظ عليها • فاضطررت في يومٍ جوّه مزمهرّ • ودجنه
مكفهرّ • الى ان برزت من كناني • لمهمٍّ عناني • فاذا شيخٌ عاري الجلدة •
بادي الجردة • قد اعتمّ بريطة • واستثفر بفويطة • وحواليه جمعٌ
كثيف الحواشي • وهو ينشد ولا يحاشي •

يا قوم لا ينبئكم عن فقري • اصدق من عريي اوان القرّ •
فاعتبروا بما بدا من ضرّي • باطن حالي وخفيّ امري •
وحاذروا انقلاب سلم الدهر • فانني كنت نبيه القدر •
آوي الى وفرٍ وحدٍّ بتر • تقيد صفري وتبيد سمري •
وتشتكي كومي غداة اقري • فجرّد الدهر سيوف الغدر •
وشنّ غارات الرزايا الغبر • ولم يزل يسحتني ويبري •
حتى عفت داري وغاض درّي • وبار شعري في الكور وسعري •
وصرت نضو فاقةٍ وعسر • عاري المطا مجرّدًا من قشر •
كانني المغزل في التعرّي • لا دفء لي في الصنّ والصنّبر •
غير التضحّي واصطلاء الجمر • فهل حصيفٌ ذو رداءٍ غمر •
يسترني بمطرفٍ او طمر • طلاب وجه الله لا للشكر •

ثم

ثم قال يا ارباب الثراء • الرافلين في الفراء • من اوتي خيرًا فلينفق •
ومن استطاع ان يرفق فليرفق • فان الدنيا غدور • والدهر عثور • والمكنة
زورة طيف • والفرصة مزنة صيف • والله اني لطالما تلقيت
الشتاء بكافاته • واعددت الاهب له قبل موافاته • وها انا اليوم يا سادتي
ساعدي وسادتي • وجلدتي بردتي • وحفنتي جفنتي • فليعتبر العاقل بحالي •
وليبادر صرف الليالي • فان السعيد من اتعظ بسواه • واستعدّ لمسراه •
فقيل له قد جلوت علينا ادبك • فاجل لنا نسبك • فقال تبًّا
لمفتخرٍ بعظمٍ نخر • انما الفخر بالتقى • والادب المنتقى • ثم انشد •

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه • على ما تجلّى يومه لا ابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما • فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم جلس محقوقفًا • واجرنثم مقفقفًا • وقال اللهم يا من غمر بنواله •
وامر بسؤاله • صلّ على محمدٍ وآله • واعنّي على البرد واهواله • واتح لي
حرًّا يوثر من خصاصة • ويواسي ولو بقصاصة • قال الراوي فلما جلّى عن النفس
العصامية • والملح الاصمعية • جعلت عيني تعجمه • ومرامي لحظي ترجمه •
حتى استبنت انه ابو زيد • وان تعرّيه احبولة لصيد • ولمح موان عرفاني

قد ادركه. ولم يأمن ان يهتكه. فقال اقسم بالسمر والقمر. والزهر والزهر. انه لن
يسترني الا من طاب خيمه. واشرب ماء المروءة اديمه. فعقلت ما عناه
وان لم يدر القوم معناه. فساءني ما يعانيه من الرعدة. واقشعرار الجلدة. فعمدت
لفروة هي بالنهار رياشي. وفي الليل فراشي. فنضوتها عني. وقلت له
اقبلها مني. فما كذب ان افترّها. وعيني تراها. ثم انشد

لله من البسني فروة. اضحت من الرعدة لي جنة.
البسنيها واقيا مهجتي. وقي شر الانس والجنة.
سيكتسي اليوم ثنائي وفي. غد سيكسى سندس الجنة.

قال فلما فتن قلوب الجماعة. بافتنانه في البراعة. القوا عليه من الفراء
المغشاة. والجباب الموشاة. ما آده ثقله. ولم يكد يقله. فانطلق مستبشرا
بالفرج مستقيا للكرج. وتبعته الى حيث ارتفعت التقية. وبدت السماء
نقية. فقلت له لشد ما قرسك البرد. فلا تتعر من بعد. فقال ويك
ليس من العدل سرعة العذل. فلا تعجل بلوم من ظلم. ولا تقف ما
ليس لك به علم. فو الذي نور الشيبة. وطيب تربة طيبة. لو لم اتعر
لرحت بالخيبة. وصفر العيبة. ثم نزع الى الفرار. وتبرقع بالاكفهرار.

قال اما

وقال اما تعلم ان شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد. والانعطاف
من عمرو الى زيد. واراك قد عقتني وعققتني. وافتني اضعاف
ما افدتني. فاعفني عافاك الله من لغوك. واسدد دوني
باب جدك ولهوك. فجبذته جبذ الثعالبة. وجمجمت به
للدعابة. وقلت له والله لو لم اوارك. واغط على عوارك.
لما وصلت الى صلة. ولا انقلبت الكسي من نصلة. فجازني عن
احساني اليك. وستري لك وعليك. بان تسمح لي برد الفروة
او تعرفني كافات الشتوة. فنظر الي نظر المتعجب. وازمهر ازمهرار
المتغضب. ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر. والميت
الغابر. واما كافات الشتوة فمحا من طبع على ذهنك
واوهى وعاء خزنك. حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة لابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه. سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا.
كن وكيس وكانون وكاس طلا. بعد الكباب وكس ناعم وكسا.

ثم قال لجواب يشفي خير من جلباب يدفي. فاكتف بما وعيت. وانكفف
حيث انتهيت. ففارقته وقد ذهبت فروتي ونشوتي وحصلت على الرعدة طوال شتوتي.

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الأهواز. لابسا حلة الإعواز.
فلبثت بها مدة. أكابد شدة. وأزجي أياما مسودة. إلى أن رأيت
تمادي المقام من عوادي الانتقام. فرمقتها بعين القالي. وفارقتها مفارقة
الطلل البالي. وظعنت عنها بشملة كميش الإزار. ركاضا إلى المياه الغزار.
حتى إذا سرت منها مرحلتين. وبعدت مسرى ليلتين. تراءت لي
خيمة مضروبة. ونار مشبوبة. فقلت آتيهما لعلي أنقع صدى. أو أجد
على النار هدى. فلما انتهيت إلى ظل الخيمة. رأيت غلمة روقة. وشارة
مرموقة. وشيخا عليه بزة سنية. ولديه فاكهة جنية. فحييته ثم
تحاميته. فضحك إلي. وأحسن الرد علي. وقال إلى المجلس إلى من
تروق فاكهته. وتشوق مفاكهته. فجلست لاغتنام محاضرته. لا لالتهام
ما حضره. فحين سفر عن آدابه. وكشر عن أنيابه. عرفت أنه أبو زيد
بجلي حليته. وقبح قبلته. فتعارفنا حينئذ. وحفت بي فرحتان ساعتئذ.
ولم أدر بأيهما أنا أحفى فرحا. وأوفى مرحا. أبإسفاره من دجنة إسفاره.
أم بخصب رحاله بعد إمحاله. وتاقت نفسي إلى أن أفض ختم سره.

وابطن

وأبطن داعية يسره. فقلت له من أين إيابك. وإلى أين انسيابك.
وبم امتلأت عيابك. فقال أما المقدم فمن طوس. وأما المقصد
فإلى السوس. وأما الجدة التي أصبتها. فبرسالة اقتضبتها. فقلت
أنى يسفر شيء قد قل. ويسر دق على رسالة. فقال دون مرامك خرط
البسوس. أو تصحبني إلى السوس. فصاحبته إليها قهرا. وعكفت بها عليه
شهرا. وهو يعللني بكأس التعليل. ويزجي إلي أعنة التأميل. حتى إذا
حرج صدري. وعيل صبري. قلت له إنه لم يبق لك علة. ولا لي تعلة.
وفي غد أزجر غراب البين. وأرحل عنك بخفي حنين. فقال حاش لله
أن أخلفك أو أخالفك. وما أرجأت أن أحدثك إلا لألبثك.
وإذ كنت قد استربت بعدتي. وأغراك ظن السوء بمباعدتي
فاصخ لقصص سيرتي المترحة. وأضفها إلى أخبار الفرج بعد الشدة.
فقلت هات فما أطول طيلك. وأهول حيلك. فقال اعلم أن الدهر
العبوس ألقاني إلى طوس. وأنا يومئذ فقير وقير. لا أملك
فتيلا ولا نقيرا. فألجأني صفر اليدين. إلى التطوق بالدين. فادنت
لسوء الاتفاق. ممن هو عسير الأخلاق. وتوهمت تيسير النفاق.

فتوسعت في الانفاق • فما افقت حتى بهظني دين لزمني حقه • ولازمني
مستحقه • فحرت في امري • واطلعت غريمي على عسري • فلم يصدق
املاقي • ولا نزع عن ازماقي • بل جد في التقاضي • ولج في اقيادي الى القاضي •
كلما خضعت له بالكلام • واستنزلت منه رفق الكرام • ورغبة في ان
ينظرني بمياسرة • او ينظرني الى ميسرة • قال لا تطمع في الانظار •
واحتجاز النضار • فوحقك ما ترى مسالك الخلاص • او تريني
سبائك الخلاص • فلما رأيت احتداد لدده • وان لا خلاص لي من يده •
شاغبته ثم واثبته ليرافعني الى والي الجرائم • لا الى الحاكم في المظالم •
لما كان بلغني من افضال الوالي وفضله • وتشدد القاضي وبخله •
فلما حضرنا باب امير طوس • آنست ان لا باس ولا بوس •
فاستدعيت دواة وبيضاء • وانشأت اليه رسالة رقطاء • وهي
اخلاق سيدنا تحب • وبعقوته يلب • وقربه تحف • ونايه تلف
وخلته نسب • وقطيعته نصب • وغربه ذلق • وشهبه تألق • وظلفه
زان • وقويم نهجه بان • وذهنه قلب وجرب • ونعته شرق وغرب •
سيد قلب سبوق مبر • فطن مغرب عزوف عيوف

مخنف متلف اغر فريد • نابه فاضل ذكي انوف
مفلق ان ابان طب اذا ناب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلف • وشؤبوب حيائه يكف • ونائل يديه فاض
وشح قلبه غاض • وخلف سخائه تحتلب • وذهب عيابه تجتلب
من لف لفه فلج وغلب • وتاجر بابه جلب وخلب • كف عن
هضم بري • وبري جرد نس غوي • وقرن لبانه بعز • ونكب عن
مذهب كز • ليس بوثاب عند نهزة تشز • بل يعف عفة بر •
فلذا تحب • ويستحق عفافه شغفا به فلبابه خلاب • اخلاقه غر
ترف وفوقه فوق اذا انا صلته غلاب • سنحه بهش وذو تلاف
ان هفا خل فليس تحققه يرتاب • لا ابا خل بل باذل خرق اذا نعير
لا يليه ياب • ان عض ازل فل غرب عضاضه بمنابه فاتحت
منه ناب • وجدير بمن لب وفطن • وقرب وشطن • ان اذعن
لقريع زمن • وجابر زمن • مذ رضع ثدي لبانه خص بافاضة
تهتانه • نعش وفرج • وصافر فابهج • ونافر فازعج • ووفاء تحق
ابلج • اتعب من يلي • وقرظ اذ هز وبلي • وتوج صفاته •

بحب عفاته • فلا خلا ذا بهجة يمتد ظل خصبه • فانه بر يمن آنس
ضوء شهبه • زان مزايا ظرفه • بلبس خوف ربه • فليهن سيدنا
فوزه بمفاخر تأثلت وجلت • وفوزه بصنايع تمت ونمت •
وليلايم قرب حضرته غوث رقه بحظ من حظوته • فانه تلميذ ندب •
وشريد جدب • وجريح نوب أثرت • وناظم قلايد تيسرت اذا جاش
لخطبة فلا يوجد قايل • ثم قس ثم باقل • فان جبر قلت جبر نهضت
وخلت رياضا قد نمت • هذا ثم شربه برض • وقوته قرض •
وفلقه غسق • وجلبابه خلق • وقد قلق لتوعر غريم غاشم بتحته
بحق لازم • فان من سيدنا بكفه • بهبات كفه • توشح بمجد فاق •
وثناء بأجر فكي من وثاق • لا خلت سجايا خلقه • ترفد شايم برقه • بمن
رب ازلي حي ابدي • قال فلما استشف الامير الفاظها ولمح السر
المودع فيها • اوعز في الحال بقضاء ديني • وفصل ما بين خصمي وبيني •
ثم استخلصني لمكاثرته • واختصني بأثرته • فلبثت بضع سنين
انعم في نعيم ضيافته • وارتع في ريف رأفته • حتى اذا غمرتني
مواهبه • واطال ذيلي ذهبه • تلطفت في الارتحال على ما ترى من حسن الحال •

قال فقلت له

قال فقلت له فشكرا لمن اتاح لك لقيان السمح الكريم • وانقذك من
به من ضغطة الغريم • فقال الحمد لله على سعادة الجد • والخلوص من الخصم الالد •
ثم قال ايما احب اليك ان احذيك من العطاء • ام اتحفك
بالرسالة الرقطاء • قلت املاء الرسالة احب الي • فقال وموحقك
اخف علي • فان تخلية ما يلج في الآذان • اهون من تخلية ما يخرج من الاردان •
ثم كأنه انف واستحيا • فجمع لي بين الرسالة والحذيا • ففرت منه
بسهمين • وفصلت عنه بغنمين • وابت الى وطني قرير العين • بما حزت من الرقة والعين •

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر • الى مجاورة
اهل الوبر • لآخذ اخذ نفوسهم الابية • والسنتهم العربية •
فشمرت تشمير من لا يألو جهدا • وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا •
الى ان اقتنيت هجمة من الراغية • وثلة من الثاغية • ثم اويت الى اعراب
اقيال • وابناء اقوال • فاوطنوني امرع جناب • وفلوا عني حد كل
ناب • فما تأوبني عندهم هم • ولا قرع صفاتي سهم • الى ان
اضللت في ليلة منيرة البدر • لقحة غزيرة الدر • فلم اطب نفسا

بالقاء طلبها. والقاء حبلها على غاربها. فقد ثرت فرسا محضارا.
واعتقلت لدنا خطارا. فسريت ليلي جمعاء. اجوب البيداء. واقري
كل شجراء ومرداء. الى ان نشر الصبح راياته. وحيعل الداعي الى صلواته.
فنزلت عن متن الركوبة. لاداء المكتوبة. ثم حللت في صهوتها. ووريت
عن شجوتها. وسرت لا ارى اثرا الا قفوته. ولا نشزا الا علوته. ولا واديا
الا جزعته. ولا ركبا الا استطلعته. وجدي مع ذلك يذهب هدرا.
ولا يجد ورده صدرا. الى ان جانت صكة عمي. ولفح هجير يذهل غيلان
عن مي. وكان يوم اطول من ظل القناة. واحر من دمع المقلات.
فايقنت اني ان لم استكن من الوقدة. واستجم بالرقدة. اداني
اللغوب. وعلقت بي شعوب. فعجت الى سرحة كثيرة الاغصان.
وريقة الافنان. لاغور تحتها الى المغيربان. فوالله ما استروحت نفسي
ولا استراح فرسي. حتى نظرت الى سانح. في هيئة سابح. وهو ينتجع
نجعتي. ويشتد الى بقعتي. فكرهت انعياجه الى معاجي. واستعذت
بالله من شر كل مفاجي. ثم رجيت ان يتصدى منشدا. او يتبدى مرشدا.
فلما اقترب من سرحتي. وكاد يحل بساحتي. الفيته شيخنا السروجي

متشحا

متشحا بجرابه. ومتقلدا اهبة تجوابه. فآنسني اذ ورد. وانساني
ما شرد. ثم استوضحته من اين اثره. وكيف عجره وبجره.

فانشد بديها ولم يقل ايها

قل للمستطلع دخيلة امري　　لك عندي كرامة وعزاز
انا ما بين جوب ارض فارض　　وسرى في مفازة فمفاز
زادي الصيد والمطية نعلي　　وجهازي الجراب والعكاز
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي الـ　　ـخان والنديم جزاز
ليس لي ما اسا ان فات او　　احزن ان حاول الدهر ابتزاز
غير اني ابيت خلوا من الهم　　ونفسي من الاسى منحاز
ارقد الليل ملء جفني وقلبي　　بارد من حرارة وحزاز
لا ابالي من اي كأس تفوقت　　ولا ما حلاوة من مزاز
لا ولا استجيز ان اجعل الذل　　مجازا الى تمني اجاز
واذا مطلب كسا حلة العار　　فبعدا لمن يروم نجاز
ومتى اهتز للدناءة نكس　　عاف طبعي طباعه واهتزاز
فالمنايا ولا الدنايا وخير　　من ركوب الخنا ركوب الجناز

ثم رفع إليّ طرفه وقال لأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه فأخبرته خبر ناقتي
السارحة وما عاينته في اليوم والبارحة فقال دع الالتفات
إلى ما فات والطماح إلى ما طاح ولا تأسَ على ما ذهب ولو أنه وادٍ
من ذهب ولا تستمل من مال عن ريحك واضرم نار تبريحك
ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك أن تقيل
ونتحامى القال والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب والهاجرة
ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر
وخصوصاً في شهري ناجر فقلت ذلك إليك وما أريد أن
أشق عليك فافترش الترب واضطجع وأظهر أن قد هجع
وارتفقت على أن أحرس ولا أنعس فأخذتني السنة
لما زمت الألسنة فلم أفق إلا والليل قد توجّ والنجم قد تبلّج
ولا السروجي ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية
أساور الوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة في رجلتي وأخرى في
رجعتي إلى أن وضح لي عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب
يخدي في الدو فألمعت إليه بثوبي ورجوت أن يعرج إلى صوبي

فلم يعبأ

فلم يعبأ بالماعي ولا أوى لالتياعي بل سار على هينته وأصماني
بسهم إبانته فأوفضت إليه لأستردفه واحتمل تغطرفه
فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت
ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت أن أذريته عن
سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت أنا صاحبها ومضلها
ولي رسلها ونسلها ولا تكن كأشعب فتتعب وتتعب
فأخذ يلدغ ويصيء ويتقحّح ولا يستحي وبينا هو يبرز ويلين
ويشاهد ويستكين غشينا أبو زيد لابساً جلد النمر وهاجماً
هجوم السيل المنهمر فخفت وأيقنت أن يكون يومه كأمسه وبدره مثل
شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبراً بعد عين فلم أر إلا أن
أذكرته العهود المنسية والفعلة الأمسية وناشدته أهذا أوان
اليوم للتلافي أم لما فيه تلافي فقال معاذ الله أن أجهز على مكلوم
أو أصل حروري بسموم بل وافقتك لأخبرك ما لك وأكون
يميناً لشمالك فسكن عند ذلك جأشي وانجاب استيحاشي
واطلعته طلع اللقحة وتبرقع صاحبي بالقحة فنظر إليه نظر الليث الفريسة

الى الغريبة. ثم اشرع قبل الرمح. واقسم له بمن انار الصبح لئن
لم ينج منجى الذباب. ويرض من الغنيمة بالاياب. ليوردن سنانه
وريده. وليفجعن به وليده ووديده. فنبذ زمام الناقة وحاص وافلت
وله حصاص. فقال لي ابو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين
وويل اهون من ويلين. قال الحرث بن همام فحرت بين لوم ابي زيد
وشكره. وزنة نفعه بضره. فكانه نوجي بذات صدري. او تكهن ما
خامر سري. فقابلني بوجه طليق. وانشد بلسان ذليق

يا اخي الحامل ضيمي	دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك امسي	فلقد سرك يومي
فاعتفر ذاك لهذا (بهذا)	واطرح شكري ولومي

ثم قال انا ثق وانت مثق فكيف نتفق. وولى يفري اديم
الارض. ويركض طرفه ايما ركض. فما عدوت ان اقعدت مطيتي.
وعدت لطيتي. وحتى وصلت الى حلتي. بعد اللتيا والتي.

تفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله ريق زماني يعني اوله ورائقه. وقد يشدد فيقال ريّق وقوله

آخذ

آخذ اخذ نفوسهم. يعني اقتدى بهم يقال اخذ اخذه واخذه بكسر الهمزة
وفتحها. والهجمة نحو المائة من الابل. والثلة القطيع من الغنم. والراغية
الابل. والثاغية الشاء. ومنه قولهم ماله راغية ولا ثاغية اي لا ناقة ولا
شاة. وقوله ارداف اقيال اي خلفاء الملوك اذا غابوا وقوله
ابناء اقوال اي فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال قوله قد ثرت
فرسا محضارا. الثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو
ماخوذ من الحضر وقوله اقتري كل شجراء ومرداء. الاقتراء تتبع الارض.
والشجراء ذات الاشجار. والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد
لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي الى صلوته. يعني به قول المؤذن حي على
الصلوة حي على الفلاح. والمصدر منه الحيعلة. ومن شاكلها الهيللة.
والحمدلة. والحولقة والبسملة والحسبلة. والسبحلة والجعفلة. فالهيللة
حكاية قول لا اله الا الله. والحمدلة حكاية قول الحمد لله. والحولقة حكاية قول
لا حول ولا قوة الا بالله. والبسملة حكاية قول بسم الله. والحسبلة حكاية قول
حسبنا الله. والسبحلة حكاية قول سبحان الله. والجعفلة حكاية قول
جعلت فداك وقوله فنزلت عن متن الركوبة. يعني المركوبة يقال

ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة. وقد قرئ فمنها ركوبتهم. والصهوة مقعد الفارس من الفرس. والنسوة الخطوة. والجزع قطع الوادي عرضًا. وقوله صكة عمي. يعني به قائم الظهيرة. وقد اختلف في اصله فقيل كان عمي رجلًا يغزو فاغزى قومًا عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلًا لكل من جاء في ذلك الوقت. وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كما يصطك الاعمى. ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغر والاسود والازهر فقالوا اسيد وزهير. وقوله وكان يومًا اطول من ظل القناة. يوصف اليوم الطويل بظل القناة. كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة. والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل ومنه قول الشاعر ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر. وقوله احر من دمع المقلات. المقلات هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدًا حار لحزنها. لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة. ولهذا قيل للممدوح اقر الله عينه ماخوذ من القر وهو البرد. وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة وهي الحرارة. وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعا له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى مال غيره اي قنعه بما رزقه حتى تقر عينه

فلا تطمح

فلا تطمح الى مال غيره وكانت العرب في الجاهلية تزعم ان المقلات اذا وطئت قتيل شريف عاش ولدها. والى هذا اشار بشر بن حازم في قوله وتظل مقاليت النساء يطأنه. يقلن الا يلقى على المرء مئزر. وقوله علقت في شعوب. يعني المنية. ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دجلة وعرفة. وقوله اغور تحتها الى المغيربان. التغوير النزول للقائلة كما ان التعريس النزول آخر الليل للتهويم او للاستراحة. والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت آخره الفا ونونًا على طريق الشذوذ. وقوله مضطغنا اهبة تجوابه. الاضطغان ان تحمل الشيء تحت حضنه. والاضطبان ان تجعله تحت ضبنه. والضبن ما بين الابط والكشح. وكلاهما متقارب. واول مراتب الحمل الابط. ثم الضبن وهو اسفل الابط. ثم الحضن وهو عند الجنب. والتجواب مصدر جاب. وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء وزاد بعضهم تمثال. وقوله عجري وبجري. يريد جميع امري الظاهر والباطن. واصل العجر العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن. وقوله ولم يقل ايها. اي لم يأمر بالكف يقال للمستزاد ايه وللمستكف ايها. وقوله

لأمر ما جدع قصير أنفه. قصير هذا مولى جذيمة الأبرش وكان جدع
أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي
ابن أخت جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشار
عليه بقصدها فحظي قصير بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا إلى العراق.
فكان يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق
وتوصل إلى قتلها والأخذ بثار مولاه منها. وقصته مشهورة وقوله
ولو كان ابن بوحك. يعني به ولد الصلب إشارة إلى أنه ولد في باحة الدار
وهي عرصتها. وجمعها بوح. وقيل إن البوح من أسماء الذكر وقوله
في شهري ناجر. هما شهرا الحر. وقيل إنهما حزيران وتموز. وأنكر أبو بكر بن دريد
هذا القول وقال هما طلوع نجمين. وقوله بت بليلة نابغية أومى به إلى
قول النابغة. فبت كأني ساورتني ضئيلة. من الرقش في أنيابها السم ناقع
وقوله ألمعت إليه بثوبي. يعني أشرت إليه. يقال منه ألمع ولمع بمعنى واحد
وقوله يدغ ويصيء. هذا المثل يضرب لمن يظلم ويشكو. يقال صاءت
العقرب تصيء صيئا وصيئا بفتح الصاد وكسرها إذا صوتت. وكذلك الفرخ
وما أحسن ابن الرومي في هذا المعنى. تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة.

كالقوس

كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان. وقوله ينزو ويلين. هذا المثل
يضرب لمن يتعزز ثم يذل. ويقال إن أصله الجدي ينزو وهو صغير فإذا
كبر لان وقوله لابسا جلد النمر. هذا المثل يضرب للمتبجح الجري
لأن النمر أجرأ السبع وأقله احتمالا للضيم. ومن هذا اشتقاق قولهم
تنمر أي صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين. الأصل في
القارظ أنه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به. والقارظان
المشار إليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط. وكانا خرجا يجنيان
القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر. فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه
وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله. وحتى يؤوب القارظان كلاهما.
وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله حرور سمومه. الحرور الريح الحارة ليلا
والسموم الريح الحارة نهارا. وقد تقام إحداهما مقام الأخرى مجازا. وقال بعضهم الحرور
تكون ليلا ونهارا. والسموم تختص بالنهار وقوله ليث العريسة. يعني مأوى السبع
يقال فيه عريس وعريسة بإثبات الهاء وحذفها كما يقال عرين وعرينة وغاب
وغابة. وأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله أفلت وله حصاص.
هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها. والحصاص

العدو. وقيل انه الضراط فكأنه من فزعه يعدو ويضرط. وقوله ويل أهون من
ويلين. هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه. ومثله قول الشاعر:
وبعض الشر أهون من بعض. وقوله أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق.
هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق. فإن التئق هو الممتلئ غيظاً. مأخوذ
من قولهم أتأقت الإناء إذا ملأته. والمئق هو الباكي. فكأن التئق ينزع إلى الشر
لغيظه. والمئق يضيق ذرعاً باحتماله. وقوله لطيتي. يعني لقصدي ووجهتي
وقد يقال فيها طية بالتخفيف. وقوله بعد اللتيا والتي. اللتيا تصغير التي
وهو على غير قياس التصغير المطرد. لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغر.
وقد أقر هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره. إلا أن العرب عوضته عن ضم
أوله أن زادت الألف في آخره. وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه
فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا. وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك.
وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما صغير المكروه وكبيره.

المقامة الثامنة والعشرون وتعرف بالسمرقندية

أخبر الحارث بن همام قال أبضعت في بعض أسفاري القند. وقصدت
به سمرقند. وكنت يومئذ قويم الشطاط. جموم النشاط. أرمي

عروس

أرمي عن قوس المراح. إلى غرض الأفراح. وأستجلي بماء الشباب
ملامح السراب. فوافيتها بكرة عروبة. بعد أن كابدت الصعوبة.
فسعيت وما ونيت. إلى أن حصل البيت. فلما نقلت إليه قندي
وملكت قول عندي. عجت إلى الحمام على الأثر. فأمطت عني
وعثاء السفر. وأخذت في غسل الجمعة بالأثر. ثم بادرت في
هيئة الخاشع. إلى مسجدها الجامع. لألحق بمن يقرب من الإمام.
ويقرب أفضل الأنعام. فحظيت بأن جليت في الحلبة. وتخيرت
المركز لاستماع الخطبة. ولم يزل الناس يدخلون في دين الله
أفواجاً. ويردون فرادى وأزواجاً. حتى إذا اكتظ الجامع بحفله. وا
تساوى الشخص وظله. برز الخطيب في أهبته. متهادياً خلف
عصبته. فارتقى في منبر الدعوة. إلى أن مثل بالذروة. فسلم
مشيراً باليمين. ثم جلس حتى ختم نظم التأذين. ثم قام وقال.
الحمد لله الممدوح الأسماء. المحمود الآلاء. الواسع العطاء. المدعو لحسم
اللأواء. مالك الأمم. ومصور الرمم. وأهل السماح والكرم.
ومهلك عاد وإرم. أدرك كل سر علمه. ووسع كل مصر حلمه.

وعمّ كل عالم طوله • وهدّ كل مارد حوله • أحمده حمد موحد مسلم
وأدعوه دعاء مؤمل مسلّم • وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد •
العادل الصمد • لا ولد له ولا والد • ولا رده معه ولا مساعد • أرسل
محمدا للإسلام ممهدا • وللملة موطدا • ولأدلة الرسل مؤكدا •
وللأسود والأحمر مسددا • وصل الأرحام • وعلّم الأحكام • ووسم
الحلال والحرام • ورسم الإحلال والإحرام • كرّم الله محله • وكمّل الصلاة
والسلام له • ورحم آله الكرماء • وأهله الرحماء • ما همر ركام • وهدر حمام
وسرح سوام • وسطا حسام • واعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء
واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء • واردعوا أهواءكم ردع الأعداء •
وأعدوا للرحلة إعداد السعداء • وادّرعوا حلل الورع • وداووا
علل الطمع • وسوّوا أود العمل • وعاصوا وساوس الأمل • وصوّروا
لأوهامكم حؤول الأحوال • وحلول الأهوال • ومساورة الإعلال
ومصارمة المال والآل • واذكروا الحمام وسكرة مصرعه • والرمس
وهول مطلعه • واللحد ووحدة مودعه • والملك وروعة سؤاله
مطلعه • والمحوا الدهر ولؤم كرّه • وسوء محاله ومكره • كم طمس معلما

وامرّ

وأمرّ مطعما • وطحطح عرمرما • ودمّر ملكا مكرّما • همّه سكّ المسامع •
وسحّ المدامع • وإكداء المطامع • وإرداء المسمع والسامع • عمّ حكمه
الملوك والرعاع • والمسود والمطاع • والمحسود والحسّاد • والأساود
والآساد • ما مؤمّل الآمال • وعكس الآمال • ولا وصل الآصال • ولا
سرّ إلا وساء • ولؤم وأساء • ولا أصحّ إلا وأكدى الداء • وردع
الأوداء • الله الله رعاكم الله • إلام مداومة اللهو • ومواصلة السهو
وطول الإصرار • وحمل الآصار • واطّراح كلام الحكماء • ومعاصاة إله
السماء • أما الهرم حصادكم • والمدر مهادكم • أما الحمام مدرككم
والصراط مسلككم • أما الساعة موعدكم • والساهرة موردكم •
أما أهوال الطامة لكم مرصدة • أما دار العصاة الحطمة المؤصدة
حارسهم مالك • ورواؤهم حالك • وطعامهم السموم • وهواؤهم
السموم • لا مال أسعدهم ولا ولد • ولا عدد حماهم ولا عدد • ألا
رحم الله امرءا ملك هواه • وأمّ مسالك هداه • وأحكم طاعة
مولاه • وكدح لروح مأواه • وعمل ما دام العمر مطاوعا • والدهر موادعا
والصحة كاملة • والسلامة حاصلة • وإلا دهمه عدم المرام • وحصر الكلام

والمآل الآلام • وحموم الحمام • وهدوّ الحواس • ورمس الأرماس
آهًا لها حسرة • ألمها مؤكد • وأمدها سرمد • وممارسها مكمد •
ما لوطئه حاسم • ولا لسدّه راحم • ولا له مما عراه عاصم • ألهمكم الله
أحمد الإلهام • وردّاكم رداء الإكرام • وأحلّكم دار السلام • وأسأله
الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام • وهو أسمح الكرام • والمسلم والسلام

قال الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط • وعروسا
بغير نقط • دعاني الإعجاب بنمطها العجيب • إلى استجلاء وجه الخطيب
فأخذت أتوسمه جدًّا • وأقلّب الطرف فيه مجدًّا • إلى أن وضح لي
بصدق العلامات • أنه شيخنا أبو زيد ذو المقامات • ولم يكن بدّ من الصمت
في ذلك الوقت • فأمسكت حتى تحلل من الفرض • وحلّ الانتشار في
الأرض • ثم واجهت تلقاءه • وابتدرت لقاءه • فلما لحظني
خفّ في القيام • وأحفى في الإكرام • ثم استصحبني إلى داره
وأودعني خصائص أسراره • وحين انتشر جناح الظلام •
وحان ميقات المنام • أحضر أباريق المدام • مختومة بالفدام • فقلت
أتحسوها أمام النوم • وأنت إمام القوم • فقال مه أنا في النهار خطيب

وفي الليل أطيب • فقلت والله ما أدري أأعجب من تسليك
عن أناسك • ومسقط رأسك أم من خطبتك مع أدناسك •
ومدار كاسك • فأشاح بوجهه عني • ثم قال اسمع مني

لا تبك إلفًا نأى ولا دارا • ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنًا • ومثّل الأرض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره • وداره فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما • تدري أيومًا تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة • وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قابضة • ما كرّ عصر المحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك • لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس • وطربت النفوس • جرّعني اليمين
الغموس • على أن أحفظ عليه الناموس • فاتبعت مرامه • ورعيت
ذمامه • ونزّلته بين الملأ منزلة الفضيل • وسدلت الذيل على
مخازي الليل • ولم يزل ذلك دأبه ودأبي • إلى أن تهيأ إيابي •
فودّعته وهو مصرّ على التدليس • ومستحسن الخندريس ❊

المقامة التاسعة والعشرون وتعرف بالواسطية

حكى الحرث بن همام . الجأني حكم دهر قاسط . الى ان انتجع ارض
واسط . فقصدتها وانا لا اعرف فيها سكنًا . ولا املك بها مسكنًا
ولما حللتها حلول الحوت بالبيدآء . او الشعرة البيضاء في اللمة
السودآء . قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله
شذاذ الآفاق . واخلاط الرفاق . وهو لنظافة مكانه . وظرافة سكانه
يرغب الغريب في ابطانه . وينسيه هوى اوطانه . فاستفردت
منه بحجرة . ولم اناقش في اجرة . فما كان الا كلمح طرف . او خطو
حرف حتى سمعت جاري بيت بيت . يقول لنزيله في البيت . قم
يا بني لا قعد جدك . ولا قام ضدك . واستصحب ذا الوجه البدري
واللون الدري . والاصل النقي . والجسم الشقي . الذي قبض ونشر
وسجن وشهر . وسقي وفطم . وادخل النار بعدما لطم . ثم اركض
الى السوق اركاض المشوق . فقايض به اللازق الملق . المفسد المصلح
المكمد المفرح . المعني المروح . ذا الزفير المحرق . والحنين المشرق
واللفظ المقنع . والنيل المتبع . اذا طرق رعد وبرق . وباح بالحرق

ونفث

ونفث في الخرق بالحرق . فلما قرت شقشقة الهادر . ولم يبق الا
صدر الصادر . برز فتى يميس . وليس معه انيس . فرايتها عضلة
تتعب بالعقول . وتغري بالدخول في الفضول . فانطلقت في اثر الغلام
لاخبر فحوى الكلام . فلم يزل يسعى سعي العفاريت . ويتفقد نضائد
الحوانيت . حتى انتهى عند الرواح . الى حجارة القداح . فناول
بايعها رغيفًا . وتناول منه حجرًا لطيفًا . فعجبت من فطانة المرسل
والمرسل . وعلمت انها سر وجيه وان لم استنل . وما كذبت
ان بادرت الى الخان . منطلق العنان . لانظر كنه فهمي . ومثل قرطس في
التخمين سهمي . فاذا انا في الفراسة فارس . وابو زيد بوصيد الخان
جالس . فتهادينا بشرى الالتقاء . وتقارضنا تحية الاصدقاء .
ثم قال ما الذي نابك . حتى زايلت جنابك . فقلت دهر ماض
وجور قاض . فقال والذي انزل المطر من الغمام . واخرج الثمر من الاكمام
لقد فسد الزمان . وعم العدوان . وعدم المعوان . والله المستعان
فكيف افلت . وعلى اي وصفيك اجفلت . فقلت اتخذت
الليل قميصًا . وادلجت فيه خميصًا . فاطرق ينكت في الارض

ويفكر في ارتياد القرض والقرض ثم اهتز هزة من اكتنه قبض
او بدت له فرص وقال قد علق بقلبي ان تصاهر من يأسو جراحك
ويريش جناحك فقلت وكيف اجمع بين غل وقل ومن الذي
يرغب في صل بن صل فقال انا المشير بك واليك والوكيل لك و
عليك مع ان دين القوم جبر الكسير وفك الاسير واحترام العشير
واستنصاح المشير الا انهم لو خطب اليهم ابراهيم بن ادهم او
جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على خمسمائة درهم اقتداء بما مهر
الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته وعقد به انكحة بناته على انك
لن تطالب بصداق ولن تلجأ الى طلاق ثم اني ساخطب في
موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب
بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة
دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب
فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا
وقال ابشر باعتاب الدهر واحتلاب الدر فقد وليت العقد
واكفلت النقد وكأن قد تم اخذ في مواعدة اهل الخان واعداد

حلوآء

حلوآء الخوان فلما مد الليل اطنابه واغلق كل ذي باب بابه
اذن في الجماعة الا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم الا
من لبى صوته وحضر منهم بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشهود
عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم
ويدعه الى ان نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا اضع
الفاس في الراس وخلص الناس من النعاس فنظر نظرة في النجوم
ثم انتشط من عقلة الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور
ليكشفن سر هذا الامر المستور ولينشرن ذكره الى يوم النشور
ثم انه جثا على ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال الحمد لله
الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل كل
مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل الامطار ومسهل
الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها
ومكور الدهور ومكررها ومورد الامور ومصدرها عم سماحه
وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السول والامل واوسع المرمل و
الارمل احمده حمدا ممدودا مداه واوحده كما وحده الاواه

وهو احد لا اله للامم سواه • ولا صادع لما عدله وسواه • ارسل
محمدا علما للاسلام • واماما للحكام • ومسددا للرعاع • ومعطلا احكام
ود وسواع • اعلم وعلم • وحكم واحكم • واصل الاصول ومهد • واكد
الوعود واوعد • واصل الله له الاكرام • واودع روحه السلام • ورحم
آله واهله الكرام • ما لمع آل • وملع رال • وطلع هلال • وسمع اهلال •
اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال • واسلكوا مسالك الحلال •
واطرحوا الحرام ودعوه • واسمعوا امر الله وعوه • وصلوا الارحام وراعوها
وعاصوا الاهواء واردعوها • وصاهروا لحم الصلاح والورع • وصارموا
رهط اللهو والطمع • مصاهركم اطهر الاحرار مولدا • واسراهم سوددا
واحلاهم موردا • واصحهم موعدا • وها هو امكم • وحل حرمكم • مملكا
عروسكم المكرمة • كما مهر الرسول ام سلمة • وهو اكرم صهر اودع الاولاد
وملك ما اراد • وما سها مملكه ولا وهم • ولا وكس ملاحمه ولا وصم
اسأل الله لكم احماد وصاله • ودوام اسعاده • والهم كلا اصلاح
حاله • والاعداد لمعاده • وله الحمد السرمد • والمدح لرسوله محمد •
صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين فلما فرغ من خطبته البتراء

النظام

النظام • العرية من الاعجام • عقد العقد على الخمس المئين • وقال لي
بالرفاء والبنين • ثم احضر الحلواء التي كان اعدها • وابدى الابوة عندها
فاقبلت اقبال الجماعة عليها • وكدت اهوي بيدي اليها فزجرني
عن المواكلة • وانهضني للمناولة • فوالله ما كان باسرع من تصافح
الاجفان • حتى خر القوم للاذقان • فلما رأيتهم كاعجاز نخل خاوية
او كصرعى بنت خابية • علمت انها احدى الكبر • وام العبر
فقلت له يا عدي نفسه وعبيد فلسه أأعددت للقوم حلوا • ام
بلوى • فقال لم اعد خبيص البنج في صحاف الخلنج • فقلت اقسم
بمن اطلع بها زهرا • وهدى بها السارين ظهرا لقد جئت شيئا
نكرا • وابقيت لك في المخزيات ذكرا • ثم حرت فكرة في صيور
امره • وخيفة من غدوى عره • حتى طارت نفسي شعاعا وارتعدت
فرايصي ارتياعا • فلما رأى استطارة فرقي • واستشاطة
قلقي • قال ما هذا الفكر الممرض • والروع المومض • فان يكن فلك
في اجلي من اجلي فانا الآن ارتع واطفر • واقوى هزة البعثة مني اقفر
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر • وان يكن نظر النفسك وحذار من حسك

تكل فمنالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تأمن المتعدي
والمعدي وتمهد لك المقام بعدي والا فالمفر المفر قبل ان
تسحب وتجر ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الاكياس والتخوت
وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مذروع وموزون
حتى غادر ما الغاه فخه كعظم استخرج مخه فلما همّ ما اصطفاه
ورزم وتشمر عن ذراعه للادلاج وتحزم اقبل علي اقبال من
لبس الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة الى
البطيحة لأصلك بأخرى مليحة فأقسمت له بالذي جعله مباركا
اينما كان ولم يجعله ممن خان في خان انه لا قبل لي بنكاح حرتين و
معاشرة ضرتين ثم قلت له قول المتطبع بطباعه الكايل له بصاعه
قد كفتني الاولى فخرا فاطلب آخر للاخرى فتبسم من كلامي ودلف
لالتزامي فلويت عنه عذاري وابديت له ازوراري فلما ابصر انقباضي وتجلى له
اعراضي انشد يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف

ولقد

ولقد نزلت بهم فلم ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مخيف ان تمكن او مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
ووترت ارباب الارائك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت ولكم فتكت وكم هتكت حمى انوف
وكم ارتكاض موبقاتي في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت بكى في الاستعبار. والظ بالاستغفار
حتى انه استمال مني قلبي المنحرف. ورجوت له ما يرجى للمقترف
المعترف. ثم انه غيض دمعه المنهل. وتأبط جرابه واستقل. وقال
لابنه احتمل الباقي. والله الواقي. قال المخبر بهذه الحكاية. فلما رأيت
انسياب الحية والحيية. وانتهاء الداء الى الكية. علمت ان
تريثي بعدهما بالحي. مجلبة للهوان. فضممت رحلي. وجمعت
للرحلة ذيلي. وبت ليلتي اسري الى الطيب. واحتسب الله على الخطيب.

المقامة الثلاثون وتعرف بالصورية

حكى الحارث بن همام. قال ارتحلت من مدينة المنصور. الى بلدة صور.
فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض. ومالك رفع وخفض. تقت
الى مصر توقان السقيم الى الأساة. او الكريم الى المواساة. فرفضت علايق
الاستقامة. ونفضت عوايق الاقامة. واعروريت ظهر ابن النعامة.
واجفلت نحوها اجفال النعامة. فلما دخلتها بعد معاناة الأين. ومداناة
الحين. كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح. والحيران بتنفس الصباح.
فبينا انا يوما بها اطوف. وتحتي فرس قطوف. اذ رأيت على جرد

من الخيل

من الخيل. عصبة كمصابيح الليل. فسألت لابتغاء النزهة. عن العصبة
والوجهة. فقيل اما القوم فشهود. واما المقصد فإملاك مشهود.
فحدتني ميعة النشاط. على ان سرت مع الفراط. لأفوز بحلاوى اللقاط. و
احوز حلواء السماط. فافضينا بعد مكابدة العناء. الى دار رفيعة البناء.
وسيعة الفناء. تشهد لبانيها بالثراء والثناء. فلما نزلنا عن
صهوات الخيول. وقدمنا الاقدام للدخول. رأيت دهليزها مجللا بأنماط
مخرقة. ومكللا بمخارف معلقة. وهناك شخص على قطيفة. فوق
دكة لطيفة. فرابني عنوان الصحيفة. ومرأى هذه البدعة الطريفة.
ودعاني التطير بتلك المناحس. الى ان عمدت لذلك الجالس
فعزمت عليه بمصرف الاقدار. ليعرفني من رب هذه الدار. فقال
ما لها مالك معين. ولا صاحب مبين. انما هي مصطبة المقيقين
والمدروزين. ووليجة المتقشقشين والمجلوزين. فقلت انا لله على
ضلة المسعى. وامحال المرعى. وهممت في الحال بالرجعى. لكني استهجنت
العود من فوري. والقهقرة دون غيري. فولجت الدار متجرعا الغصص.
كما يلج العصفور القفص. فاذا فيها ارايك منقوشة. وطنافس مفروشة.

ونمارق مصفوفة. وسجوف مرصوفة. وقد اقبل المملك يميس في برديه.
ويتبهنس بين حفدته. فحين جلس كأنه ابن ماء السماء. نادى مناد من قبل
الاحماء. وحرمة ساسان استاذ الاستاذين. وقدوة الشحاذين
لا عقد هذا العقد المبجل. في ذا اليوم الاغر المحجل. الا الذي جال و
جاب. وشب في الكدية وشاب. فاعجب رهط الصهر ما اشاروا
اليه. واذنوا في احضار المنصوص عليه. فبرز حينئذ شيخ قد امال
الملوان قامته. ونور الفتيان ثغامته. فتباشرت الجماعة باقباله.
وتبادرت الى استقباله. فلما جلس على زربيته. وسكتت الضوضاء
لهيبته. ازدلف الى منبره. ومسح سبلته بيمينه ثم قال
الحمد لله المبتدي بالافضال. المبتدي بالنوال. المتقرب اليه بالسؤال.
المؤمل لتحقيق الآمال. الذي شرع الزكوة في الاموال. وزجر عن
نهر السؤال. وندب الى مواساة المضطر. وامر باطعام القانع والمعتر.
ووصف عباده المقربين. في كتابه المبين. فقال وهو اصدق القائلين.
والذين في اموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم. احمده على ما
رزق من طعمة هنيئة. واعوذ به من استماع دعوة بلائية. واشهد

ان لا اله الا الله

لا اله الا الله وحده لا شريك له اله. يجزي المتصدقين والمتصدقات.
ويمحق الربوا ويربي الصدقات. واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم.
ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء. وينتصف للفقراء من الاغنياء.
فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين. وخفض جناحه للمستكين. وفرض
الحقوق في اموال المثرين. وبين ما يجب للمقلين على المكثرين.
صلى الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة. وعلى اصفيائه اهل الصفة.
اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتستعفوا. وسن التناسل
لكي تتضاعفوا. فقال سبحانه لتعرفوا. يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا. وهذا ابو الدراج
ولاج بن خراج. ذو الوجه الوقاح. والافك الصراح. والهرير والصياح
والابرام والالحاح. يخطب سليطة اهلها. شريطة بعلها.
قنبس بنت ابي العنبس. لما بلغه من التحافها بالحافها. واسرافها في
اسفافها. وانكماشها على معاشها. وانتعاشها عند هراشها.
وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا. وصقاعا وكرازا. فانكحوه
نكاح مثله. وصلوا حبلكم بحبله. وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم من فضله.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن
يكثر في المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم فلما
الشيخ من خطبته وأبرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما
استغرق حد الإكثار وأغرى الشحيح بالإيثار ثم نهض الشيخ
ذلاذله ويقدم أراذله قال الحارث بن همام فتبعته لأنظر عجز أمره
والحمل بهجة اليوم فعاج بهم إلى سماط زينته طهاته وتناصفت في
الحسن جهاته فحين ربع كل منا في ربضته وطفق يرتع في روضته
انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة
إلي ونظرة هجم بها طرفه علي فقال إلى أين يا برم هلا عاشرت
معاشرة من فيه الكرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها إشراقا
ما ذقت لماقا ولا لست رقاقا أو تخبرني مدب صباك
ومهب صباك فتنفس الصعداء مرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى
إذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال لي اسمع

مسقط الرأس سروج وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج

وردها

وردها من سلسبيل وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وأزاهير رباها حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو كلما قر يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في التراجي قاصرات الخطو عوج

ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج قال فلما تبينت بلده ووعيت
ما انتثره أيقنت أنه علامتنا أبو زيد وإن كان الهرم قد أوثقه
بقيد فبادرت إلى مصافحته واغتنمت مؤاكلة من صحفته
وظلت مدة مقامي بمصر أعشو إلى شواظه وأحتشو صدفتي
من درر ألفاظه إلى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون وتعرف بالرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش
اللباب أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب
لعلمي أن السفر ينقع الصفر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر
الفطن وتحقر من قطن فأجلت قداح الاستشارة وقدحت
زناد الاستخارة ثم استحثثت جاشا أثبت من الحجارة وأصعدت
إلى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة
صادفت بها ركابا تعد للسرى ورحالا تشد إلى أم القرى
فعصفت بي ريح الغرام وأهاج لي شوق إلى البيت الحرام فزممت
ناقتي ونبذت علقتي وعلاقتي

وقلت للائمي أقصر فإنني	سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع	وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل
وإلى الخير جري الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب وإيجاف وتقريب
إلى أن جئنا أيدي المطايا بالتحفة في إيصالنا إلى الجحفة فحللناها

متأهبين

متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك المرام فلم نلبث إلا ريث إلحاق
الركائب وحط الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شخص
ضاحي الإهاب وهو ينادي يا ذا التنادي هلم إلى ما ينجي يوم التنادي
فانحاز إليه الحجيج وانضلوا واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى انقفافهم
حوله واستعظامهم قوله تسنم إحدى الأكام ثم تنحنح مستفتحا
للكلام وقال يا معشر الحجاج السائلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون
وإلى من تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون
أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل
وإيقار الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وإنضاء الأبدان
ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة
قبل اجتلاب المطية وإخلاص النية في قصد تلك البنية وإمحاض
الطاعة عند وجدان الاستطاعة وإصلاح المعاملات أمام
إعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد
السالك في الليل الحالك ما ينقي الاغتسال بالذنوب من الانغماس
في الذنوب ولا تعدل تعرية الأجسام بتعبية الأجرام ولا تغني

لبسة الإحرام عن المتلبس بالإجرام • ولا ينفع الاضطباع بالأزار • مع الاضطلاع بالأوزار • ولا يجدي التقرب بالحلق • مع التقلب في ظلم الخلق • ولا يرحض التنسك بالتقصير • دون التمسك بالتقصير • ولا يسعد بعرفة • غير أهل المعرفة • ولا يزكو بالخيف • من يرغب في الحيف • ولا يشهد المقام • إلا من استقام • ولا يحظى بقبول الحجة • من زاغ عن المحجة • فرحم الله امرأ صفا • قبل مسعاه إلى الصفا • وورد شريعة الرضا • قبل شروعه في الأضا • ونزع عن تلبيسه • قبل نزع ملبوسه • وفاض بمعروفه • قبل الإفاضة من تعريفه • ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم • وكاد يزعزع الجبال الشم • وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اغتباطك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ... ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي بما أوتيت مقدرة ... من مد كفا إلى جدواك محتاجا
فهذه حجة إن حزتها كملت ... وإن خلا الحج منها كان إخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا الكد وإزعاجا

وانهم حرموا

وأنهم حرموا أجرا ومحمدة ... وألحموا عرضهم من عاب أو ماجا
أخي فابغ بما تبديه من قرب ... وجه المهيمن ولاجا وخراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية ... إن أخلص العبد في الطاعات أو داجى
وبادر الموت بالحسنى تقدمها ... فما ينهنه داعي الموت إن فاجا
وأقن التواضع خلقا لا تزايله ... عنك الليالي ولا البسك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ... ولو تراءى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ له ... كم قد أصم بنغي بعض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات مغتنما ... بلغة يدرج الأيام إدراجا
فكل كثر إلى قل مغبته ... وكل ناز إلى لين وإن ماجا

قال الراوي فلما ألقح عقم الأفهام • بسحر الكلام • استروحت ريح أبي زيد • وما دب في الارتياح إليه أي ميد • فمكثت حتى استوعب بث حكمته • واستخدر من الكلمة • ثم دلفت إليه لأتصفح صفحات محياه • وأستشف جوهر حلاه • فإذا هو الضالة التي أنشدها • وناظم القلائد اللاتي أنشدها • فعانقته عناق اللام بالألف •

ونزلت منزلة البرء عند الدنف. وسألته أن يلازمني فأبى. أو يزاملني فنبا. وقال آليت في حجتي هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب ولا أنتسب ولا أرتفق ولا أرافق. ولا أوافق من ينافق. ثم ذهب يهرول. وغادرني أولول. فلم أزل أتبعه نظري. وأودعه تحسري على ناظري. حتى توقل أحد الأطواد. ووقف للحجيج بالمرصاد. فحين شاهد إيضاع الركبان في الكثبان. وقع بالبنان على البنان. وأقبل ينشد

ليس من زار راكبا مثل ساع على القدم
لا ولا خادم أطاع كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي سعي بان ومن هدم
سيقيم المفرطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقرب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي صالحا عند ذي القدم
وذري زخرف الحيوة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام إذا خطبه صدم
والذي في فعلك القبيح وسحي له بدم

وادعه

وادعه بتوبة قبل أن تحلم الأدم
فعسى الله أن يقيك السعير الذي احتدم

يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم. ثم إنه أغمد عضب لسانه. وانطلق لشأنه. فما زلت في كل مورد نرده. ومعرس نتوسده أتفقده فلا أفقده. وأستنجد بمن ينشده فلا يجده. حتى خلت أن الجن اختطفته. أو الأرض التقطته. فما كابدت في الغربة كهذه الكربة. ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة

المقامة الثانية والثلثون وتعرف بالمدنية

حكى الحارث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج. وأقمت وظائف العج والثج. أن أقصد طيبة. مع رفقة من بني شيبة. لأزور قبر المصطفى. من قبل من حج وجفا. فأرجف بأن المسالك شاغرة. وعرب الحرمين متشاجرة. فحرت بين إشفاق يثبطني. واشتياق ينشطني. إلى أن ألقي في روعي الاستسلام. وتغليب زيارة قبره عليه الصلوة والسلام. فاعتمت القعرة. وأعددت العدة. وسرت والرفقة لا نلوي على عرجة. ولا ننثني في تأويب لا دلجة. حتى وافينا بني حرب.

وقد آبوا من حرب. فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم في حلة القوم. وبينما
نحن نتخير المناخ. ونرود الورد النقاخ. إذ رأيناهم يركضون.
كأنهم إلى نصب يوفضون. فرأينا اتباعهم. وسألنا ما بالهم.
فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب. فأهرعوا لهذا السبب. فقلت
لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي. فقالوا لقد أسمعت
إذ دعوت. ونصحت وما ألوت. ثم نهضنا نتبع الهادي. ونؤم النادي.
حتى إذا أطللنا عليه. واستشرفنا الفقيه المنهود إليه. ألفيته أبا زيد ذا
الشعر والبجر. والفواقر والفقر. وقد اعتم القعداء. واشتمل الصماء.
وقعد القرفصاء. وأعيان الحي به محتفون. وأخلاطهم عليه ملتفون.
وهو يقول سلوني عن المعضلات. واستوضحوا مني المشكلات.
فوالذي فطر السماء. وعلم آدم الأسماء. إني لفقيه العرب العرباء.
وأعلم من تحت الجرباء. فصمد له فتى فتيق اللسان جريء الجنان.
وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا.
فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير. ويرغب منا في مير.
فاستمع وأجب لتقابل بما يجب. فقال الله أكبر سيبين المخبر

وينكشف

وينكشف المضمر. فاصدع بما تؤمر فقال ما تقول فيمن توضأ
ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله. النعل الزوجة قال فإن
توضأ ثم اشتكاه البرد قال يجدد الوضوء من بعد. والبرد النوم قال
أيمسح المتوضئ أنثييه قال قد ندب إليه ولم يجب عليه. الأنثيان الأذنان قا
ل فهل يلزمه غسل صحيفته قال نعم كغسل شفته. الصحيفة بشرة
الوجه قال أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف منه
للعربان. الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي قال أيستباح ماء الضرير
قال نعم ويجتنب ماء البصير. الضرير حرف الوادي والبصير الكلب قال
أيحل الطوف في الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع. الطوف
التغوط والربيع النهر الصغير قال أيجب الغسل على من أمنى قال لا
ولو ثنى. أمنى الرجل نزل منيه يقال منه منى وأمنى وامتنى قال فهل يجب
على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل أبرته. الفروة جلدة الرأس
والأبرة عظم المرفق قال فإن أخل بغسل فأسه قال هو كما لو أغفل غسل رأسه.
الفأس العظم المشرف على نقرة القفاء قال ما تقول فيمن توضأ ثم
رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضأ. الروض ههنا جمع روضة وهي الصبابة

تبقى في الحوض قال أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة قال نعم وليجانب
القذرة • العذرة فناء الدار قال فهل له السجود على الخلاف قال لا
ولا على أحد الأطراف • الخلاف الكم قال فإن سجد على شماله قال لا بأس
بفعاله • الشمال جمع شملة قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم
دون الذراع • الكراع ما استطال من الحرة قال أيصلي على رأس الكلب
قال نعم كسائر الهضب • رأس الكلب ثنية معروفة قال ما تقول فيمن
صلى وعانته بارزة قال صلوته جائزة • العانة الجماعة من حمر الوحش
قال فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم • الصوم ذرق النعام
قال فإن حمل جروا وصلى قال هو كما حمل باقلى • الجرو الصغار من القثاء و
الرمان قال أتصح صلوة حامل العروة قال لا ولو صلى فوق المروة • العروة
ميلغة الكلب قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو قال يمضي في صلوته ولا غرو
• النجو السحاب الذي قد هراق ماءه قال أيجوز أن يأتم الرجل بمقنع قال نعم
ومدرع • المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع قال فإن أمهم من في يده
وقف قال يعيد ولو أنهم ألف • الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد
به أنه لا يجوز تبرج الإمام بالنساء قال فإن أمهم من فخذه بادية قال صلوته

صلوته

وصلوتهم ماضية • الفخذ العشيرة • وبادية هم الذين يسكنون البدو
واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها
وبين الفخذ من الأعضاء قال فإن أمهم الثور الأجم قال صل وخلاك ذم
• الثور السيد والأجم من لا سلاح له قال أيدخل القصر في صلوة الشاهد
قال لا إلا الغائب الشاهد • صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت
بذلك لأن إقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد قال أيجوز للمعذور
أن يفطر في شهر رمضان قال ما رخص فيه إلا للصبيان • المعذور
المختون وهو أيضا المعذر قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه •
المعرس المسافر الذي ينزل آخر ليله ليستريح ثم يرتحل قال فإن أفطر فيه
العراة قال لا ينكر عليهم الولاة • العراة هم الذين تأخذهم العرواء وهي
الحمى برعدة قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح قال هو أحوط له وأصلح
• أصبح أي استصبح بالمصباح قال فإن عمد لأن أكل ليلا قال
يتمم للقضاء ذيلا • الليل ولد الحبارى وقيل هو ولد الكروان قال
فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء قال يلزمه والله القضاء • البيضاء
من أسماء الشمس قال فإن استثار الصائم الكيد قال أفطر ومن أحل الصيد

الكبد القيء واستثاره اي استدعاه قال فهل يفطر بانجاج الطابخ
قال نعم لا بطهي المطابخ. الطابخ الحمى الصالب قال فان
ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها. ضحكت ههنا
اي حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق قال فان ظهر الجدري
في ضرتها قال تفطر ان اذن بمضرتها. الضرة اصل الابهام واصل
الثدي ايضا قال ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح.
المصباح الناقة التي تصبح في المبرك قال فان ملك عشرة
خناجر قال تخرج شاتين ولا يشاجر. الخناجر النوق الغزار واحدتها
خنجر وخنجور قال فان سمح للساعي بحميمة قال يا بشرى له يوم قيامته.
الساعي الجابي للصدقة والحميمة خيار المال قال أيستحق حملة الاوزار
من الزكوة جزءا قال نعم اذا كانوا غزاة. الاوزار السلاح. والغزى
جمع غاز قال أيجوز للحاج ان يعتم قال لا ولا ان يختمر. الاعتمار لبس العمامة
وهي العمامة. والاختمار لبس الخمار قال فهل له ان يقتل الشجاع قال
نعم كما يقتل السباع. الشجاع الحية قال فان قتل زمارة في الحرم
قال عليه بدنة من النعم. الزمارة النعامة. واسم صوتها الزمار

قال فان رمى

قال فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله. ساق الحر ذكر القماري
قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام قال يتصدق بقبضة من طعام.
ام عوف الجرادة قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال
نعم ليسوقهم الى المشارب. القارب طالب الماء بالليل والحاج اسم
للجمع والواحد قال ما تقول في المحرم بعد السبت قال قد حل في ذلك الوقت.
المحرم. والسبت حلق الراس. وحل من تحليل الحج قال ما تقول في بيع
الكميت قال حرام كبيع الميت. الكميت الخمر قال أيجوز بيع الخل
بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الجمل. الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان
سواء كان من جنسه او من غير جنسه قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع
السبيئة. الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة. والسبيئة الخمر و
يقال للاول ايضا هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء قال ما تقول في بيع
العقيقة قال محظور على الحقيقة. العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع
من ولادته قال أيجوز بيع الداعي على الراعي قال لا ولا على الساعي. الداعي بقية
اللبن في الضرع. والساعي جابي الصدقة وقد مضى تفسيره قال أيباع الصقر بالتمر
قال لا ومالك الخلق والامر. الصقر الدبس قال أيشتري المسلم

سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه إذا مات • السلب لحاء الشجر
وهو أيضاً خوص الثمام قال فهل يجوز أن يُباع الشافع قال ما بجوازه
من دافع • الشافع الشاة التي معها سخلها قال أيباع الأبريق على بني
الأصفر قال يكره كبيع المغفر • الأبريق السيف الصقيل الكثير الماء
وبنو الأصفر الروم قال أيجوز بيع الرجل صفيه قال لا ولكن ليبيع
صفيه • الصفي الولد على الكبر • والصفي الناقة الغزيرة الدر قال
فإن اشترى عبداً فبان بأمه جرح قال ليس في رده جناح • الآمة
مجتمع الدماغ قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك
في الصفراء • الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة قال أيحل أن
يحمي ماء البئر والخلا قال إن كان في الفلاء فلا • والخلا الكلأ قال ما تقول في
ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر • الكافر البحر • وميتته السمك
الطافي فوق مائه قال أيجوز أن يضحي بالحول قال وهو أجدر بالقبول •
الحول جمع حائل قال فهل يضحي بالطالق قال نعم ويقرى منها الطارق •
الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة
قال لحمه شاة لا محالة • الغزالة الشمس • وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة

ولا يقال غربت قال أيحل الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق
• الطرق الضرب بالحصا وهو من أفعال الكهنة قال أيسلم القائم على
القاعد قال محظور فيما بين الأباعد • القاعد هي التي قعدت عن الحيض أو
الأزواج قال أينام العاقل تحت الرقيع قال أحبب به في البقيع • الرقيع
السماء • والبقيع عنى به بقيع المدينة قال أيمنع الذمي عن قتل العجوز قال
معارضته في العجوز لا تجوز • والعجوز الخمر وقتلها مزجها قال أيجوز أن ينتقل
الرجل عن عمارة أبيه قال ما يجوز للخامل ولا النبيه • العمارة القبيلة
قال ما تقول في التهود قال هو مفتاح التزهد • التهود التوبة
ومنه قوله تعالى إنا هدنا إليك قال ما تقول في صبر البلية قال أعظم به
من خطية • الصبر الحبس والبلية الناقة التي تحبس عند قبر صاحبها
فلا تسقى ولا تعلف إلى أن تموت وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر
عليها قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير • السفير ما تساقط
من ورق الشجر • والمستشير الجمل السمين • وهو أيضاً الجمل الذي يعرف
اللاقح من الحائل قال أيعزر الرجل أباه قال يفعل البر ولا يأباه • التعزير التعظيم و
النصرة قال ما تقول فيمن أفقر أخاه قال حبذا ما توخاه • أفقره أعاره

ناقة تُركب فقارها قال فان اعوى ولده قال يا حسن ما عمله • اعواه
اعطاه ثمر نخلة عاما قال فان اصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار •
المملوك العجين الذي اجيد عجنه حتى قوي قال أيجوز للمرأة ان تصرم بعلها
قال ما حظر احد فعلها • البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض من غير سقي
قال فهل تؤدب المرأة على الخجل قال اجل • الخجل سوء احتمال الغنى • ومنه قوله عم
للنساء انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن خجلتن قال فما تقول فيمن
نحت اثلة اخيه قال اثم ولو اذن له فيه • نحت الاثلة اذا اغتابه وقدح
في عرضه قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور • الثور
الجنون قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم قال نعم الى ان يرشد ويستقيم •
يقال ضرب على يده اذا حجر عليه قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له
رضا • الربض المرأة قال فمتى يبيع بدن السفيه قال حين يرى له الحظ فيه •
البدن الدرع القصير قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا قال نعم اذا لم يكن
مغشا • الحش النخل المجتمع قال أيجوز ان يكون الحاكم ظالما قال نعم اذا كان
عالما • الظالم ان يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده قال أيستقضي
من ليست له بصيرة قال نعم اذا حسنت منه السيرة • البصيرة الترس ههنا

قال فان تعرى من العقل قال ذاك عنوان الفضل • العقل ضرب من الوشي
قال فان كان له زهو جبار قال لا اكبار ولا انكار • الزهو البسر الملون
والجبار النخل الذي قد فات اليد • وضرة النخلة القاعرة قال أيجوز ان يكون
الشاهد مريبا قال نعم اذا كان اريبا • المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب
قال فان بان انه لاط بحوضه قال ذاك كما لو خاط • لاط الحوض اذا طيّنه قال فان عثر
على انه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل • غربل اي قتل • ومنه قول الراجز •
ترى الملوك حوله مغربله قال فان ظهر انه ماين قال ذاك وصف له
زاين • المائن الذي يعول ويكفي المؤنة • من مان يمون قال ما يجب على عابد
الحق قال يحلف باله الخلق • العابد ههنا الجاحد • والحق الدين ههنا
قال ما يجب على من فقأ عين بلبل عمدا قال تفقأ عينه قولا واحدا •
البلبل الرجل الخفيف قال فان جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس
ان فاتت • القطاة ما بين الوركين قال فان القت الحامل حشيشا من
ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه • الحشيش الولد الملقى ميتا قال
ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لاقامة الردع • المختفي نباش
القبور قال فما تصنع فيمن سرق اساود الدار قال يقطع ان ساوين ربع دينار

الأساود الآلات المستعملة كالإجانة والقدر والجفنة قال فإن سرق ثميناً من ذهب قال لا قطع كما لو غصب الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي السدس سديس قال فإن بان على المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق السرق الحرير الأبيض قال أينعقد نكاح لم يشهده القواري قال لا والخالق الباري. القواري الشهود لأنهم يقرون الأشياء أي يتتبعونها قال ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بسحرة قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق يقال باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها فإن اقتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الأول وكني به عن طلاقها وردها إلى أهلها فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه المائح. وحبر لا يبلغ مدحه المادح. ثم أطرق إطراق الحيي. وأرم إرمام العيي. فقال له أبو زيد إيه يا فتى. فإلى متى وإلى متى. فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة. ولا بعد إشراق صبحك مماراة. فبالله أي ابن أرض أنت. فما أحسن ما أنبت.

فأنشد بلسان ذلق. وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله   ولأهل العلم قبله

غير أني في كل يوم   بين تغريس ورحلة

والغريب الدار لو حل   بطونى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وهُدي. فاجعلهم ممن يهتدي ويهدي. فساق إليه القوم ذودا مع قينة. وسألوه أن يزورهم الفينة بعد الفينة. فنهض يمنيهم العود. ويزجي الأمة والزود. قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها. فمتى صرت فقيها. فظل هنيهة يحول. ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا. ولابست صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرت كل جليس بما. يلايمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام. وبين السقاة أدير الكؤوسا

وطورا أبوعظي أسيل الدموع. وطورا بلهوي أسر النفوسا

وأقري المسامع إما نطقت. بيانا يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعف كفي اليراع. فأسقط درا يحلي الطروسا

وكم مشكلات حكين السها. خفاء فصيرتهن شموسا

وكم ملح لي خلبن العقول. وأشأزن في كل قلب رسيسا

وعذراء أُفقتُ بها فانثنى عليها الثناء طليقاً حبيسا
على أنني مذ زماني خُصِصتُ بكيدٍ ولا كيد فرعون موسى
يُسعّر لي كل يوم وغىً أطاير لظاها وطيساً وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يذيب القوى ويشيب الرؤسا
ويدني إلى البعيد البغيض ويُبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة هذا الزمان لما كان حظي فيه خسيسا

فقلت له خفّض الأحزان، ولا تلم الزمان، واشكر لمن نقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس. فقال دع الهتار، ولا تهتك الأستار، وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب، فعسى أن نرحض بالمزار، درن الأوزار. فقلت هيهات أن أسير، أو أفقه التفسير، فقال والله لقد أوجبت ذمّاً، وطلبت إذ ظلمت أمّاً، فهاك ما ينفي الكفر، وينفي اللبس. قال فلما أوضح لي المعمّى، وكشف عني العمى، شددنا الأكوار، وسرت وسار، ولم أزل من مسامرته، مدة مسايرته، فيما أنساني طعم المشقة، ووددت معه بعد الشقة، حتى إذا دخلنا مدينة الرسول، وفزنا من الزيارة بالسول، أشأم وأعرقت، وغرّب وشرّقت.

المقامة الثالثة والثلثون وتعرف بالتفليسية

أخبر الحارث بن همام قال كنت عاهدت الله تعالى مذ يفعت، أن لا أؤخر الصلوة ما استطعت، فكنت مع جوب الفلوات، وطي الخلوات، أراعي أوقات الصلوات، وأخاف من مأثم الفوات. وإذا رافقت في رحلة، أو حللت في حلّة، هجرت بصوت الداعي إليها، واقتديت بمن يحافظ عليها. واتفق حين دخلت تفليس، أن صليت مع قوم مفاليس، فلما قضينا الصلوة، وأزمعنا الانفلات، برز شيخ بادي اللقوة، بالي الكسوة والقوة، فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية، وتفوّق درّ العصبية، إلا ما تكلف لي لبثة، واستمع مني نفثة، ثم له الخيار من بعد، وبيده البذل والرد. فعقد له القوم الحبى، ودرسوا أمثال الربى، فلما آنس حسن إنصاتهم، ورزانة حصاتهم، قال يا أولي الأبصار الرامقة، والبصائر الرائقة، أما يغني عن الخبر العيان، وينبئ عن النار الدخان، شيب لائح، ووهن فادح، وضعف بائح، وداء واضح، والباطن فاضح، ولقد كنت والله من ملك ومال، وولي وآل، ورفد ونال، ووصل وصال، فلم تزل الجوائح تسحت

والنوايب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر
والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى
ولم اقم هذا المقام الشاين وكشف لكم الدفاين الا بعد ما شقيت
ولقيت وشبت مما لقيت وليتني لم اكن بقيت ثم تاوه تاوه الاسيف
وانشد بصوت ضعيف اشكو الى الرحمن سبحانه • تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتي • وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من • تهتصر الاحداث اغصانه
وامحلت ربعي حتى جلت • من ربعي الممحل جرذانه
وغادرتني حايرا بايرا • اكابد الفقر واشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة • يسحب في النعمة اردانه
يختبط العافون اوراقه • ويحمد السارون نيرانه
فاصبح اليوم كان لم يكن • اعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زايرا • وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه ما يرى • من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه • ويصلح الشان الذي شانه

قال الراوي

قال الراوي فصبت الجماعة الى ان تستثبته لتستنبث خباءته و
تستنفض حقيقته فقالت له قد عرفنا قدر زنيك ورأينا در
مزنيك فعرفنا دوحة شعبتك واخبر اللثام عن نسبتك فاعرض
اعراض من مني بالاعنات او بشر بالبنات وجعل يلعن الضرورات
ويتأفف من تغيض المروات ثم انشد بلفظ صادع وجرس خادع
لعمرك ما كل فرع يدل • جناه الذي على اصله
فكل ما حلا حين تؤتى به • ولا تسئل الشهد عن نحله
وميز اذا ما اعتصرت الكروم • سلافة عصرك من خله
لتغلي وترخص عن خبرة • وتشري كلا بمثله
فعار على الفطن اللوذعي • دخول الغميزة في عقله
قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم بحسن اداته مع دائه
حتى جمعوا له خبايا الخبن وخفايا الثبن وقالوا له يا هذا انك
حمت على ركية بكية وتعرضت لحلية خلية فخذ هذه القبابة
وهبها لا خطا ولا اصابة فنزل قلهم منزلة الكثر ووصل قبولها بالشكر
ثم تولى يجر شقه وينهب بالخطو طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فصور لي

انه محيل لحيلة متصنع في مشية فنهضت انهج منهاجه واقفوا
ادراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى اذا خلا الطريق
وامكن التحقيق نظر الي نظر من هش وبش وما حص بعد ما غش
وقال اني لأخالك اخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق يرفق
بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو اتاني هذا الرفيق
لواتاني التوفيق فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط
ثم ضحك مليا وتمثل لي بشرا سويا فاذا هو شيخنا ابو زيد السروجي
لا قلبة بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذب لقوته •
وهممت بملامته • على سوء دآء مقامته • فشحا فاه • قبل ان الحاه فقال

ظهرت برث لكيما يقال • فقير يزجي الزمان المزجي

واظهرت للناس ان قد فلجت • فكم نال قلبي به ما ترجي

ولولا الزمانة لم يرث لي • ولولا التفالج لم الق فلجا

ثم قال انه لم يبق لي بهذه الارض مرتع • ولا في اهلها مطمع • فان كنت
الرفيق • فالطريق الطريق • فبرزنا منها متجردين • ورافقته عامين
اجردين • وكنت على ان اصحبه ما عشت • فابى الدهر المشتت •

المقامة

المقامة الرابعة والثلاثون وتعرف بالزبيدية

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد • صحبني غلام كنت
ربيته الى ان بلغ اشده • وثقفته حتى اكمل رشده • وكان انس باخلاقي •
وخبر مجالب وفاقي • فلم يكن يتخطى مرامي • ولا يخطي في المرامي • لا جرم ان
قربه التاطت بصفوي • واخلصته لحضري وسفري • فالوى به الدهر المبيد
حين ضمتنا زبيد • فلما شالت نعامته • وسكنت نامته • بقيت
عاما • لا اسيغ طعاما • ولا اريغ غلاما • حتى الجاتني شوائب الوحدة •
ومتاعب القومة والقعدة • الى ان اعتاض عن الدر الخرز • وارتاد من هو
سداد من عوز • فقصدت من يبيع العبيد • بسوق زبيد • وقلت
اريد عبدا يعجب اذا قلب • ويحمد اذا جرب • وليكن ممن خرجه الاكياس •
واخرجه الى السوق الافلاس • فاهتز كل منهم لمطلبي ووثب • وبذل تحصيله
عن كثب • ثم دارت الاهلة دورها • وتقلبت حورها وكورها • وما نجز من
وعودهم وعد • ولا سح لها رعد • فلما رايت النخاسين ناسين او متناسين
علمت ان ليس كل من خلق يفري • وان لن يحك جلدي مثل ظفري •
فرفضت مذهب التفويض • وبرزت الى السوق بالصفر والبيض •

فإني لأستعرض الغلمان . واستعرف الأثمان . عارضني رجل قد

اختطم بلثام . وقبض على زند غلام وقال

أتشتري مني غلاماً صنعا . في خلقه وخلقه قد برعا

بكل ما نطت به مضطلعا . يشفيك إن ولي وإن قلت وعى

وإن تصبك عثرة يقل لعا . وإن تسمه السعي في النار سعى

وإن تصاحبه ولو يوماً رعى . وإن تقنعه بطلف قنعا

وهو على الكيس الذي قد جمعا . ما فاه قط كاذباً ولا ادعى

ولا أجاب مطمعاً حين دعا . ولا استجاز نشر سر أودعا

وطالما أبدع فيما صنعا . وفاق في النظم وفي النثر معا

والله لولا ضنك عيش صدعا . وصبية أضحوا عراة جوعا

ما بعته بملك كسرى أجمعا . قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه

الصميم . خلته من ولدان جنة النعيم . وقلت ما هذا بشراً إن هذا

إلا ملك كريم . ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه . بل لأنظر

أين فصاحته من صباحته . وكيف لهجته من بهجته . فلم ينطق بحلوة ولا مرة .

ولا فاه فوه ابن أمة ولا حرة . فضربت عنه صفحاً . وقلت قبحاً

لعيك وشقحا . فغار في الضحك وانجد . ثم انغض رأسه إلي وانشد

يا من تلهب غيظاً إن لم أبح . باسمي له ما هكذا من ينصف

إن كان لا يرضيك إلا كشفه . فاصخ له أنا يوسف أنا يوسف

ولقد كشفت لك الغطا فإن تكن . فطناً عرفت وما إخالك تعرف

قال فسرى عني بشعره . واستبى لبي بسحره . حتى شدهت عن

التحقيق . وأنسيت قصة يوسف الصديق . ولم يكن لي هم إلا مساومة

مولاه فيه . واستطلاع طلع الثمن لأوفيه . وكنت أحسب أنه

سينظر شزراً إلي . ويغلي السيمة علي . فما حلق إلى حيث حلقت

ولا اعتلق بما اعتلقت . بل قال العبد إذا ارتضيت ثمنه . وخففت مؤنته

تبرك به مولاه . وانتحف عليه هواه . وإني لأوثر تحبيب هذا الغلام إليك

بأن أخفف ثمنه عليك . فزن مائتي درهم إن شئت . واشكر

لي ما حبيت . فنقدته المبلغ في الحال . كما ينقد في الرخيص الحلال .

ولم يخطر لي ببال . أن كل رخيص غال . فلما تحقق الصفقة وحقت

الفرقة . هملت عينا الغلام . ولا هطول دمع الغمام . ثم أقبل على صاحبه

وقال لحاك الله هل مثلي يباع . لكيما تشبع الكرش الجياع .

وهل في شرعة الإنصاف أني • أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع • ومثلي حين يبلى لا يراع
أما جربتني فخبرت مني • نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركا لصيد • فعدت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت • مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها • وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الأيام جرما • فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني • على عيب يكتم أو يذاع
فأنى ساغ عندك نبذ عهدي • كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهاني • وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني • حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا • سخاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن • طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي • أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فلما وعى الشيخ أبياته • وعقل مناغاته • تنفس الصعداء • وبكى

حتى أبكى

حتى أبكى البعداء • ثم قال إني أحل هذا الغلام محل ولدي • ولا أميزه عن أفلاذ كبدي • ولولا خلو مراحي • وخبو مصباحي • لما درج عشي إلى أن يشيع نعشي • وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين • والمؤمن هين لين • فهل لك في تسلية قلبه • وتسرية كربه • بأن تعاهدني على الإقالة فيه متى استقلت • وأن لا تستثقلني وإن نقلت ففي الآثار المستفادة • المدونة عن الثقات • من أقال نادما بيعته • أقال الله عثرته قال الحارث بن همام فوعدته وعدا أبرزه الحياء • وفي القلب أشياء • فاستدنى حينئذ الغلام إليه • وقبل ما بين عينيه • وأنشد والدمع يرفض من جفنيه •

خفض فديتك النفس ما تلاقي • من برحاء الوجد والإشفاق
فما تطول مدة الفراق • ولا تني ركائب التلاقي
بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له أستودعك من هو نعم المولى • ثم شمر ذيله وولى • فلبث الغلام في زفير وعويل • ريثما يقطع مدى ميل • فلما استفاق • وكفكف دمعه المهراق • قال أتدري لم أعولت • وعلام عولت • قلت أظن فراق مولاك

هو الذي ابكاك • فقال انه لغبي واد • وانا في واد • ولكم من مريد ومراد •
ثم انشد
لم ابك والله على الف نزح • ولا على فوت نعيم وفرح
وانما مدمع اجفاني سفح • على غبي لحظه حين طمح
ورطه حتى تعنى وافتضح • وضيع المنقوشة البيض الوضح
ويك اما جئتك بالتينك الملح • وانني حر وبيعي لم يبح
اذ كان في يوسف معنى قد وضح • فتمثلت مقالته في مرآة الملاعب •
ومعرض الملاعب • فتصلب تصلب المحق • وتبرأ من ظنة الرق •
فجلنا في مخاصمة • اتصلت بملاكمة • وافضت الى محاكمة • فلما اوضحنا
للقاضي الصورة • وتلونا عليه السورة • قال ان من انذر فقد اعذر •
ومن حذر كمن بشر • ومن بصر فما قصر • وان فيما اجتنيناه لدليلا
على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت • ونصح لك فما وعيت •
فاستر ذا البله واكتمه • ولم نفسك ولا تلمه • وحذار من اعتلاقه •
والطمع البارد في استرقاقه • فانه حر الاديم • غير معرض للتقويم • وقد كان
ابوه احضره امس قبيل افول الشمس • واعترف بانه فرعه الذي انشاه •
وانه لا وارث له سواه • فقلت للقاضي اوتعرف اباه • اخزاه الله • فقال

وهل يجهل ابو زيد الذي جرحه جبار • وعند كل قاض له اخبار واخبار •
قال فتحرقت حينئذ وحوقلت • وافقت لكن حين فات الوقت •
وايقنت ان لؤمه كان شرك مكيدته • وبيت قصيدته • فنكست
طرفي فيما لقيت • وآليت ان لا اعامل متلثما ما بقيت • ولم ازل
اتأوه لخسر صفقتي • والافتضاح بين رفقتي • فقال لي القاضي
حين رأى امتعاضي • وحرار تماضي • يا هذا ما ذهب من مالك
ما وعظك • ولا اجرم اليك من ايقظك • فاتعظ بما نابك •
واكتم اصحابك ما اصابك • وتذكر ابدا ما دهمك • لتقي الذكرى
دراهمك • وتخلق بخلق من ابتلى فصبر • وتجلت له العبر فاعتبر •
قال فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن • ساحبا ذيلي الغبن والغبن •
ونويت مكاشفة ابي زيد بالهجر • ومصارمته يد الدهر • فجعلت
اتنكب عن ذراه • واتجنب ان اراه • الى ان غشيني في طريق
ضيق • فحياني تحية شيق • فما زدت على ان عبست وما بسمت •
فقال ما بالك شمخت بانفك على الفك • فقلت أانسيت انك
احتلت وختلت • وفعلت فعلتك التي فعلت • فاضردبي متهازيا

ثم أنشد متلافيا: يا من بدا منه صدود موحش وتجهّم • وغدا يريش ملامه دون الملام ويسهم

ويقول هل حرّ يباع كما يباع الأدهم • اقصر فما أنا فيه بدعا مثل ما تتوهّم

قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم • هذا وأقسم بالتي يسري إليها المتّهم

والطائفين بها وهم شعث النواصي سهّم • ما قمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم

واعذر أخاك وكفّ عنه ملام من لا يعلم •

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت. وأما دراهمك فقد طاحت. فإن كان اقشعرارك منّي. وازورارك عنّي. لفرط شفقتك على غبر نفقتك. فلست ممّن يلسع مرّتين. ويوطأ على جمرتين. وإن كنت طويت كشحك. وأطعت شحّك. لتستنقذ ما علق بأشراكي. فلتبك على عقلك البواكي. قال الحارث بن همام فاضطرّني بمنطقه الخالب. وسحره الغالب. إلى أن عدت له صفيّا. وبه حفيّا. ونبذت فعلته ظهريّا. وإن كانت شيئا فريّا. وتركت ما ضاع من الدراهم نسيا منسيّا. وعاهدت الله تعالى أن لا أعامل أنسيّا إنسيّا.

المقامة الخامسة والثلثون وتعرف بالشيرازية

روى الحارث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد

يستوقف المجتاز

يستوقف المجتاز. ولو كان على أوفاز. فلم أستطع تعدّيه. ولا خطت قدمي في تخطّيه. فعجت إليه لأسبر جوهره وأنظر كيف ثمره من زهره. فإذا أهله أفراد. وللعائج إليهم مفاد. وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد. وأطيب من حلب العناقيد. إذ احتفّ بنا ذو طمرين. قد كاد يناهز العمرين. فحيّا بلسان طليق. وأبان إبانة منطيق. ثم احتبى حبوة المستدين. وقال اللهم اجعلنا من المهتدين. فازدرأه القوم لطمريه. ونسوا أن المرء بأصغريه. وأخذوا يتداعون فصل الخطاب. ويعيدون عوده من الأحطاب. وهو لا يفيض بكلمة. ولا يبين عن سمة. إلى أن سبر قرائحهم. وخبر شائلهم ورائحهم. فحين استخرج دفائنهم. واستنثل كنائنهم. قال يا قوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام. لما احتقرتم ذا الأخلاق. وقلتم ما له من خلاق. ثم فجّر من ينابيع الأدب. والنكت النخب. ما جلب به بدائع العجب. واستوجب أن يكتب بذوب الذهب. فلما خلب كل خلب. وقلب إليه كل قلب. تحلحل ليرحل. وتأهّب ليذهب. فعلقت الجماعة بذيله.

وعاقت مسرب سبيله • وقالت له قد أريتنا وسم قدحك وأوريتنا
من نصحك فخبرنا عن قيضك ومحك • فصمت صمت من أفحم • ثم
أعول حتى رحم قال الراوي فلما رأيت شوب أبي زيد وروبه وأسلوبه
المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه
فإذا هو إياه فكتمت سره كما يكتم الداء الدخيل وسترت نكره وإن لم يكن
يخيل حتى إذا نزع عن إعواله وقد عرف عثوري على حاله رمقني
بعين مضحاك • وأنشد بلسان متباك

استغفر الله وأعنو له ... من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس • ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا ... يطلب مني قودا أو ديه
وكلما استذنبت في قتلها ... أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيها ... وقتلها الأبكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا ... في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما ... من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما يرى ... مني ومن حرفتي المكديه

أرب بكر أطال تعنيسها • وحجبها حتى عن الأهويه
وهي على التعنيس مخطوبة • كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتزويجها • على الرضا بالدون إلا مائيه
واليد لا توكي على درهم • والأرض قفر والسماء مصحيه
فهل معين لي في عقلها • مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه • والقلب من أفكاره المضنيه
ويقتني مني الثناء الذي • تضوع رياه مع الأدعيه

قال فلم يبق في الجماعة إلا من نديت له كفه • وانباع إليه عرفه •
فلما أنجحت بغيته • وكملت مائته • طفق يثني عليهم بصالح • و
يتشمم عن ساق سارح • فتبعته لأستعرف ربيبة خدره • ومن قتل
في حدثان أمره • فكأن وشك قيامي • مثل له مرامي • فازدلف مني
وقال افقه عني • قتل مثلي يا صاح مزج المدام • ليس قتلي بلهذم و
حسام • والتي عنست هي البكر بنت الكرم • لا البكر من بنات الكرام
وبتجهيزها إلى الكأس والطاس قيامي • الذي ترى ومقامي • فتفهم ما قلت
وتحكم في التغاضي إن شئت أو في الملام • ثم قال أنا عبيد •

وانت رعديد * وبينا بون بعيد * ثم ودعني وانطلق * وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلثون وتعرف بالملطية

اخبر الحرث بن همام قال اختلت ملطية مطية البين * وحقيبتي ملأى
من العين * فجعلت هجيراي مذ القيت بها عصاي ان اتورد موارد
الملح * واتصيد شوارد الملح * فلم يقفني بها منظر ولا مسمع * ولا اخلاني
ملعب ولا مرتع * حتى اذا لم يبق لي فيها مارب * ولا في الثواء بها مرغب
عزمت لانفاق الذهب * في ابتياع الاهب * فلما اكملت الاعداد *
وتهيأ الظعن منها او كاد * رأيت تسعة رهط قد سبقوا قهوة *
وأربا وأربوه * ودماثتهم قيد الالحاظ * وفكاهتهم حلوة الالفاظ *
فنحوتهم طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم * وشغفا بممازحتهم لا لزجاجتهم *
فلما انتظمت عاشرهم * واصحبت معاشرهم * الفيتهم ابناء علات *
وقذايف فلوات * الا ان لحمة الادب * قد الفت شملهم الفة النسب
وساوت بينهم في الرتب * حتى لاحوا مثل كوكب الجوزاء * وبدوا كالجملة
المتناسبة الاجزاء * فابهجني الانضمام اليهم * واحمدت الطالع الذي
اطلعني عليهم * وطفقت افيض بقدحي مع قداحهم * واستشفي براحهم

لا براحهم * حتى اذ تناشجوا المفاوضة * الى التحاجي بالمعاياة * كوكب
اذا غنيت به الكرامات * ما مثل النوم فات * فانشأنا نجد السهاد والقمر *
ونجني الشوك والثمر * وبينا نحن ننشر القشيب والرث * ونشل السمين
والغث * طلع علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره * وبقي خبره وسبره *
ومثل مثول من يسمع وينظر * ويلتقط ما ينثر * الى ان نفضت الاكياس *
وحصحص الياس * فلما رأى اجبال القرائح * واكداء الماتح * جمع اذياله * وولانا
قذاله * وقال ما كل سوداء تمرة * ولا كل صهباء خمرة * فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء
بالاعواد * وضربنا دونه وجهته بالاسداد * وقلنا له ان دواء الشق ان يحاص
والا فالقصاص القصاص * فلا تطمع في ان تجرح * وتنهز الفرق وتسرح *
فثنى عنانه راجعا * ثم جثم بمكانه راصعا * وقال اما اذا استثرتم نبي البحث *
فسأحكم لكم حكم سليمان في الحرث * اعلموا يا ذوي الشمائل الادبية *
والشمول الذهبية * ان وضع الاحاجي * لامتحان الالمعية * واستخراج الخبية
الخفية * وشرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقية * والفاظ معنوية * و
لطيفة ادبية * فمتى نافت هذا النمط * ضاهت السقط * ولم تدخل السفط *
ولم اركم حافظتم على هذه الحدود * ولا ميزتم بين المقبول والمردود *

فقلنا صدقت وبالحق نطقت • فكُل لنا من لُبابك وافِض علينا من عُبابك وقال افعلُ لئلا يرتاب المُبطلون ويظنوا بي الظنون

ثم قابل ناظورة القوم وقال

يا من سما بذكاءٍ في الفضل وارِ الزناد • ماذا يماثل قولي جوعٌ أُمِدّ بزاد

ثم ضحك إلى الثاني وأنشد •

يا ذا الذي فاق فضلاً ولم يُدنِّسه شَين • ما مثلُ قولِ المحاجي ظهرٌ أصابته عين

ثم لحظ الثالث وأنشد •

يا من نتائجُ فكره مثلُ النقود الجائزة • ما مثلُ قولك للذي حاجيت صادِف جائزة

ثم انعطف إلى الرابع وأنشد •

أيا مستنبط الغامض من لغزٍ وإضمار • ألا اكشِف لي ما مثلُ تناول ألف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وأنشد •

يا أيها الألمعي أخا الذكاء المنجلي • ما مثلُ أهمِل حيّةً بين هبيت وعجل

ثم التفت لِفتَ السادس وقال •

يا من تقصر عن مداه خُطى مجاريه وتضعف • ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف الكفف

ثم خلج السابع بحجاج وقال

يا من له

يا من له فطنةٌ تجلّت ورتبةٌ في الذكاء جلّت • بيّن فما زلت ذا بيانٍ ما مثل قولي الشقيق أفلت •

ثم استنصت الثامن وأنشد •

يا من حدائقُ فضله مطلولةُ الأزهار غضّة • ما مثلُ قولك للمحاجي ذي الحِجى ما اختار فضّة

ثم حدج التاسع ببصره وقال

يا من يُشار إليه في اللقب الذكي والبراعة • أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دُس جماعة

قال الراوي فلما انتهى إليّ هزّ منكبي وقال •

يا من له النكت التي يشجي الخصوم بها نكيت • أنت المبين فقل لنا ما مثل قولي خالي اسكت

ثم قال قد أنهلتكم وأمهلتكم • وإن خشيتم أن أعلّكم علّلتكم قال فألجأنا ما لهب الغليل إلى استسقاء العليل • فقلنا لست كمن يستأثر على نديمه • ولا ممن يَسِمه في أديمه • ثم كرّ على الأول وقال

يا من إذا أشكل المعمّى حلّته أفكاره الدقيقة • إن قال يوماً لك المحاجي خذ ملك ما مثله حقيقة

ثم ثنّى جيده إلى الثاني وقال

يا من غدا بيانه عن فضله مبينا • ماذا مثال قولهم حمار وحش زينا

ثم أوحى بلحظه إلى الثالث وأنشد

يا من بدا في فضله وذكائه كالألمعي • ما مثل قولك للمحاجي انفق تقمع

للذي حاجاه

ثم حملق الى الرابع وقال

يا من اذا ما غيض دجا انار ظلامه • ماذا يماثل قولي استنشق ريح المدامة

ثم اومض الى الخامس وقال

يا من تنزه فهمه عن ان يروي ويشكا • ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي غط هنكي

ثم اقبل قبل السادس وقال

يا اخا الفطنة التي بان فيها كماله • سار بالليل مرة اي شيء مثاله

ثم نحا ببصره الى السابع وقال

يا من تحلى بفهم اقام في الناس سوقه • لك البيان فبين ما مثل احبب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وانشد

يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروة • ما مثل قولك اعط ابريقا يلوح بغير عروة

ثم ابتسم الى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك • ما مثل قولك للمحاجي في لكا اثور ملكي

ثم قبض بمجمعه على ردني وقال

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه • ماذا امثال صغير جحفله بنيه تبينا يتيم به

قال الحرث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه • وطالبنا بكشف معناه •

ومرام

ومرام فحواه • قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان • ولا لنا بجل هذه العقد يدان • فان ابنت مننت • وان كتمت غممت • فظل يشاور نفسه ويقلب قدحيه • حتى هان بذل الماعون عليه • فاقبل حينئذ على الجماعة وقال ساعلمكم ما لم تكونوا تعلمون • ولا ظننتم انكم تعلمون • فاذكوا عليه الاوعية • ورووا به الاندية • ثم اخذ في تفسير صقل به الاذهان • واستفرغ معه الاردان • حتى اضحت الافهام انور من الشمس • والاكمام كان لم تغن بالامس • ولما هم بالمفر • سئل عن المقر • فتنفس كما يتنفس الثكول • ثم انشا يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب • غير اني بسروج مستهام القلب صب
هي ارضي البكر والجو الذي منه المهب • والى روضتها الغنا دون الروض اصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لاصحابي هذا ابو زيد السروجي • ادنى ملحة الاحاجي • واخذت اصف لهم حسن توشيته • وانقياد الكلام لمشيئته • ثم التفت فاذا به قد ظعن • وبان بما قمن • فعجبنا مما صنع • ولم ندر اين سكع وصقع •

تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

اما جوع امد بزاد فمثله طوامير واما ظهر اصابه عين فمثله مطاعين

واما صادف جايزة فمثله الفاصلة واما تناول الف دينار فمثله هادية
واما اهمل حلية فمثله الغاشية واما الكفف الكفف فمثله مهمه واما
الشقيق افلت فمثله اخطار واما ما اختار فضة فمثله ابارقة. لان الرقة من اسماء
الفضة. وقد نطق به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال في الرقة ربع العشر
واما دس حجاعة فمثله طافئة واما خالي اسكت فمثله خالصه. لانك اذا
ناديت خالك مضافا الى نفسك جاز لك حذف اليا واثباتها ساكنة
ومتحركة. وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في اصل الاحجية. وصه
بمعنى اسكت واما خذ بك فمثله هاتيك واما حمار وحش زنيا فمثله فرازين
لان الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في جوف الفرا واما قول
انغق تقمع فمثله منتقم. لان الامر من مان يمون من. ومضارع وقم تقم
واما استنشق ريح مدامة فمثله رحراح لان الامر من استدعاء الراحة
رح واما اعط هلكى فمثله صنبور. لان البور هم الهلكى ومنه في القران وكنتم
قوما بورا واما سار الليل مترة فمثله سراحين واما احبب فروقه
فمثله مقلاع. لان الامر من ومق يمق مق. واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع
اذا كان جبانا جزوعا واما اعط ابريقا يلوح بغير عروة فمثله اسكوب لان الاوس

العطاء

العطاء. والامر منه اس. والكوب الابريق بغير عروة واما الثور ملكي
فمثله اللآلي. لان الآلا على وزن القنا ثور الوحش واما صغير جحفلة
فمثله مكاشفة. لان المكاء الصغير. قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية. والاصل في المكاء المد. ولكنه قصره في هذه
الاحجية كما حذف همزة الفراء في احجية وكلا الامرين جائز من قصر الممدود وحذف همز المهموز

المقامة السابعة والثلاثون وتعرف بالصعدية

حكى الحارث بن همام قال اصعدت الى صعدة. وانا ذو شطاط يحكي الصعدة
واشتداد يبذ بنات صعدة. فلما اتيت نضرتها. ورعيت خضرتها
سألت نحارير الرواة. عمن تحويه من السراة. ومعادن الخيرات لاتخذه
جذوة في الظلمات ونجدة في الظلامات. فنعت لي قاض بها رحب الباع
خصيب الرباع. تميمي النسب والطباع. فلم ازل اتقرب اليه بالالمام
واتنفق عليه بالاجمام. حتى صرت صدى صوته. وسلمان بيته.
وكنت مع استسعار شهده. واستنشاق رنده. اشهد مشاجر الخصوم
واسفر بين المعصوم منهم والموصوم. فبينما القاضي جالس للاسجال. في يوم
المحفل والاحتفال. اذ دخل شيخ بالي الرياش. بادي الارتعاش. فتبصر الحفل

تبصر نقاد، ثم زعم أن خصماً غير منقاد، فلم يكن إلا كضوء شرارة، أو
وحي إشارة، حتى أحضر غلاماً كأنه ضرغام، فقال الشيخ أيد الله القاضي،
وعصمه عن التقاضي، إن ابني هذا كالقلم الردي، والصوت البدي، والسيف الصدي،
يحب أصناف الإنصاف، ويرضع أخلاف الخلاف، إن أقمت سافر، وإن سلمت
نافر، وإن أقدمت أحجم، وإن أعربت أعجم، وإن ذكيت أخمد، ومتى شويت
رمد، مع أني كفلته مذ دب، إلى أن شب، وكنت له ألطف من ربي ورب،
فأكبر القاضي ما شكا إليه، وأطرق بمن حواليه، ثم قال أشهد أن العقوق
أحد الثكلين، ولرب عقوق أقر للعين، فقال الغلام وقد سمع هذا الكلام،
والذي نصب القضاة للعدل، وملكهم أعنة الفصل والفضل، إنه
ما دعا قط إلا أمنت، ولا ادعى إلا آمنت، ولا ابتنى إلا أحكمت،
ولا أورى إلا أضرمت، بيد أنه كمن يبتغي بيض الأنوق، ويطلب الطيران
من النوق، فقال له القاضي وبم أعنتك، وامتحن طاقتك، فقال إنه
مذ صفر من المال، ومني من الإمحال، يسومني أن أتمطى بالسؤال، وأستمطر سحب
النوال، ليغيض ثربه الذي غاض، وينجبر من حاله ما انهاض، وقد كان
حين أخذني بالدرس، وعلمني أدب النفس، أشرب في قلبي أن الحرص متعبة،

كفلته

والطمع

والطمع معيبة، والشره متهمة، والمسئلة ملامة، ثم انبرى من فلق فيه ونخب قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه ... شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل ... يحط قدر المترقي إليه
وحام عن عرضك واستبقه ... كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة ... صبر أولي العزم وغمض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو ... خولك المسئول ما في يديه
فالحر من إذ قذيت عينه ... أغضى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه ... لم ير أن يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر، وأنذر على ابنه وهر، وقال له صه يا عقق،
يا من هو الشجى والشرق، ويلك أتعلم أمك البضاع، وظئرك الإرضاع،
لقد تحككت العقرب بالأفعى، واستنت الفصال حتى القرعى، ثم كأنه
ندم على ما فرط منه، وحدته المقة على تلافيه، فرنا إليه بعين عاطف،
وخفض له جناح ملاطف، وقال له ويك يا بني، إن من أمر بالقناعة، وزجر
عن الضراعة، هم أرباب البضاعة، وأولو المكسبة بالصناعة، وأما ذوو
الضرورات، فقد استثني بهم في المحظورات، وهبك جهلت

هذا التأبّل. ولم يبلغك ما قيل. ألست الذي عارض أباه. إذ قال وما حاباه.

لا تقعدنّ على ضرٍّ ومسغبةٍ • لكي يقال عزيز النفس مصطبرُ
وانظر بعينيك هل أرضٌ معطّلةٌ • من النبات كأرضٍ حفّها الشجرُ
فعدِّ عمّا تشير الأغبياء به • فأيّ فضلٍ لعودٍ ما له ثمرُ
وارحل ركابك عن دارٍ ظُلِمتَ بها • إلى الجناب الذي يهمي به المطرُ
واستنزل الريّ من دَرّ السحاب فإن • بُلّت يداك به فليهنك الظفرُ
وإن رُددتَ فما في الردّ منقصةٌ • عليك قد رُدّ موسى قبلُ والخضرُ

قال الراوي فلمّا رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله. وتحلّيه بما ليس من أهله. نظر إليه بعين غضبى. وقال أتميميًّا مرّة وقيسيًّا أخرى. أفٍّ لمن ينقض ما يقول. ويتلوّن كما تتلوّن الغول. فقال الغلام والذي جعلك مفتاحًا للحقّ. وفتّاحًا للخلق. لقد أُنسيتُ منذ أُسيتُ. وصدي ذهني مذ صديتُ. على أنه أين الباب الفتح. والعطاء السرح. وهل بقي من يتبرّع بالنهى. وإذا استُطعِم يقول ها. فقال له القاضي مَه فمع الخواطئ سهمٌ صائب. وما كلّ برقٍ خالب. فميّز البروق إذا شِمت. ولا تشهد إلّا بما علمت. فلمّا تبيّن للشيخ أنّ القاضي قد غضب

من الكلام

من الكلام للكرام. وأعظم تبخيل جميع الأنام. علم أنه سينتصر كلمته. ويظهر أكرومته. فما كذب أن نصب شبكته. وشوى في الحريق سمكته.

يا أيّها القاضي الذي علمه • وحلمه أرسخ من رضوى
قد ادّعى هذا على جهله • أن ليس في الدنيا أخو جدوى
وما درى أنّك من معشرٍ • عطاؤهم كالمنّ والسلوى
فجُد بما تثنيه مستخزيًا • ممّا افترى من كذب الدعوى
وامنن بجذلان انثنى بما • أوليت عن جدوى ومن عدوى

قال فهشّ القاضي لقوله. وأجزل له من طوله. ثمّ لفت وجهه إلى الغلام وقد نصل له أسهم الملام. وقال له أرأيت ببطل زعمك. وخطأ وهمك. فلا تعجل بعدها بذمّ. ولا تنحت عودًا قبل عجم. وإيّاك وتأبّيك عن مطاوعة أبيك. فإنّك إن عدت تعقّه. حاق بك منّي ما تستحقّه. فسقط الفتى في يده. ولاذ بجحوده ولدده. ثمّ نهض يجعد وتبعه الشيخ ينشد من ضامه أو ضاره دهره. فليقصد القاضي في صعده. سماحه أزرى بمن قبله. وعدله أتعب من بعده. قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره. إلى أن أزف لمسيره. فانحبست النفس

باتباعه ولو الى رباعه • لعلي اظهر على اسراره • واعرف شجرة ناره •
فبذذت العنق • وانطلقت حين انطلق • ولم ازل اخطو واعقب • وابعد
واقترب الى ان ترآءى الشخصان • وحق التعارف على الخلصان • فابدى
حينئذ الاهتشاش • ورفع الارتعاش • وقال من كاذب اخاه فلا عاش •
فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة • ولا حول حالة • وبادرت اليه
لأصافحه • واستعرف سانحه وبارحه • فقال دونك ابن اخيك البر • وتركني
ومر • فلم يبعد الفتى ان افتر • ثم فر كما فر • فعدت وقد استبنت عينهما • ولكن لم اتبين اينهما •

المقامة الثامنة والثلثون وتعرف بالمروزية

حكى الحارث بن همام قال حبب الي مذ سعت قدمي • ونفث قلمي
ان اتخذ الادب شرعة • والاقتباس منه نجعة • فكنت انقب عن اخباره •
وخزنة اسراره • فاذا الفيت منهم بغية الملتمس • وجذوة المقتبس • شددت
يدي بغرزه • واستنزلت منه زكاة كنزه • على انني لم الق كالسروجي
في غزارة السحب • ووضعه الهناء مواضع النقب • الا انه كان اسير من المثل •
واسرع من القمر في النقل • وكنت لهوى ملاقاته • واستحسان مقالاته •
ارغب في الاغتراب • واستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب •

فلما تطوحت الى مرو • ولا غرو • بشرني بملقاه زجر الطير • والفال
الذي هو بريد الخير • فلم ازل انشده في المحافل • وعند تلاقي القوافل •
فلا اجد عنه مخبرا • ولا ارى له اثرا ولا عثيرا • حتى غلب الياس الطمع •
وانزوى التاميل وانقمع • فاني لذات يوم بحضرة والي مرو •
وكان ممن جمع الفضل والثرو • اذ طلع ابو زيد في خلق مملاق •
وخلق ملاق • فحيا الوالي تحية المحتاج • اذا لقي رب التاج •
ثم قال له اعلم وقيت الذم • وكفيت الهم • ان من عذقت به
الاعمال • اعلقت به الآمال • ومن رفعت له الدرجات • رفعت اليه الحاجات •
وان السعيد من اذا قدر • وواتاه القدر • ادى زكاة النعم كما
يؤدي زكاة النعم • والتزم للاهل الحرم • كما يلتزم للاهل والحرم •
وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك • وعماد عصرك • تزجى الركائب
الى حرمك • وترجى الرغائب من كرمك • وتنزل المطالب بساحتك •
وتستنزل الراحة من راحتك • وكان فضل الله عليك عظيما •
ثم اني شيخ ترب بعد الاتراب • وعدم الاعشاب حين شاب •
قصدتك من محلة نازحة • وآمال رازحة • آمل من بحرك دفعة • ومن جاهك

رفعته. والتأميل أفضل وسائل السائل ونائل النائل. فأوجب لي ما يجب عليك. وأحسن كما أحسن الله إليك. وإياك أن تلوي عذارك عمن ازدارك. أو تقبض راحك عمن امتاحك. وأمتار سماحك. فوالله ما مجد من جمد. ولا رشد من حشد. بل اللبيب من إذا وجد جاد. وإن بدأ بعائدة عاد. والكريم من استوهب الذهب لم يهب أن يهب. ثم أمسك يرقب أكل غرسه. ويرصد مطيبة نفسه. وأحب القاضي أن يعلم هل نطفته ثمد. أم لقريحته مدد. فأطرق يروي في استيراء زنده. واستشفاف فرنده. والتبس على أبي زيد سر صمته. وإرجاء صلته فتوغر غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب … لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته … أكان ذا لسن أم كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا … وانعش بعونك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له … ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة … غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن … إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا

لكنه

لكنه لابتناء المجد جد ومن … حب السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم … إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما … حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقه … والجامد الكف لا ينفك ممقوتا
وللشحيح على أمواله علل … يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب … حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة … من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن تستمر به … حال أكرهت تلك الحال أم شيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت. فأي ولد الرجل أنت. فنظر إليه عن عرض. وأنشد وهو معرض. لا تسأل المرء من أبوه ورز. خلاله ثم صله أو فاصرم. فما يشين السلاف حين حلا. مذاقها كونها ابنة الحصرم. قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن. حتى أحله مقعد الخاتن. ثم فرض له من سيوب نيله. ما آذن بطول ذيله. وقصر ليله. فنهض عنه بردن ملآن. وقلب جذلان. وتبعته حاذيا حذوه. وقافيا خطوه. حتى إذا خرج من بابه. وفصل عن غابه. قلت له

هنيت بما اوتيت وملّيت بما اوليت فاسفر وجهه وتلألأ ووالى
شكر الله تعالى. ثم خطر اختيالا وانشد ارتجالا

من يكن نال بالحماقة حظا	او سما قدره لطيب الاصول
ففضلي انتفعت لا بفضولي	وبقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال تعالى لمن جذب الادب. وطوبى لمن جد فيه ودأب.
ثم ودّعني وذهب. واودعني اللهب.

المقامة التاسعة والثلثون وتعرف بالصحارية

حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر ازاري وبقل عذاري
ان اجوب البراري على ظهور المهاري. انجد طورا واسلك تارة
غورا حتى قليت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل و
ادميت السنابك والمناسم. وانضيت السوابق والرواسم فلما
مللت الاصحار وقد سنح لي ارب بصحار. ملت الى اختبار التيار
واختيار الفلك السيار فنقلت اليه اساودي. واستصحبت زادي و
مزادي ثم ركبت فيه ركوب حاذر وناذر. وعاذل النفس عاذر
فلما شرعنا في القلعة. ورفعنا الشرع للسرعة. سمعنا من شاطئ

المرسى حين دجا الليل واغسى. هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك
القويم. المزجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب اليم. فقلنا له اقبس نارك ايها الدليل
وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل. فقال اتستصحبون ابن سبيل.
زاده في زبيل وظله غير ثقيل. وما يبغي سوى مقيل. فاجمعنا على
الجنوح اليه. وان لا نبخل بالماعون عليه. فلما استوى على الفلك قال
اعوذ بمالك الملك. من مسالك الهلك. ثم قال انا روينا في
الاخبار المنقولة عن الاحبار. ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا
حتى اخذ على العلماء ان يعلّموا. وان معي لعوذة عن الانبياء ماخوذة
وعندي لكم نصيحة. براهينها صحيحة. وما وسعني الكتمان. ولا من
خيمي الحرمان. فتدبروا القول وتفهموا. واعملوا بما تعلمون وعلّموا.
ثم صاح صيحة المباهي فقال اتدرون ما هي. هي والله حرز السفر.
عند مسيرهم في البحر. والجنة من الغم. اذا جاش موج اليم. وبها
استعصم نوح يوم الطوفان. ونجا ومن معه من الحيوان. على ما صدعت
به آي القرآن. ثم قرأ بعدما اساطير تلاها. وزخارف جلاها. وقال اركبوا

فيها بسم الله مجريها ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين
أو عباد الله المكرمين وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين
ونصحت لكم نصح البالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد
اللهم وأنت خير الشاهدين قال الحارث بن همام فأعجبنا بيانه البادي
الطلاوة وعجت بها أصواتنا بالتلاوة وآنس قلبي من جرسه
معرفة عين شمسه ومخبرة أنسه فقلت بالذي سخر البحر اللجي ألست السروجي
فقال لي بلى وعزة من غز وعلا وهل يخفى ابن جلا فأحمدت حينئذ
السفر وسفرت عن نفسي إذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو
صحو والعيش صفو والزمان لهو وأنا أجد للقيانه وجد المثري بعقيانه
وأفرح بمناجاته فرح الغريق بمنجاته إلى أن عصفت الجنوب وعسفت
الجنوب ونسي السفر ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا
الحدث الثائر إلى إحدى الجزائر ليريح ونستريح ريثما توافي الريح
فتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي أبو زيد
إنه لن يجز جنى العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود بالصعود
فقلت إني لك لا أتبع من ظلك أو أطوع من نعلك فنهدنا إلى الجزيرة

لن نكص في امتراء الميرة على ضعف من المريرة وكلانا لا يملك فتيلا
ولا يهتدي فيها سبيلا فلم نزل نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها
حتى أفضينا إلى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد
فناسمناهم لنتخذهم سلما للارتقاء وأرشية للاستقاء فألفينا
كلا منهم في مساءة كبير وكرب أسير فقلنا أيتها الغلمة ما هذه
الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا
نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه
وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عبرة وقال
يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فإنا لفي حزن شاغل وشغل
عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناق البث وانفث إن
قدرت على النفث فإنك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا شافيا
فقال اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه
الرقعة إلا أنه لم يخل من كمد لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس
ويتخير من المغارس النفائس إلى أن بشر بحمل عقيلة وآذنت
رقلته بفسيلة فنذرت له النذور وأحصيت الأيام والشهور

ولما حان النتاج، وصيغ الطوق والتاج، عسر مخاض الوضع، حتى خيف على الأصل والفرع، فما فينا من يعرف قرارا، ولا يطعم النوم إلا غرارا، ثم أجهش بالبكاء وأعول، وردد الاسترجاع وطول، فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر، وأبشر بالفرج وبشر، فعندي عزيمة الطلق، التي انتشر سمعها في الخلق، فتبادرت الغلمة إلى مولاهم، وتسارعت متباشرين بانكشاف بلواهم، فلم يكن إلا كلا ولا، حتى برز من هلم بنا إليه، فلما دخلنا عليه، ومثلنا بين يديه، قال لأبي زيد ليهنك منالك، إن صدق مقالك، ولم يفل فالك، فاستحضر قلما مبريا، وزبدا بحريا، وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف، فما إن رجع النفس، حتى أحضر ما التمس، فسجد أبو زيد وعفر، وسبح واستغفر، وأبعد الحاضرين ونفر، ثم أخذ القلم واستخفر، وكتب على الزبد بالزعفران

أيهذا الجنين إني نصيح ... لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكن كنين ... وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من ... إلف مدرج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت ... إلى منزل الأذى والهون

وترائي

وترائي لك الشقاء الذي ... تلقى فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ... أن تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يدليك ... ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن ... كم نصيح مشبه بظنين

ثم إنه طمس المكتوب على غفره، وتفل عليه مائة تفلة، وشد الزبد في خرقة حرير، بعدما ضمخها بعبير، وأمر بتعليقها على فخذ الماخض على أن لا يمسها يد حائض، فلم يك إلا كذواق شارب، أو فواق حالب، حتى اندلق شخص الولد، لخصيصي الزبد، بقدرة الواحد الصمد، فامتلأ القصر حبورا، واستطير عميده وعبيده سرورا، وأحاطت الجماعة بأبي زيد، تثني عليه، وتقبل يديه، وتتبرك بمساس طمريه، حتى خيل إلي أنه القرني أويس، أو الأسدي دبيس، ثم انثال عليه من جوائز المجازات، وصلات الصلات، ما بقض له الغنى، وبيض وجه المنى، ولم يزل ابن نيابة الدخل، مذ نتج السخل، إلى أن أعطى البحر الأمان، وتشنى الأتمام إلى عمان، فاكتفى أبو زيد بالنحلة، وتأهب للرحلة، فلم يسمح الوالي بحركته، بعد تجربة بركته، بل أوعز بضمه إلى خزانته، وأن تطلق يده في خزانته

قال الحارث فلما رأيته قد مال الى حيث يكسب المال، الخبيث عليه بالتعنيف، وهممت لمفارقة المألف والأليف، فقال اليك عني، واسمع مني

لا تصبون الى وطن … فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي … تعلي الوهاد على القنن

واهرب الى كن يقي … ولو انه حضن حضن

وارب بنفسك ان تقيم … بحيث يغشاك الدرن

وجب البلاد فأيها … ارضاك فاختره وطن

ودع التذكر للمعا … هد والحنين الى السكن

واعلم بان الحر في … اوطانه يلقى الغبن

كالدر في الاصداف يز … رى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت، وحبذا انت لو اتبعت، فاوضحت له معاذيري، وقلت كن عذيري، فعذر واعتذر، وزود حتى لم يذر، ثم شيعني تشييع الاقارب، الى ان ركبت في القارب، فودعته وانا اشكو الفراق، واوده لو هلك الجنين وامه

المقامة الاربعون وتعرف بالتبريزية

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز، حين نبت بالذليل والعزيز، وخلت من المجير والمجيز، فبينا انا في اعداد الاهبة، وارتياد الصحبة، لقيت ابا زيد السروجي ملتفا بكساء، ومحتفا بنساء، فسألته عن خطبه، والى اين يسرب مع سربه، فاومى الى امرأة منهن باهرة السفور، ظاهرة النفور، وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة، وترحض عني قشف العزبة، فلقيت منها عرق القربة، تمطلني بحقي، وتكلفني فوق طوقي، فانا منها نضو وجى، وحليف شجو وشجى، وها نحن قد تساعينا الى الحاكم، ليضرب على يد الظالم، فان انتظم بيننا الوفاق، والا فالطلاق والانطلاق، قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب، وكيف يكون المنقلب، فجعلت شغلي دبر اذني، وصحبتهما وان كنت لا اغني، فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك، ويضن بنفاثة السواك، جثا ابو زيد بين يديه، وقال ايد الله القاضي واحسن اليه، ان مطيتي هذه ابية القياد، كثيرة الشراد، مع اني اطوع لها من بنانها، واحنى عليها من جفنها، فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب، ويوجب الضرب، فقالت انه يدور خلف الدار، ويأخذ الجار بالجار، فقال

لا قُضي بتاتُك أتهدر في البِياخ • وتستفرخ حيث لا إفراخ • اعزب
عني لا نعم عوفك • ولا أمن خوفك • فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح •
لأكذب من سجاح • فقالت بل هو ومن طوّق الحمامة • وجنّح النعامة • لأكذب
من أبي ثمامة • حين مخرق باليمامة • فزفر أبو زيد زفير الشواظ • واستشاط استشاطة
المغتاظ • وقال لها ويلك يا دفار يا فجار • يا غصة البعل والجار • أتعمدين في
الخلوة لتعذيبي • وتبدين في الحفلة تكذيبي • وقد علمت أني حين بنيت
عليك • ورنوت إليك • ألفيتك أقبح من قردة • وأيبس من قدة • وأخشن
من ليفة • وأنتن من جيفة • وأثقل من هيضة • وأقذر من حيضة • وأبرز من
قشرة • وأبرد من قرة • وأحمق من رجلة • وأوسع من دجلة • فسترت
عوارك • ولم أبد عارك • على أنه لو حبتك شيرين بجمالها • وزبيدة
بمالها • وبلقيس بعرشها • وبوران بفرشها • والزباء بملكها •
ورابعة بنسكها • وخندف بفخرها • والخنساء بشعرها في صخرها • لأنفت
أن تكوني قعيدة رحلي • وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت •
وحسرت عن ساعدها وشمرت • وقالت له يا ألأم من مادر • وأشأم من قاشر •
وأجبن من صافر • وأطيش من طامر • أترميني بشنارك • وتفري عرضي

بشفارك • وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة • وأعيب من بغلة أبي دلامة •
وأفضح من حبقة في حلقة • وأحير من بقة في حقة • وهبك الحسن البصري
في لفظه ووعظه • والشعبي في علمه وحفظه • والخليل في عروضه ونحوه •
وجريرا في غزله وهجوه • وقسا في فصاحته وخطابته • وعبد الحميد في بلاغته
وكتابته • وأبا عمرو في قراءته وإعرابه • وابن قريب في روايته عن أعرابه •
أتظنني أرضاك إماما لمحرابي • وحساما لقرابي • لا والله ولا بوابا
لبابي • ولا عصا لجرابي • فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة • وحدأة
وبندقة • فاترك أيها الرجل اللدد • واسلك في سيرك الجدد • وأما
أنت فكفي عن سبابه • وقري إذا أتى البيت من بابه • فقالت المرأة
والله لا أسجن عنه لساني • إلا إذا كساني • ولا أرفع له شراعي • دون إشباعي •
فحلف أبو زيد بالمحرجات الثلاث • إنه لا يملك سوى أطماره الرثاث •
فنظر القاضي في قصصهما نظر الألمعي • وأفكر فكرة اللوذعي • ثم أقبل عليهما
بوجه قد قطبه • ومجن قد قلبه • وقال ألم يكفكما التسافه في مجلس الحكم
والإقدام على ارتكاب هذا الجرم • حتى ترقيتما من فحش المقاذعة إلى
خبث المخادعة • وايم الله لقد أخطأت استكما الحفرة • ولم يصب

سهمكما الثغرة. فإن أمير المؤمنين أعز الله تعالى بقاءه الدين نصبني لأقضي بين الخصماء، لا لأقضي دين الغرماء. وحق نعمته التي أحلتني هذا المحل، وملكتني العقد والحل، لئن لم توضحا لي جلية خطبكما، وخبيئة خبكما، لأنددن بكما في الأمصار، ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار. فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع، وقال اسمع سماع واع

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافى أنسها وأنسي ... ولا تنائى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي أرض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كأنا لخفوت النفس ... أشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي ... وشفنا الضر الأليم المس
قمنا لسعد الجد أو للنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلحي الحر حين يرسي ... إلى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي ... فانظر إلى يومي وسل عن أمس
وامر بجبري إن تشا أو حبسي ... ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي

فقال له القاضي ليثب أنسك، ولتطب نفسك، فقد حق لك أن تغفر خطيئتك، وتوفر عطيتك. فثارت الزوجة عند ذلك، واستطالت، وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم ... أوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى أنه ... يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى ... عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ... جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني أخيب من شائم ... برقا خفا في شهر تموزا
كأنه لم يدر أني التي ... لقنت الشيخ الأراجيزا
وأنني إن شئت غادرته ... أضحوكة في أهل تبريزا

فلما رأى القاضي اجتراء جنانها، وانصلات لسانها، علم أنه قد مني منهما بالداء العياء، والداهية الدهياء، وأنه متى منح أحد الزوجين، وصرف الآخر صفر اليدين، كان كمن قضى الدين بالدين، أو صلى المغرب ركعتين. فطلسم وطرسم، واخرنطم وبرطم، وهمهم وغمغم، ثم التفت يمنة وشأمة، وتململ كآبة وندامة، وأخذ يذم القضاء

ومتاعبه ٭ وبعد دثوّ آيبه ونوائبه ٭ ونفقد طالبه وخاطبه ٭ ثم تنفّس كما
يتنفّس الحريب ٭ وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب ٭ وقال إن هذا
لشيء عجيب ٭ أأرشق في موقف نتّهمين ٭ أألزم في قضية مُغرمين
أأطيق أن أرضي الخصمين ٭ وهزاين وهزاين ٭ ثم عطف إلى حاجبه
المنتقد لمآربه ٭ وقال ما هذا يوم حكم وقضاء ٭ وفصل وإمضاء
هذا يوم الاغتمام ٭ هذا يوم الاغترام ٭ هذا يوم البحران ٭ هذا
يوم الخسران ٭ هذا يوم عصيب ٭ هذا يوم نُصاب فيه ولا نُصيب ٭
فارحني من هذين المهذارين ٭ واقطع لسانهما بدينارين ٭ ثم فرّق
الأصحاب ٭ وأغلق الباب ٭ وأشاع أنه يوم مذموم ٭ وأن القاضي فيه مهموم ٭
لئلا يحضر فيه خصوم ٭ قال فأمّن الحاجب على دعائه ٭ وتباكى لبكائه ٭
ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين ٭ وقال أشهد أنكما لأحيل الثقلين ٭
لكن احترما مجالس الحكام ٭ واجتنبا فيها فحش الكلام ٭ فما كل قاض قاضي
تبريز ٭ ولا كل وقت تسمع الأراجيز ٭ فقالا له مثلك من حجب ٭ وشكرك
قد وجب ٭ ونهضا وقد حظيا بدينارين ٭ وأصليا قلب القاضي نارين ٭

٭ تفسير ما تضمنته هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

ول

قوله لقيت منها عرق القربة ٭ هذا مثل يضرب لمن يلقى شدّة ملازمة
الأمر الذي زاوله كما أن حامل القربة يلقى جهداً حتى يعرق ٭ وقوله جعلته دبر أذني
يعني اطرحته ٭ وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم ٭ وقوله الكذب من سجاح
يعني التي تنبّأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره وتختبره ٭ ثم
آمنت به ووهبت نفسها له ٭ وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام
لكونه من الأسماء المعدولة ٭ واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ٭ ومنه قولهم
ملكت فأسجح ٭ وقوله الكذب من أبي ثمامة ٭ هذه كنية مسيلمة الكذاب
وكان تنبّأ باليمامة ومخرق بها إلى أن سار إليه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقتله ٭
وقوله لا نعم عوفك ٭ العوف الحال ٭ والعوف أيضاً الذكر ٭ ويدعى للباني
على أهله فيقال نعم عوفك ٭ وقوله يا دفار يا فجار ٭ هذان الاسمان معدولان
عن دفرة وفاجرة ٭ والدفر النتن ٭ وبه سمّيت الدنيا أم دفر ٭ وكلما يسمى بصيغة
غالبة ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند النداء ٭ كقولك يا لكاع يا خباث
يا دفار يا فجار ٭ ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر ٭
كقول الشاعر ٭ أطوّف ما أطوّف ثم آوي ٭ إلى قوم قعيدته لكاع ٭ وقوله
أحمق من رجلة ٭ فهي ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيول فيجترفها ٭ وأما قوله

الأمّ من مادر. فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتّخذ حوضاً ليسقي ابله فلمّا روت
سلح ومدره بالحجر لئلا ينتفع به غيره. واما قوله أشأم من قاشر. فانه
فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق ابلاً الا ماتت. ويقال
المراد به العام المجدب ويسمى قاشراً لقشره وجه الارض من النبات واما قوله
أجبن من صافر. فقد اختلف في تفسيره قال بعضهم عنى به كل ما يصفر من الطير وخصّ
بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض. وقيل انه طائر بعينه اذا اجنّه
الليل تعلق ببعض الاغصان برجليه ولم يزل منكوساً يصفر طول الليلة خوفاً من ان
ينام فيؤخذ. وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يظهر
على امره. وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب.
فعلى هذا القول فاعل ههنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق. وكقولهم
راحلة بمعنى مرحولة. وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله حجاباً
مستوراً اي ساتراً. واما قوله أطيش من طامر. فالمراد به البرغوث ويسمى
طامر بن طامر لكثرة وثوبه. واما قول القاضي ان كانت شنّاً وطبقة وحدأة وبندقة
فاراد ان كلاهما كفؤ لصاحبه ومقاوم له. ولكل من المثلين تفسير يختلف الناس فيه.
اما شنّ وطبقة فان العلماء مختلفون في قولهم وافق شنّ طبقة. قال الاكثرون

انهما قبيلتان

انهما قبيلتان فشنّ هو ابن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار
وطبقة حي من اياد. وكانت طبقة لا تطاق. فاوقعت بها شنّ فانتصفت منها
وقال بعضهم كان شنّ رجلاً من دهاة العرب وكان الزم نفسه ان لا يتزوج الا بامرأة
تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته. فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما
السير قال له شنّ أتحملني ام احملك. فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب
فامسك وسار حتى اتيا على زرع فقال له شنّ أترى هذا الزرع أكل ام لا. فقال يا جاهل
اما تراه في سنبله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة. فقال له شنّ
أترى صاحبها حياً ام لا. فقال ما رأيت اجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حياً
ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله. وكانت له بنت تسمى طبقة فاخذ
يطرفها بحديث رفيقه. فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهم الا عما
يستفهم عن مثله اما قوله أتحملني ام احملك فانه اراد أتحدثني ام احدثك حتى
نقطع الطريق بالحديث اما قوله أترى هذا الزرع قد أكل ام لا فانه اراد به هل
استسلف ربه ثمنه ام لا واما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه اراد
به أخلّف عقباً يحيى ذكره به ام لا. فلما خرج الى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه.
فخطبها اليه وزوجه بها. فلما سار بها الى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا

وافق شنٌّ طبقه • وحكي ان الاصمعي سئل عن هذا المثل قال الطبق الشن
وعاء من ادم وكان قد تشنّن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب به هذا المثل
واما قوله حداءة وبندقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يُقرَع بعدوه او تشبّه
بنظيره حداءِ حداءَ وراءك بندقة • وكان الاصل حداءة باثبات التاء فرخّم في
النداء • وقد اختلف في المراد بهما • فقيل المراد الطائر المعروف • وبندقة الرامي
وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حداءة فكانت تنزل الكوفة على بندقة
وكانت تنزل باليمن فنالت منهم • ثم كرّت بندقة على حداءة فاثخنت اليهم •
وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا • وزعم انه
اسم بالعجمية واما قوله اخطأت استك الحفرة فانه مثل يضرب لمن يخطي
في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه واما قوله طرق وطرسم فمعنى طرسم
كرّه وجهه ومعنى طرسم اطرق • واما قوله اخرنطم وبرطم اي غضب وقطّب وقيل
ان الاخرنطام الغضب مع التكبر • والبرطمة الغضب مع
العبوس وقوله تمهم وغمغم اي لم يبيّن الكلام ۞

المقامة الحادية والاربعون وتعرف بالتنيسية

اخبر الحارث بن همام قال اطعت دواعي التصابي • في غلواء شبابي

فلم ازل

فلم ازل زير الغيد • واذنا للاغاريد • الى ان وافى النذير • وولّى
العيش النضير • فقرمت الى رشد الانابة • وندمت على ما فرّطت في
جنب الله • ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات • وتلافي الفوات •
قبل الفوات • فملت عن معاداة الغادات • الى ملاقاة التقاة •
وعن مقاناة القينات • الى مداناة الديانات • وآليت ان لا اصحب
الا من نزع عن الغي • وقاء منشره الى الطي • وان الفيت من هو خليع
الرسن • مديد الوسن • نأيت داري عن داره • وفررت من عرّه
وعاره • فلما القتني الغربة بتنيس • واظلني مسجدها الانيس • رأيت
بها ذا حلقة ملتحمة • ونظارة مزدحمة • وهو يقول بجأش متين • ولسان
مبين • مسكين ابن آدم واي مسكين • ركن من الدنيا الى غير ركين •
واستعصم منها بغير مكين • وذبح من حبها بغير سكين • يكلف
بها لغباوته • ويكلب عليها لشقاوته • ويعتدّ فيها لمفاخرته • ولا
يتزوّد منها لآخرته • اقسم بمن مرج البحرين • ونوّر القمرين • ورفع
قدر الحجرين • لو عقل ابن آدم • لما نادم • ولو افكر فيما قدم • لبكى الدم •
ولو ذكر المكافاة • لاستدرك ما فات • ولو نظر في المآل • لحسّن قبح الاعمال

يا عجبا كل العجب • ممن تقحم ذات اللهب • في اكتناز الذهب • وخزن النشب لذوي النسب • ثم من البدع العجيب • أن يعظك وخط المشيب • ويؤذن شمسك بالمغيب • ولست ترى أن تنيب • وتهذب المعيب • ثم اندفع ينشد إنشاد من يرشد •

يا ويح من أنذره شيبه	وهو على غي الصبى منكمش
يعشو إلى نار الهوى بعدما	أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده	أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهذب الشيب الذي ما رأى	نجومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى	عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك إن مات فسحقا له	وإن يعش عد كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره	كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب	يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه	هلكت يا مسكين أو تنتعش
فأخلص التوبة تطمس بها	من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضا	ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر إن حصه	زمانه لا كان من لم يرش

والجد

وانجد الموتور ظلما فإن	عجزت عن إنجاده فاستجش
وانعش إذا ناداك ذو كبوة	عساك في الحشر به تنتعش
وذاك كأس النصح فاشرب وجد	بفضلة الكأس على من عطش

قال فلما فرغ من مبكياته • وقضى إنشاد أبياته • نهض صبي قد شدن • وأعرى البدن • وقال يا ذوي الحصافة • والانتصات إلى الوصاة • قد وعيتم الإنشاد • وفقهتم الإرشاد • فمن نوى منكم أن يقبل • ويصبح المستقبل • فليبن بري عزيته • ولا يعدل عني بعطيته • فوالذي يعلم الأسرار • ويغفر الإصرار • إن سري لكما ترون • وإن وجهي ليستوجب الصون • فأعينوني رزقتم العون • قال وأخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب • ويبني له المطلوب • حتى أنبط حفره • واعشوشب قفره • فلما أن ترع الكيس • انصلت يميس • ويحمد تيس • ولم يحل للشيخ المقام • بعدما انقشع الغلام • فاسترفع الأيدي للدعاء • ثم نحا نحو الانكفاء • قال الراوي فأردت أن أعجمه • وأحل مترجمه • فتبعته وهو يشتد في مشيته • ولا يفتق رتق صمته • فلما أمن المفاجي • وأمكن التناجي • لفت جيده إلي • وسلم تسليم البشاش علي • ثم قال أراقك ذكاء ذاك الشويدن • فقلت إي

والمؤمن المهيمن. قال إنه فتى السروجي. ومخرج الدر من اللجي. فقلت
أشهد أنك لشجرة ثمرته. وشواظ شرارته. فصدق كهانتي.
واستحسن إبانتي. ثم قال هل لك في ابتدار البيت. لنتنازع كأس
الكميت. فقلت له ويحك أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم. فافتر
افترار متضاحك. ومر غير مماحك. ثم بدا له أن تراجع إلي. وقال احفظها عني
وعلي: اصرف بصرف الراح عنك الأسى. وروح القلب ولا تكتئب.
وقل لمن لامك فيما به. تدفع عنك الهم قدك اتئب. ثم قال أما أنا
فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق. وإذ كنت لا تصحب. ولا تلائم من
يطرب. فلست لي برفيق. ولا طريقك بطريق. فخل سبيلي وتنكب.
ولا تتعرض عني ولا تنقب. ثم ولى مدبرا ولم يعقب. قال الحارث بن همام
فالتهبت وجدا عند انطلاقه. ووددت أن لم ألاقه.

المقامة الثانية والأربعون وتعرف بالنجرانية

حدث الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى. ومساري الهوى.
إلى أن صرت ابن كل تربة. وأخا كل غربة. إلا أني لم أكن أقطع واديا. ولا
أشهد ناديا. إلا لاقتباس الأدب. المسلي عن الأشجان. المغلي قيمة الإنسان.

حتى عرفت

حتى عرفت لي هذه الشنشنة. وتناقلتها عني الألسنة.
وصارت أعلق بي من الهوى ببني عذرة. والشجاعة بآل أبي صفرة.
فلما ألقيت الجران بنجران. واصطفيت بها الخلان والجيران. تخذت
أنديتها معتمري. وموسم فكاهتي وسمري. فكنت أتعهدها صباح مساء
وأظهر فيها على ما سر وساء. فبينما أنا في ناد محتشد. ومحفل مشهود.
إذ جثم لدينا ذو همّ. عليه هدم. فحيّى تحية ملق. بلسان ذلق. ثم قال
يا بدور المحافل. وبحور النوافل. قد بين الصبح لذي عينين. وناب
العيان مناب العدلين. فما ذا ترون فيما ترون. أتحنون العون
أم تنأون حين تدعون. فقالوا له يا هذا لقد عظت. وأردت أن
تنبط فغضت. فناشدهم الله عما ذا أصمتهم. حتى استوجب ردهم.
فقالوا إنا كنا نتناضل بالألغاز. كما يتناضل يوم البراز. فما تمالك
أن شعث من المنضول. وألحق هذا الفضل بنمط المفضول. فلسنه
لسن القوم. ووخزوه بأسنة اللوم. فأخذ يتنصل من هفوته.
ويتندم على فهوته. وهم مضطبون على مؤاخذته. وملبون دواعي
منابذته. إلى أن قال لهم يا قوم إن الحتم من كرم الطبع. فعدوا عن اللذع أو القذع.

ثم قال هلمّ الى ان نلغز. ونحكّم المبرّز. فسكّن عند ذلك توقّدهم. وانحلّت عقدتهم. ورضوا بما شرط عليهم ولهم. واقترحوا ان يكون اولهم. فامسك ريثما يعقد شسع. او يشدّ نسع. ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش. ومليتم العيش. وانشد ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلّة ... ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثّها ... على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو اذا ولّى المصيف قحولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل. ومراكز العقل. وانشد ملغزا في حابول النخل.

ومنتسب الى امّ ... تنشّا اصله منها
يعانقها وقد كانت ... نفته برهة عنها
به يتوصّل الجاني ... ولا يلحى ولا ينهى

ثم قال ودونكم الخفيّة العلم. المعتكرة الظلم وانشد ملغزا في القلم

ومأموم به عرف الامام ... كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صاد ... ويسكن حين تعروه الاوام
ويذري حين يستعدي دموعا ... يرقّ كما يروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل. الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا في الميل

وما ناكح اختين جهرا وخفية ... وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه ... وان مال بعل لم يجد من يميل
يزيدهما عند المشيب تعهّدا ... وبرّا وهذا في البعول قليل

ثم قال يا اولي الالباب. هذه معيار الآداب وانشد ملغزا في الدولاب

وجاف وهو موصول ... وصول ليس بالجافي
غريق بارز فاعجب ... له من راسب طاف
يسحّ دموع مظلوم ... ويهفو هفو متلاف
وتخشى منه حدّته ... ولكن قلبه صاف

قال فلما رشق. بالخمس التي نسق. قال يا قوم تدبّروا هذه الخمس. واعقدوا عليها الخمس. ثم رايكم وضح الدليل. او الازدياد من التكميل. قال فاستهزّ القوم شهوة الزيادة. على ما اشرّبوا من البلادة. فقالوا ان وقوفنا دون حدّك. ليقحمنا عن استيراء زندك. فان اتممت عشرا فمن عندك. فهزّ اهتزاز من فلج سهمه. وانخزل خصمه. ثم افتتح النطق بالبسملة وانشد ملغزا في المزملة.

ومسرورة مغمومة طول دهرها	وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب أحيانا لأجل جنينها	وكم ولد لولاه طلقت الأم
وتبعد أحيانا وما حال عهدها	وإبعاد من لم يستحل عهده ظلم
إذا قصر الليل استلذ وصالها	وإن طال فالإعراض عن وصلها غنم
لها ملبس بادي النتو مبطن	بما يزدري لكن لما يزدري الحكم

ثم كشر عن أنيابه الصفر وأنشد ملغزا في الظفر :.

ومنهوب الشبا نام • ولا يرعى ولا يشرب
يرى في العشر دون النحر • فاسمع وصفه واعجب

ثم تحازر تحازر العفريت وأنشد ملغزا في طاقة الكبريت

وما محقورة تدنى وتقصى	وما منها إذا فكرت بد
لها رأسان مشتبهان جدا	وكل منهما للأخت ضد
تعذب إن هما خضبا وتلغى	إذا عدم الخضاب فلا تعد

ثم تحمحم تحمحم القرم وأنشد ملغزا في حب الكرم

وما شيء إذا فسدا	تحول غيه رشدا

زكي

زكي العرق والده	ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزا في الطيار

وذي طيش شقيقه مائل	وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق علية	كما يعتلي الملك العادل
تساوى لديه الحصا والنضار	وما يستوي الحق والباطل
وأعجب أوصافه إن نظرت	كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما	وقد عرفوا أنه مائل

ل فظلت الأفكار تهيم في أودية الأوهام • وتجول جولان المستهام • إلى أن طال الأمد • وحصحص الكمد • فلما رآهم يزندون ولا سنا • ويعضون النهار بالمنى • قال يا قوم إلام تنظرون • وحتام تنظرون • ألم يأن لكم استخراج الخبي • أو استسلام الغبي • فقالوا له تالله لقد أغوصت • ونصبت الشرك فاقتنصت • فتحكم كيف شئت • وحز الغنم والصيت • ففرض عن كل معمى فرضا • واستخلصه منهم نقدا • ثم فتح الأقفال • ووسم الأغفال • وحاول الانجفال • فاعتلق به مدرة القوم • وقال لا لبثة بعد اليوم • فاستنسب قبل الانطلاق • وهبها متعة الطلاق • فأطرق حتى قلنا مريب • ثم أنشد والدمع يجيب :.

سروج مطلع شمسي	وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي	بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا	امرّ يومي وامسي
ما لي مقر بارض	ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما	بالشام اضحي وامسي
ازجي الزمان بقوت	منغّص مستخسّ
ولا ابيت وعندي	فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي	باع الحياة ببخس

ثم انه اختبن خلاصة النفس، وندر ضاربا في الارض، فانشدناه ان يعود، ولسنيناه الوعود، فلا وابيك ما رجع، ولا الترغيب له نجع.

المقامة الثالثة والاربعون وتعرف بالخضرمية

اخبر الحرث بن همام قال هفا بي البين المطوح، والسير المبرح، الى ارض يضل بها الخريت، ويغرق فيها المصاليت، فوجدت ما يجد الحاير الوحيد، ورأيت ما كنت منه احيد، الا اني شجعت قلبي المزءود، ونسأت نضوي المجهود، وسرت سير القارب بقد حين المستسلم للحين.

ولم ازل بين

ولم ازل بين وخد وذميل، واجازة ميل بعد ميل، الى ان كادت الشمس تجب، والضياء تحتجب، فارتعت لاظلال الظلام، واقتحام جيش حام، ولم ادر اأكفت الذيل وارتبط، ام اعتم الليل واختبط، وبينا انا اقلب العزم، وامتخض الحزم، ترآءى لي شبح جمل، مستدبر بجبل، فرجيته قعدة مريح، وقصدته قصد مشيح، فاذا الظن كهانة، والركوبة عيرانة، والمريح قد ازدمل ببجاده، واكتحل برقاده، فجلست عند رأسه، حتى هب من نعاسه، فلما ازدهر سراجاه، واحس بمن فاجاه، نفر كما ينفر المريب، وقال اخوك ام الذيب، فقلت بل خابط ليل ضل المسالك، فاضئ لي اقدح لك، فقال ليسر عنك همك، فرب اخ لم يلده اماك، فانسرى عند ذلك اشفاقي، وسرى الوسن الى آماقي، فقال عند الصباح يحمد القوم السرى، فهل ترى كما ارى، فقلت اني لك لاطوع من حذائك، واوفق من غذائك، فصدع بمحبتي، وبجح بصحبتي، ثم احتملنا مجدين، وارتحلنا مدلجين، ولم نزل نعاني السرى، ونعاصي الكرى، الى ان بلغ الليل غايته، ورفع الفجر رايته، فلما اسفر الفاضح، ولم يبق الا واضح

توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد
ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين
ثم تباثثنا الاسرار وتنافثنا الاخبار وبعيري يتخطم الكلال
وراحلته ترف زفيف الرال فاعجبني اشتداد اسرها وامتداد صبرها
واخذت استشف جوهرها واسأله من اين تخيرها فقال ان لهذه الناقة
خبرا حلو المذاقة مليح السياقة فان احببت استماعه فانخ وان لم تشأ
فلا تصخ فانخت لقوله نضوي واهدفت السمع لما يروي فقال اعلم
اني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت فما زلت
اجوب عليها البلاد واطيس باخفافها الطراد الى ان وجدتها عبر اسفار
وعدة فرار لا يلحقها عناء ولا تواهقها وجناء ولا تدري ما الهناء
فارصدتها للخير والشر واحللتها محل البر السر فاتفق مذ مدة يسيرة ان
ندت وما لي سواها قعدة فاستشعرت الاسف واستشرفت التلف
ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا استطيع انبعاثا ولا اطعم النوم
الا احتثاثا ثم اخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك
وانا لا استنشي منها ريحا ولا استغشي باسام ريحا وكلما ادكرت

مقناها

مقناها في السير وابزاءها بالمبارات الطير لاعنى الادكار واستهوتني
الافكار فبينما انا في حواء بعض الاحياء اذ سمعت من شخص متبعد
وصوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية وطية جلدها قد وسم
وعرها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها كان قد كسر ثم جبر تزين الماشية
وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية وتظل لك ابدا مدانية
لا يعتورها الونى ولا يعترضها الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصي فيمن
عصا قال ابو زيد فجذبني الصوت الى الصايت وبشرني بدرك
الفايت فلما افضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية فقال
وما مطيتك عفرت خطيتك قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها
كالقبة وحلبها ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين اذ حللت
بيبرين واستزدت الذي اعطى ودريت انه اخطى قال فاعرض
حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه
واصررت على تكذيبه وهممت على تمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا
ما مطيتي بطلبتك فاكفف عن غربك وعد عن سبك والا فاقتضني
الى حكم هذا الحي البري من الغي فان اوجبها لك فتسلم وان زواها عنك

فلا تتكلم. فلم أرد دوآء قضيتي. ولا مساغ غصتي. إلا أن آتي الحكم ولو لكم
فانتخ بنا إلى شيخ ركين النصبة. أنيق العصبة. يؤنس منه سكون الطائر
وأن ليس بالجائر. فاندرأت أتظلم وتألم. وصاحبي جرم لا يترمرم. حتى إذا
نثلت كنانتي. وقضيت من القصص لبانتي. أبرز نعلا أرزنه الوزن
محذوة بلسك الخرز. وقال هذه التي عرفت. وإياها وصفت فإن
كانت هي التي أعطى جاعشرين. وهاهو من المبصرين. فقد كذب في
دعواه. وكبر ما افتراه. اللهم إلا أن يمد قذاله. ويبين مصداق ما قاله.
فقال الحكم اللهم غفراً. وجعل تقليب النعل بطناً وظهراً. ثم قال أما هذه النعل
فنعلي. وأما مطيتك ففي رحلي. فانهض لتسلم ناقتك.
وافعل الخير بحسب طاقتك. فقمت وقلت

أقسم بالبيت العتيق ذي الحرم	والطائفين العاكفين في الحرم
إنك نعم من إليه يحتكم	وخير قاض في الأعاريب حكم

فاسلم ودم دوم النعام والنعم. فأجاب عن غير روية. وعقد نية فقال

جزيت عن شكرك خيراً يا ابن عم	إذ لست أستوجب شكراً إذ تتم
شر الأنام من إذا استقضي ظلم	ثم من استرعى ولم يرع الحرم

فنزر

فنزر والكلب سواء في القيم. ثم إنه نفذ بين يدي من سلم التلاقي.
ولم يمتن علي. فرحت أجر ذيل الطرب. وأقول يا للعجب. قال الحارث بن همام
فقلت له تالله لقد أطرفت. وبهرفت بما عرفت. فأنشدتك الله هل
لقيت أسحر منك بنانا. وأحسن للفظ صياغة. فقال اللهم نعم.
فاسمع وأنعم. كنت عزمت حين أتهمت. على أن أتخذ ظعينة
لتكون لي معينة. فحين تعين الخطب. وكاد الأمر يستتب. أفكرت
فكر المتحرز من الوهم. المتأمل كيف مسقط السهم. وبت ليلتي أناجي
القلب المعذب. وأقلب العزم المذبذب. إلى أن أجمعت على أن أستحر
وأشاور أول من أبصر. فلما قوضت الظلمة أطنابها. وولت الشهب
أذنابها. غدوت غدو المتعرف. وابتكرت ابتكار المتعيف.
فانبرى لي يافع. في وجهه شافع. فتيمنت بمنظره البهيج. و
استقدحت رأيه في التزويج. فقال أوتبغيها عوانا. أم بكرا تعاني.
فقلت اختر لي ما ترى. فقد ألقيت إليك العرى. فقال إلي التبيين
وعليك التعيين. فاسمع أنا أفديك بعد دفن أعاديك. أما البكر
فالدرة المخزونة. والبيضة المكنونة. والثمرة الباكورة. والسلافة المذخورة

والروضة الأنف والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس

ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث

ولها الوجه الحيي والطرف الخفي واللسان العيي والقلب النقي ثم

هي الدمية الملاعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر

القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب وأما الثيب فالمطية المذللة

واللهنة المعجلة والبغية المتسهلة والطبة المعللة والقرينة المتحببة

والحليلة المتقربة والصناع المدبرة والفطنة المختبرة ثم إنها عجالة

الراكب وأنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها

لينة وعقلتها هينة ودخلتها متبينة وخدمتها مزينة وأقسم

لقد صدقت في النعتين وأجليت المهاتين فأيهما هام قلبك

وعلى أيهما قام زنبك قال أبو زيد فرأيته جندلة تتقيها المراجم وتدمى

منها المحاجم إلا أني قلت له كنت سمعت أن البكر أشد حباً وأقل خباً

فقال قد لعمري قيل هذا ولكن كم قول آذى ويحك أما هي المهرة

الأبية العنان والمطية البطيئة الإذعان والزندة المتعسرة الاقتداح

والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤنتها كثيرة ومعونتها يسيرة

وعشرتها صلفة ودالتها مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها

خشناء وليلتها ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء

وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحنقت الهازل وأضرعت

الفنيق البازل ثم إنها التي تقول أنا ألبس وأجلس فاطلب من تطلق و

تحبس فقلت له فما ترى في الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب في

فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل

والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح المتسلطة والمحتكرة

المتسخطة ثم كلمتها كنت وصرت وطالما بغيت فنصرت وشتان

بين اليوم وأمس وهيهات القمر من الشمس وإن كانت الحنانة البروك

أو الطماحة الهلوك فهي الغل القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له

فهل ترى أن أترهب وأسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار المؤدب

عند زلة المتأدب ثم قال ويلك أتقتدي بالرهبان والحق قد استبان

أف لك ولوهن رأيك وتباً لك ولأوليك أتراك ما سمعت بأن لا

رهبانية في الإسلام ولا حدثت بمناكح نبيك عليه الصلاة والسلام

ثم أما تعلم أن السكن الصالحة ترب بيتك وتلبي صوتك وتغض

طرفك وتطيب عرفك وبها ترى قرة عينك وريحانة أنفك
وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة
المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين وآيم الله
لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض إعراض المغضب ونزا
نزوان العقرب فقلت له قاتلك الله أتنطق متبحراً وتدعي متحيراً
فقال أظنك تدعي الحيرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له
قبح الله ظنك ولا أشب قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان ٥ وتبت
من مشاورة الصبيان ٥ قال الحارث بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت
الأيك إن الجدل منك وإليك فأغرب في الضحك وطرب طربة المنهمك
ثم قال الحق العمل ولا تسل وأخذت أسهب في مدح الأدب وأفضل
رتبه على ذي النشب وهو ينظر إلي نظر المستجهل ويغضي عني إغضاء
المتمهل فلما أسرفت في العصبية للعصبة الأدبية قال لي صه واسمع مني وافقه

يقولون إن جمال الفتى	وزينته أدب راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين	ومن طود سؤدده باذخ
وأما الفقير فخير له	من الأدب القرص والكامخ

وأي جمال له أن يقال	أديب يعلم أو ناسخ

ثم قال ستصح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي وسرنا لا نألو
جهداً ولا نستفيق جهداً حتى إذا ما السير أقر بي قرية غرب عنها الخير
فدخلناها للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما إن لقينا المحط والمناخ المختط
إذ لقينا غلاماً لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية
المسلم وساءله وقفة المفهم فقال نعم تسل وفقك الله قال أيباع ههنا
الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا
التمر بالسمر قال هيهات والله قال ولا العصيدة بالقصيدة قال اسكت
عافاك الله قال ولا الثريد بالفريد قال أين يذهب بك أرشدك الله قال
ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عد عن هذا أضحكك الله واستحلى أبو زيد
تراجع السؤال والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام أن الشوط
بطين والشيخ شويطين فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك
واستبنت أنك فخذ الجواب صبرة واكتف به خبرة أما بهذا
المكان ٥ فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة
ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة ولا أخبار الملاحم بلحمة

واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يمنح، اذا اصبغ له المديح، ولا من يجيز إذا انشد الاراجيز، ولا من يغيث، اذا اطربه الحديث، ولا من يميز ولو انه امير، وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب، ان لم تجد الربيع ديمة لم يكن له قيمة، ولا دانته بهيمة، وكذا الادب، ان لم يعضده نشب، فدرسه نصب، وخزنه حصب، ثم انشد بعده، وولى يجده، فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب بار، وولت انصاره الادبار، فبؤت له بتحسين البصيرة، وسلمت بحكم الضرورة، فقال دعنا الآن من المصاع، وخض في حديث القصاع، واعلم ان الاستجاع، لا تشبع من جاع، فما التدبير فيما يمسك الرمق، ويطفئ الحرق، فقلت الامر اليك والزمام بيديك، قال ارى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك، فناولنيه واقم لانقلب اليك بما نلتقم، فاحسنت به الظن، وقلدته السيف والرهن، فما لبث ان ركب النهج، ورفض الصدق والصداقة، فمكثت مليا اترقبه، ثم نهضت اتعقبه، فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف، ولم القه ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون وتعرف بالشتوية

حكى الحرث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم،

الى نار تضرم

الى نار تضرم على علم، وتخبر عن كرم، وكانت ليلة جوها مقرور، وجيبها مزرور، ونجمها مغموم، وغيمها مركوم، وانا فيها اصرد من عين الحرباء، والعنز الجرباء، فلم ازل انفض عني، واقول طوبى لك ولنفسي، الى ان تبصر الموقد الي، وتبين ارقالي، فانحدر يعدو والجمراء، ونشد من تجرا

حييت من خابط ليل سار … هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار … مرحب الطارق الممتار
ترحاب جعد الكف بالدينار … ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مبخار … اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار … فهو على تجويس الزمان الضار
جم الرماد مرهف الشفار … لم يخل في ليل ولا نهار

من نحر وار واقتداح وار

الصواب رحب الطارق الممتار بالبنا

ثم تلقاني بمحيا حيي، وصافحني براحة اريحي، وقادني الى بيت عشاره تخور، واعشاره تفور، وولائده تمور، وموائده تدور، وباكنافه اضيافه قد جلبهم جالبي، وقلبوا في قالبي، وهم يجتنون فاكهة الشتاء، ويمرحون مرح ذوي الفتاء، فاخذت مأخذهم في الاصطلاء، ووجدت

ولما ان سرى الخصر

وجد الشمل بالطلاء. وانسرى الخصر. اتينا بموائد كالهالات دورا. والروضات زهرا. وقد شحنت باطعمة الولائم. وحمين من العائب واللائم. فرفضنا ما قيل في البطنة. ورأينا الامعان فيها من الفطنة. حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم. واشفينا على خطر التخم. تعاورنا شوش الغمر. ثم تبوأنا مقاعد السمر. فاخذ كل منا يشول بلسانه. وينشر ما في صوانه. ما عدا شيخا شتت بها فؤاده. مخلولقا برداه. فانه ربض حجرة. واوسعنا هجرة. فغاظنا تجنبه الملتبس موجبه. المعذور موثبه. الا انا النا له القول. وخشينا في المسئلة العول. وكلما رمنا ان نفيض كما فضنا. او يفيض فيما افضنا. اعرض اعراض العيبة عن الارذلين. وتلا ان هذا الا اساطير الاولين. ثم كان الحمية ماجنة. والنفس الابية باجنة. فدلف وازدلف. وخلع الصلف. وبذل ان يتلافى ما سلف. ثم استرعى سمع السامر. واندفع كالسيل الهامر وقال

عن العيان كنوني بالفا

عندي اعاجيب اريها بلا كذب	عن العيان كنوني ابا العجب
رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم	بول العجوز وما اعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة. والعجوز ايضا من اسماء الخمر

ومنتين

ومستنبتين من الاعراب قوتهم	ان يشتووا خرقة تغني من السغب

الخرقة القطعة من الجراد.

وقادرين متى ما ساء صنعهم	او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ. والقدير المطبوخ في القدر

وكاتبين وما خطت اناملهم	حرفا ولا قرءوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخارزون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما. وكتب البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها وخاطهما. ومنه قول الشاعر. وهو سالم بن دارة الغطفاني

لا تأمنن فزاريا خلوت به	على قلوصك واكتبها باسيار

اليلب درع من جلود

وتابعين عقابا في مسيرهم	على تكمههم في البيض واليلب

العقاب الراية. وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب.

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم	نبيلة فانتدوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة. ومنه تنبل البعير اذا مات واروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد	حجت جثيا بلا شك على الركب

معنى حجت جثيا غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب. وجثي جمع جاث.

ونسوة بينما ادلجن من حلب	صبحن كاظمة من غير ما تعب

كاظمة هاهنا كاظمة الغيظ اي متجرعة

ومدلجين سروا من ارض كاظمة ... واصبحوا حين لاح الصبح في حلب

اي اصبحوا يحلبون اللبن

ويافع لم يلامس قط غانية ... شاهدته ولد نسل من العقب

النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم

وشائب تهنا بالمشيب بدا ... في البدو وهو فتى السن لم يشب

الشائب هاهنا مازج اللبن بالماء والمشيب اللبن الممزوج بالماء يقال فيه لبن مشيب ومشوب

ومرضعا بلبان لم يفه فمه ... رأيته في شجار بين السبب

الشجار هاهنا المحفة ما لم تكن مظللة فان ظللت فهي الهودج والسبب هاهنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

وزارع ذرة حتى اذا حصدت ... صارت غبيراء يهواها اخو الطرب

والغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم وتسمى ايضا السكركة

وراكض وهو مغلول على فرس ... قد غل ايضا وما ينفك من خبب

المغلول هاهنا العطشان وغل اي عطش

وذا ايد طلق

وذا ايد طلق يقتاد راحلة ... مستعجلا وهو ماسور اخو كرب

الماسور الذي يجد الاسر وهو احتباس البول

وجالسا ماشيا تهوي مطيته ... به وما في الذي اوردت من ريب

الجالس الآتي نجدا والماشي الذي كثرت ماشيته وعليه فسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كانه دعا لهم بالنماء وكثرة الماشية

وحائكا اجذم الكفين ذا خرس ... فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحائك هاهنا الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه

وذا اشتطاط كصدر الرمح قامته ... صادفته بمنى يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الارض والاشتطاط استقامة القلب

وساعيا في مسرات الانام يرى ... افراحهم ماتما كالظلم والكذب

افراحهم اثقالهم ومنه قوله عليه السلام لا يترك في الاسلام مفرح اي مثقل بالدين

ومغرما بمناجاة الرجال له ... وما له في حديث الخلق من ارب

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ... ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد والذمام الثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء

وعني بالذرب المسلك اي ماله آبار فقيل له الماء في البدو

وذاقوي لما استبانت قط لينته   ولينه متبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة

وساجدا فوق فحل غير مكترث   بما اتى بل يراه افضل القرب

الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وعاذر اموله لما من ظل يعذره   مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف   والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى البلجة ايضا

وقرية دون افحوص القطا شحنت   بديلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير

وكوكبا يتوارى عند رؤيته   الانسان حتى يرى في امنع الحجب

والكوكب النكتة البيضاء التي تحدث في انسان العين والانسان هنا انسان العين

وروثة قومت مالا له خطر   ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة هنا مقدم الانف • اي قومت بالدية

وصفحة من نضار خالص شربت   بعد الكاس بقيراط من الذهب

النضار ههنا شجر النبع ومنه قول بعض العرب لا باس ان يشرب في قدح النضار عنى به هذا

ومستجيشا بخشخاش ليدفعها   اظلة من اعاديه فلم يخب

الخشخاش الجماعة عليهم دروع واسلحة • والمستجيش الذي يطلب الجيش

وطالما مر بي كلب وفي فمه   ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور ههنا القطعة من الاقط

وكم راى ناظري فيلا على حمد   وقد توركَ فوق الرحل والقتب

الفيل ههنا الرجل الفايل الراي او الناقص

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا   وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكنت ابصرت كرازا لراعية   بالدو ينظر من عينين كالشهب

الكراز كبش يحمل عليه الراعي اداته

وكم رأت مقلتي عينين ماؤهما   يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان • وحلب البلدة المعروفة

وصادعا بالقنا من غير ان عبقت   كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القنا ارتفاع الأنف وتحدّب وسطه • وصدع به أي كشفه

وكم نزلت بأرض لا نخيل بها ... وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر • والقلب جمع قليب

وكم رأيت بأقطار الفلا طبقا ... يطير في الجو منصبا الى صبب

الطبق القطعة من الجراد • والصبب الأرض المستوية

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم ... مخلّدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي ابطأ شيبه

وكم بدا لي وحش تشتكي سغبا ... بمنطق ذلق أمضى من القضب

الوحش الرجل الجائع •

وكم دعاني متنبج فحادثني ... وما أخلّ وما أخللت بالأدب

المتنبج الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك

وكم أكنت قلوصي تحت جنبذة ... تظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة • والعرب جمع عروب وهي المرأة المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من سر ساعته ... ودمعه منهل القطر كالسحب

سر أي قطع سرره وسرته • وتسمى ما يبقى بعد القطع السرة

وكم أريت قميصا

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه ... حتى انثنى واهي الأعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم إزار لو ان الدهر التحفه ... لجف لبد حثيث السير مضطرب

الإزار المرأة • ومنه قول الشاعر • ألا أبلغ أبا حفص رسولا • فدى لك من أخي ثقة إزاري •

هذا وكم من أفانين معجبة ... عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فإن فطنتم للحن القول بان لكم ... صدقي ودلكم طلعي على رطبي

وإن شدهتم فإن العار فيه على ... من لا يميز بين العود والخشب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتأويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس بعشك فادرجي الى أن تعذر النتاج واستحكم الارتتاج • فألقينا إليه المقادة • وخطبنا منه الإفادة • فوقفنا بين الطمع واليأس • وقال الإيناس قبل الإبساس • فعلمنا أنه ممن يرغب في التكرم ويرتشي في الحكم • وساءنا أن نتعرض للتغرم • أو نخيب بالغرم • فأحضرنا ناقة عيدية • وحلة سعدية • وقلنا له خذهما طلالا • ولا تزر أصيبا في زبالا • فقال أشهد أنها نشنشة أخزمية • وأريحية حاتمية • ثم قابلنا بوجه بشره يشف • ونضرته ترف •

وقال يا قوم ان الليل قد اجلوذ. والنعاس قد استحوذ. فافزعوا الى المراقد.
واغنموا راحة الراقد. لتشربوا نشاطا. وتبعثوا انشاطا. فتعوا ما افتر.
ويستسهل لكم المتعسر. واستصوب كل ما رآه. وتوسد وسادة كراه.
فلما وسنت الاجفان. واغفت الضيفان. وثب الى الناقة فرحلها
ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها.

سروج يا ناق فسيري وخدي — وادلجي واوبي واسئدي
حتى تطأ خفاك مرعاها الندي — فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتأمني ان تتهمي او تنجدي — ايه فدتك النوق جدي واجهدي
وافري اديم فدفد ففدفد — واقتنعي بالنشح عند المورد
ولا تلهي دون ذاك المقصد — فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد — انك ان احللتني في بلدي

حللت مني بمحل الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا انباع باع. واذا املأ الصاع
انصاع. ولما انبلج صباح اليوم. وهب النوام عن النوم. علمتهم ان الشيخ
حين اغتشاهم السبات. طلقهم البتات. وركب الناقة وفات.

فاخذهم ما

فأخذهم ما قدم وما حدث. ونسوا منه ما طاب بما خبث.
ثم انشعبنا في كل مشعب. وذهبنا تحت كل كوكب. قال الشيخ
الرئيس ابو محمد القسم بن علي رحمه الله تعالى. قد فسرت سر كل الغريب تحته.
ولم ابعد على من يقرؤه كشفه. وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه
المقامة. وربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاجبت ايضاحها له
ليكفى حيرة الشبهة. وكلفة الفكرة. ووصمة البحث والمسئلة. وبالله تعالى
الاستعانة والقوة. قوله عشوت الى نار يعني تنورتها فقصدتها.
فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا اي من يعرض عن ذكر الرحمن. قوله وكنت اصرد من عين
الحرباء والعنز الجرباء. هذان المثلان يضربان لمن يبلغ له البرد. وذلك ان
الحرباء تدور ابدا مع الشمس وتستقبلها بعينها. والى هذا اشار ابن الرومي
مشبها رقيب الحسناء بالحرباء في قوله ما بالها قد حسنت ورقيبها. ابدا
قبيح قبح الرقباء. ما ذاك الا انها شمس الضحى. ابدا يكون رقيبها الحرباء.
والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها. وذكر بعض العلماء ان العنز الجرباء
تصحيف المثل الاول. قوله خوار يعني الجمل المكتنز شحما الكثير لحما. قوله

عشارة تخور. وعشارة تفوز. العشار النوق الحوامل. والاعشار البرمة العظيمة
كانها تشعبت لعظمها. يقال برمة اعشار. وجفنة اكسار. وثوب اسمال. وبرد اخلاق
وحبل ارمام. ووصف الجماعة بها كوصف الواحد وقوله فاكهة الشتاء. كنى بها
عن النار. ومنه قول بعض المحدثين. النار فاكهة الشتاء فمن يرد. اكل الفواكه
شاتيا فليصطلي. ان الفواكه في الشتاء شهية. والنار للمقرور افضل ماكل
وقوله موائد كالهالات. يعني دارات القمر. ودارة الشمس تسمى الطفاوة
وقوله مشوش الغمر. يعني المنديل يقال مششت يدي اي مسحتها ومنه قول امرء القيس
نمش باعراف الجياد اكفنا. اذا نحن قمنا عن شواء مضهب وقوله مشتبها
فوداه. اي صار اسم الشيب في لون الاشهب ومنه قول امرء القيس ايضا
قالت الخنساء لما جئتها. شاب بعدي رأس هذا واشهب وقوله
ربض حجرة. يعني ناحية. ويقال في المثل لمن يشارك عند الرخاء ويجانب عند البلاء
يرتع وسطا. ويربض حجرة وقوله فاسترعى سمع السامر يعني السمار لان السامر
اسم للجمع كما ان الحاضر اسم للحي النازلين على الماء. وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال
بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل
القمر ماخوذ من السمرة. فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون في ظل القمر اشتق

لهم اسم

لهم اسم منه. والى هذا يرجع قولهم لا افعله القمر والسمر وقوله ليس بعشك
فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له. والعش ما يكون في شجرة فان
كان في حائط او كهف فهو وكر. وقال بعضهم العش في الكرم. والوكر والوكن في
الجبل والجدار. والافحوص على وجه الارض وقوله الايناس قبل الابساس هذا
مثل ايضا. ومعناه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة
يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس
لتسكن وتدر. واذا كانت الناقة تدر على الابساس سميت البسوس وقوله
يرغب في الشكم. الشكم ما اعطيته على سبيل المجازات. فان اعطيت مبتدئا
فهو الشكد قوله ساء اباه مثوانا. يعني المضيف الذي اووا اليه وثووا عنده
قوله ناقة عيدية. يقال انها منسوبة الى فحل نجيب اسمه عيد ويقال
هي منسوبة الى فخذ من مهرة اسمه عيد. وكانت مهرة وعيد تتخذ نجائب
الابل فنسبت اليهما قوله حلة سعدية. هي منسوبة الى سعد بن العاص وكان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كساه حلة وهو غلام فنسبت جنسها اليه قوله
لا ترزا اصيافي زبالا. اي لا ترزاهم شيئا وان قل. والاصل في الزبال ما تحمله النملة
بفيها قوله سنة ازمية. اشارة الى المثل الذي ضربه جده حاتم بن عبد الله

ابن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي حين نشا حاتم وتقيل اخلاق جده اخزم في الجود. فقال شنشنة اعرفها من اخزم. وتمثل عقيل بن علقة به حين قال

ان بني ضرجوني بالدم. من يلق آساد الرجال يكلم. شنشنة اعرفها من اخزم.

ومن ادعى ان المثل له فقد وهم فيه. قوله اجلوذ اي اسرع في الذهاب ومثله اخروط. قوله في شبابي التي قد رحلها. يعني شد عليها الرحل وسميت الرحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى عيشة راضية اي مرضية وماء دافق اي مدفوق. والرحلة تقع على الناقة والجمل. ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية. قوله وارتحلها اي ركبها. وفي الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سجد فركبه الحسن رضي الله عنه فابطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله. قوله وارحلها اي اشخصها وازعجها واخذها في السير والرحيل. ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس. قوله فادلجي واسيدي. والادلاج ان يسير الليل كله. والاسم منه الدلجة بفتح الدال. والادلاج بالتشديد ان يسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال. وقيل ان الدلجة بفتح الدال وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار كله. والاسآد ان يسير ليلا ونهارا. والنشج ان يشرب

دون الري. قوله فاخذتهم ما قدم وما حدث. يقال ذلك لمن يتوالى عليه الهم. والدال من حدث تضم في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم. فان افرد حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث. ومنه قولهم هنأني ومرأني بحذف الالف من امرأني اذا ذكر مع هنأني. فان افرده وجب ان تقول امرأني الشيء. وقوله ذهبنا تحت كل كوكب. هذا المثل يضرب لمن تختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون وتعرف بالرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجاريب. ان السفر مرآة الاعاجيب. فلم ازل اجوب كل تنوفة. واقتحم كل مخوفة. حتى اجتليت كل اطروفة. فمن احسن ما لمحته. واغرب ما استملحته. اني حضرت قاضي الرملة. وكان من اصحاب الدولة والصولة. وقد ترافع اليه بال في بال. وذات جمال و اسمال. فهم الشيخ بالكلام. وتبيان المرام. فمنعته الفتاة من الافصاح. وحسأته عن النباح. ثم نضت عنها فضلة الوشاح. وانشدت بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي	في يده التمرة والجمرة
اليك اشكو جور بعلي الذي	لم يحج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه	وخف ظهرا اذ رمى جمرة

كان على رأي أبي يوسف	في وصلة الحجة والعمرة
هذا على أني مذ ضمني	إليه لم أعص له أمره
فمره إما ألفة حلوة	ترضي وإما فرقة مرة
من قبل أن أخلع ثوب الحيا	في طاعة الشيخ أبي عمرة

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك إليه • وتوعدتك عليه • فجانب ما عرك • وحاذر أن تفرك وتعرك • فجثا الشيخ على ثفناته • وتفجر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ	يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عن قلى	ولا هوى قلبي قضى نذره
وإنما الدهر عدا صرفه	فابتزنا الدرة والذرة
فمنزلي قفر كما جيدها	عطل من الجزعة والشذرة
وكنت من قبل أرى في الهوى	ودينه رأي بني عذرة
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى	هجران عف آخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة	عنه ولكن أتقي بذره
ولا تلم من هذه حاله	واعطف عليه واحتمل هذره

قال فلما لفظت المرءة من مقاله • وانتصبت الحجج لجداله • قالت له ويلك يا مرقعان

يا من لا طعام عنده ولا طعان • أتضيق بالولد ذرعا • ولكل أكولة مرعى • لقد ضل فهمك • وأخطأ سهمك • وسفهت نفسك • وشقيت بك عرسك • فقال لها القاضي • أما أنت فلو جادلت الخنساء • لانثنت عنك خرساء • وأما هو فإن كان صدق في زعمه • ودعوى عدمه • فله في همه قبقبه • ما يشغل عن ذبذبه • فأطرقت تنظر ازورارا • ولا ترجع حوارا • حتى قلنا قد راجعها الخفر • أو حاق بها الظفر • فقال لها الشيخ تعسا لك إن زففت • أو كتمت ما عرفت • فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم • أو بقي لنا على سر ختم • وما فينا إلا من صدق • وهتك صونه إذ نطق • فليتنا لاقينا البكم • ولم نلق الحكم • ثم التفعت بوشاحها • وتباكت لافتضاحها • وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب • ويلوم لهما الزمان ويؤنب • ثم أحضر من الورق ألفين • وقال أرضيا بهما الأجوفين • وعاصيا بهما النازغ بين الإلفين • فشكراه على حسن السراح • وانطلقا وهما كالماء والراح • وطفق القاضي بعد مسرحهما • وتنائي شبحهما • يثني على أدبهما • ويقول هل من عارف بهما • فقال له عين أعوانه • وخالصة خلصانه • أما الشيخ فالسروجي المشهود بفضله • وأما المرأة فقعيدة رحله

وأما أنتما فكم من فعله. وأحبولة من حبائل ختله. فاحفظ القاضي ما سمع. والتهب كيف خدع. ثم قال للواشي بهما قم فردهما. ثم اقصدهما وصدهما. فنهض ينفض عذرويه. ثم عاد يضرب أصدريه. فقال له القاضي أظهرنا على ما بثثت. وبين لنا ما استطبت. ولا تخف عنا ما استخبثت. فقال لما زلت أستقري الطرق. وأستفتح الغلق. إلى أن أدركتهما مصحرين. وقد زما مطي البين. فرغبتهما العود. وكفلت لهما بنيل الآمال. فأشرب قلب الشيخ أن ييأس. وقال الفرار بقراب أكيس. وقالت هي بل العود أحمد. والغروة تحمد. فلما تبين الشيخ سفه رأيها. وغرر اختبارها. أمسك زلاذلها ثم أنشأ يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سبله ... وأغنى عن التفصيل الجمله
طيري متى نفرت عن نخلة ... وطلقيها بتة بتله
وحاذري العود إليها ولو ... سبلها ناطورها الأبله
فخير ما للنقص أن لا يرى ... ببقعة فيها له عمله

ثم قال لي قد عنيت فيما وليت. فارجع من حيث أتيت. وقل لمرسلك إن شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالأذى ... فتضحي وشمل المال والحمد منصدع

ولا تغضب

ولا تغضبن من تزيد سائل ... فما هو في صوغ اللسان بمبتدع
وإن يك قد ساءتك مني خديعة ... فقبلك شيخ الأشعرين قد خدع

فقال القاضي قاتله الله. فما أحسن شجونه. وأملح فنونه. ثم أصحب رائده بردين. وصرة من العين. وقال له سر سير من لا يرى الالتفات. إلى أن ترى الشيخ والفتاة. فبل يديهما بهذا الحباء. وبين لهما انخداعي للأدباء. قال الراوي فلم أر في الاغتراب كهذا العجب العجاب. ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب.

المقامة السادسة والأربعون وتعرف بالحمصية

حدث الحارث بن همام قال نزعني إلى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب. وكنت يومئذ خفيف الحاذ. حثيث النفاذ. فأخذت أهبة السير. وخفقت نحوها خفوق الطير. ولم أزل مذ حللت ربوعها. وارتبعت ربيعها. أقري الأيام. فيما يشفي الغرام. ويروي الأوام. إلى أن أقصر القلب عن ولوعه. واستطار غراب البين بعد وقوعه. فأغراني البال الخلو. والمرح الحلو. بأن أقصد حمص لأصطاف بقعتها. وأسبر رقاعة أهل رقعتها. فأسرعت إليها إسراع النجم إذا انقض للرجم. فحين خيمت برسومها. ووجدت روح نسيمها. لمح طرفي شيخا

قد اقبل هريره وادبر غريره وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان
فطاوعته في قصص الرخص لأخبر ادباء حمص فبش بي حين وافيته
وحيّا بأحسن مما حييته فجلست اليه لأبلو جنا نطقه واكتنه كنه
حمقه فما لبث ان اشار بعصيته الى اكبر اصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل
واحذر ان تماطل فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح	وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها	وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لإدراك محل سما	عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا	ولا مراد الحمد رود رداح
واها لحر صدره واسع	وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله	وماله ما سألوه مطاح
ما أسمع الآمل ردا ولا	ماطله والمطل لوم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا	ولا كسا راحا له كأس راح
سوده إصلاحه سره	وردعه أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه	ما مهر العور مهور الصحاح

نعاله

فقال له أحسنت يا بدير يا رأس الدير ثم قال لتلوه المشتبه بصنوه
ادن يا نويرة يا قمر الدويرة فدنا ولم يتباطا حتى حل منه مقعد المتعاطي
فقال له أجل الأبيات العرائس وإن لم يكن بنفائس فبرى وقط ثم اجتذب اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني	بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض	غنج يقتضي تغيض جفني
غشيتني بزينتين فشفتني	بزي يشف بين تثني
فتظنيت تجتبيني فتجزيني	بنفث يشفي فخيب ظني
ثبتت في غش حبيب تزين	خبيث يبغي تشفي ضغني
فتنت في تجنبي فتنتني	بنشيج يشجي بفن ففن

فلما نظر الشيخ الى ما حبره وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا
كما بورك في لا ولا ثم هتف اقرب يا قطرب فدنا منه فتى يحكي نجم دجية
او تمثال دمية فقال له ارقم الابيات الاخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين	ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال	فنن أم في السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقي	مال ضنين ولو تقشف

واحلم فجفن الكرام يغضي ... وصد سهم في العطاء نقف
ولا تخن عهد ذي وداد ... ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك. ثم نادى يا غشمشم. يا عطر منشم. فلباه غلام كدرة غواص. وجوذر قناص. فقال له اكتب الأبيات المتائم. ولا تكن من المشائم. فتناول القلم المثقف. وكتب ولم يتوقف.

زينت زينب بقد يقد ... وتلاه ويلاه نهد يهد
جندها جيدها وظرف وطرف ... ناعس ناعس بحد يحد
قدرها قدرها وتاهت وباهت ... واغتدت واغتدت بخد يخد
فارقتني فارقتني وشطت ... وسطت ثم ثم وجد وجد
فدنت فديت وحنت وحيت ... مغضبا مغضيا بود يود

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره. ويقلب فيه نظره. فلما استحسن خطه واستفصح ضبطه. قال له لا شل عشرك ولا خبت نشرك. ثم هاب بفتى فتان. يسفر عن أزهار بستان. فقال له أنشد البيتين المطرفين. المشتبهي الطرفين. اللذين استكاكل نافث. وأمنا أن يعززا بثالث. فقال له اسمع لا وقر سمعك. ولا هزم جمعك. وأنشد من غير تلبث ولا تريث.

سم سمة

سم سمة تحسن آثارها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكر مهما استطعت لا تأته ... لتقتني السودد والمكرمة

فقال له الشيخ أجدت يا زغلول. يا أبا الغول. ثم نادى أوضح يا ياسين. ما يشكل من ذوات السين. فنهض ولم يتأن وأنشد بصوت أغن.

نقس الدواة ورسغ الكف مثبتة ... سينهما إن هما خطا وإن درسا
وهكذا السين في قسب وباسقة ... والسخو بخس وأقسر واقتبس قبسا
ودر تقسست في الليل الكلام وفي ... مسيطر وشموس واتخذ جرسا
وفي قريس وبرد قارس فخذ ... الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش. يا صناجة الجيش. ثم قال يا عنبسة. وبين الصادات الملتبسة. فوثب وثبة متبل مثار. وأنشد من غير عثار.

بالصاد تكتب قد قبصت دراهما ... بأناملي واصخ لتستمع الخبر
وبصقت وابصق والصماخ وصنجة ... والقص وهو الصدر واقتص الأثر
ونحصت معلقة وهذي فرصة ... وقد ارعدت منها الفريصة للحذر
وقصرت هندا أي حبست وقد نبا ... فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة إذا ... حذت اللسان وكل هذا مستطر

فقال له رعياً لك يا بُنيّ. فلقد أقررت عيني. ثم استنهض ذا جُمّة. كالبيدق. ونغشة كالسوذق. وأمره بأن يقف في المصاف. ويسرد ما أجري على السين والصاد. فنهض يسحب بُردَيه. ثم أنشد من أبياته.

إن شئت بالسين فاكتب ما أبينه … وإن تشأ فهو بالصاد الذي يكتب
مغس وفقس ومسطار ومُمّلس … وسالغ وسراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين. والفقس فقس البيضة. والمسطار الخمر المُزّة. وقيل لها المسطار. والمملس الذي يسقط من يدك ولا تشعر به. والسالغ آخر أسنان ذوات الظلف. والسقب القرب.

والسامغان وسقر والسويق ومسلاق … وعن كل هذا تفصح الكتب.

السامغان جانبا الفم. والمسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد. فقال له أحسنت يا حبقة. يا عين بقة. ثم نادى يا دغفل. يا أبا زنفل. فلباه فتى أخشن من بيضة في روضة. فقال له ما عقد هجاء الأفعال. التي آخرها حرف اعتلال. فقال له اسمع لا صُمّ صداك. ولا سمعت عداك. ثم أنشد وما استرشد.

إذا الفعل يوماً غُمّ عنك هجاؤه … فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن تر

فإن تر قبل التاء ياء فكتبه … بياء وإلا فهو يكتب بالألف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي … تعداه والمهموز في ذلك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه. ثم عوّذه وفدّاه. ثم قال هلم يا قعقاع. يا باقعة البقاع. فأقبل فتى أخشن من زار القرى. في عين ابن السُّرى. فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد. لتصدع أكباد الأضداد. فاهتز لقوله واهتش. ثم أنشد بصوت أجش.

أيها السائلي عن الضاد والظا … ء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمع … ها سماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والإظلام … والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم … والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم … والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظى والنظير والظئر … والجاحظ والناظرون والإيقاظ
والتشظي والظلف والعظم … والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والأظافير والمظفر والمحظور … والحافظون والإحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنة … والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والكظة والانتظار … والمواظب والإلظاظ

وَوَظِيفٌ وظَالِعٌ وعَظِيمٌ وظَهِيرٌ والحَظُّ والإغلاظُ
ونَظِيفٌ والظَّرْفُ والظَّلْفُ الظَّا هِرُ ثم الفَظِيعُ والوُعَّاظُ
وعُكَاظٌ والظَّعْنُ والمَظُّ والحَنْظَلُ والقَارِظَانِ والاوشَاظُ

المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو النبات المدبوغ به والاوشاظ الاخلاط و الحثالات

وظِرَابُ الظِّرَانِ والشَّظَفُ البَاهِظُ والجِعْظَرِيُّ والجَوَّاظُ

الظراب الربى الصغار واحدتها ظرب والظران الحجارة المحددة واحدتها ظرر والشظف البؤس وسوء العيش والجعظري المنتفخ (المتبجح) بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الاكول والمختال

والظَّرَابِينُ والحَنَاظِبُ والعُنْظُبُ ثم الظَّيَّانُ والأرْعَاظُ

الظرابين جمع ظربان وهي دويبة لا يطاق فسوها ويجمع ايضا على ظرابي بحذف النون وعلى ظربى ولم يجئ الجمع على فعلى الا هذا وحجلى جمع حجل والحناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد والظيان ياسمين البر والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم

والشَّنَاظِي والدِّلْظُ والظَّأْبُ والظِّبْظَابُ والعُنْظُوَانُ والجِعْنَاظُ

الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب الصخب وقد تبدل منه الباء ميما فقيل

الظام

ان الظاب والظام اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت والظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قلبة والجعناظ الاحمق وقيل المتسخط عند الطعام

والشَّنَاظِيرُ والتَّعَاظُلُ والعِظْلِمُ والبَظْرُ بَعْدُ والانعَاظُ

الشناظير جمع شنظير وهو السيئ الخلق والتعاظل تلازم الجراد والكلاب والعظلم الخطمي ويقال الخطمي بالفتح

وهي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو آثارك الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ وقاظوا

قال الشيخ احسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك فوالله انك مع الصبا الغض لاحفظ من الارض واجمع من يوم العرض ولقد ورد ورقتك زلالي وثقفتم ثقيف العوالي فاذكروني في اذكاركم واشكروا لي ولا تكفرون قال الحارث بن همام فعجبت لما ابدى من براعته معجونة برقاعة واظهر من حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل بصري يصعد فيه ويصوب وينقر عنه وينقب وهو كمن ينظر في ظلماء او يسري في بهماء فلما استرابت تنبهي واستبان تدلهي حملق الي وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فبهت لفحوى كلامه ووجدته ابا زيد عند ابتسامه

وأخذت ألومه على تدير بقعة النوكى. وتخير حرفة الحمقى. فكأن وجهه أسف رمادا. أو أشرب سوادا. إلا أنه أنشد وما تمادى

تخيرت حمص وهذي الصناعة	لأرزق حظوة أهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع	ولا يوطن المال إلا بقاعه
ولا لأخي اللب من دهره	سوى ما لعير ربيط بقاعة

ثم قال أما إن التعليم أشرف صناعة. وأربح بضاعة. وأنجح شفاعة. وأفضل براعة. وصاحبه ذو إمرة مطاعة. ورعية مطواعة. وهيبة مشاعة. يتسيطر تسيطر أمير. ويرتب ترتيب وزير. ويتحكم تحكم قدير. ويتشبه بذي ملك كبير. لولا أنه يخرف في أمد يسير. ويتسم بحمق شهير. ويتقلب بعقل صغير. ولا ينبئك مثل خبير. فقلت له تالله إنك لابن الأيام. وعلم الأعلام. والساحر اللاعب بالأفهام. المذلل له سبل الكلام. ثم لم أزل معتكفا بناديه. ومغترفا من سيل واديه. إلى أن غابت الأيام الغر. ونابت الأحداث الغبر. ففارقته وبي لعيني العبر.

المقامة السابعة والأربعون وتعرف بالحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجت بالحجامة. وأنا بحجر اليمامة.

فأرشدت إلى شيخ يحجم بلطافة. ويسفر عن نظافة. فبعثت غلامي لإحضاره. وأرصدت نفسي لانتظاره. فأبطأ بعد ما انطلق. حتى خلته قد أبق. أو ركب طبقا عن طبق. ثم عاد عود المخفق مسعاه. الكل على مولاه. فقلت له ويحك أبطؤ فند. وصلود زند. فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين. وفي حرب كحرب حنين. فعفت أن أمشي إلى حجام. وحرت بين إقدام وإحجام. ثم رأيت أن لا تعنيف على من أتى الكنيف. فلما شهدت موسمه. وشاهدت ميسمه. رأيت شيخا هيئته نظيفة. وحركته خفيفة. وعليه من النظارة أطواق. ومن الزحام طباق. وبين يديه فتى كالصمصامة. متهدف للحجامة. والشيخ يقول له أراك قد أبرزت رأسك قبل أن تبرز قرطاسك. ووليتني قذالك. ولم تقل لي ذا لك. ولست ممن يبيع نقدا بدين. ولا يطلب أثرا بعد عين. فإن أنت رضخت بالعين. حجمت بالأخدعين. وإن كنت ترى الشح أولى. وخزن الفلس في النفس أحلى. فاقرأ عبس وتولى. واعزب عني وإلا. فقال الفتى والذي حرم صوغ المين. كما حرم صيد الحرمين. إني لأفلس من ابن يومين. فثق بسيل تلعتي. وأنظرني إلى ساعتي.

فقال الشيخ ويحك انك مثل الوعد . كغرس العود . هو بين ان يدركه العطب . او يدرك منه الرطب . فما يدريني أحصل من عودك جنى . أم احصل منه على ضنى . ثم ما الثقة بانك حين تبتعد . ستفي بما تعد . وقد صار الغدر كالتحجيل . في حلية هذا الجيل . فأرحني بدرهم التعذيب . وارحل الى حيث يعوي الذيب . فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه . وقال والله ما يحنث بالوعد . غير الخسيس الوغد . ولا يرد غدير الغدر . الا الوضيع القدر . ولو عرفت من انا . لما اسمعتني الخنا . لكنك جهلت فقلت . وحيث وجب ان تسجد قبلت . وما اقبح الغربة والاقلال . واحسن قول من قال .

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن	فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة	فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلي الياقوت جمر غضا	ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال الشيخ يا ويلة ابيك وعولة اهليك . أانت في موقف فخر يظهر . وحسب يشتهر . ام موقف جلد يكشط . وقفا يشرط . وهب انك انت كما ادعيت . أيحصل بذلك حجم قذالك . لا والله ولو ان اباك اناف على عبد مناف . او ان خالك دان عبد المدان . فلا تضرب في حديد بارد . ولا تطلب ما لست له بواجد .

واما اذا

واما اذا باهيت بموجودك . لا بجدودك . وبمحصولك لا باصولك . وبصفاتك لا برفاتك . وباعلاقك لا باعراقك . ولا تطع الطمع فيذلك . ولا تتبع الهوى فيضلك . ولله القائل الابن .

بني استقم فالعود تنمى عروقه	قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى	اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق	الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى	على من الى الحر انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا	زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ	اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى ولم تر ذا نهى	شكا بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظار يا للعجيبة . والطرفة الغريبة . انف في السماء واست في الماء . ولفظ كالصهباء . وفعل كالحصباء . ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط . وغيظ مستشيط . وقال افك من صواغ بالالسنة . رواغ عن الاحسان . تأمر بالبر وتعق عقوق الهر . فان يكن سبب تعنتك . نفاق صنعتك . رماها الله بالكساد .

وافساد الحساد • حتى ترى أفرغ من حجام ساباط • وأضيق رزقا من سم الخياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك شتر الفم وتبيغ الدم حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط • ثقيل الاشتراط • كليل المشراط • كثير المخاط والضراط • قال الراوي فلما تبين الفتى انه يشكو الى غير مصمت • ويزاول استفتاح باب مصمت • أضرب عن رجع الكلام • واحتفز للقيام • وعلم الشيخ انه قد ألام • بما أسمع الغلام • فجنح لسلمه • وبذل أن يزيغ عن الحجمة • وأن لا يبتغي أجرا على حجمه • وأبى الغلام الا المشي بدائه • والهرب من لقائه • وما زال في حجاج وسباب • ولزاز وجذاب • الى ان ضج الفتى من الشقاق • وتلا دونه سورة الانشقاق • فأعول حينئذ لو فارق خسره • وانحطاط عرضه وطمره • وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته • ويغتض من عبراته • وهو لا يصغي الى اعتذاره • ولا يقصر عن استعباره • الى ان قال له فداك عمك • وعداك من يغمك • أما تسأم الاعوال • أما تعرف الاحتمال • ألم تسمع من قال • وأخذ بقول من قال •

أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه ... من نار غيظك واصفح ان جنى جان

فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جان

فقال الغلام أما انك لو ظهرت على عيش المنكد • لعذرت في دمعي المنهمر • ولكن هان على الاملس ما لاقى الدبر • ثم كأنه نزع الى الاستحياء • فأقلع عن البكاء • وفاء الى الارعواء • وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت • فارقع ما أوهيت • فقال هيهات شغلت شعابي جدواي • فشم بارق سواي • ثم انه نهض يستقري الصفوف • ويستجدي الوقوف • وينشد في ضمن ما يطوف •

أقسم بالبيت الحرام الذي …	تهوي اليه الزمر المحرمة
لو ان عندي قوت يوم لما	مستت يدي المشراط والمحجمة
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل	تسمو الى المجد بهذي السمة
ولا اشتكى هذا الفتى غلطة	مني ولا شاكته مني حمة
لكن صروف الدهر غادرتني	كخابط في الليلة المظلمة
واضطرني الفقر الى موقف	من دونه خوض اللظى المضرمة
فهل فتى تدركه رقة	علي أو تعطفه مرحمة

قال الحارث بن همام فكنت أول من أوى لبلواه • ورق لشكواه • فنفحته بدرهمين • وقلت لا كانا ولو كان ذا مين • فابتهج بباكورة جناه • وتهلل بهطل الغناه • ولم تزل الدراهم تنهال عليه من كل يد • وتنثال اليه بلا عد • حتى آل ذا عيشة خضراء • وحقيبة نجلاء • فازدهاه الفرح عند ذلك •

وهنا نفسه هنالك. وقال للغلام هذا ربع أنت بذره. وحالب شطره. فهلم لنقتسم ولا تحتشم. فتقاسماه بينهما شق الأبلمة. وغضنا متفقي الكلمة. ولما انتظم عقد الاصطلاح. وهم الشيخ بالرواح. قلت له قد تبوغ دمي. ونقلت إليك قدمي. فهل لك في أن تحجبني. وتكفكف ما أهمني. فصوب طرفه في وصعد. ثم ازدلف إلي وأنشد

أرعى بأرض الخصب بعد المحل ... بآيه يا مهجة قلبي قل لي

كيف رأيت خدعتي وختلي ... وما جرى بيني وبين سخلي

حتى انثنيت فائزا بالخصل ... أرعى بأرض الخصب بعد المحل

بآيه يا مهجة قلبي قل لي ... هل أبصرت عيناك قط مثلي

يفتح بالرقية كل قفل ... ويسبي السحر كل عقل

ويمجن الجد بماء الهزل ... إن يكن الإسكندري قبلي

فالطل قد يبدو أمام الوبل ... والفضل للوابل لا للطل

قال فبهتتني أحجوزته عليه. وأرتني أنه شيخنا المشار إليه. فقرعته على الابتذال. والالتحاق بالأرذال. وأعرض عما سمع. ولم يبال بما قرع. وقال

كل الحذاء

كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع. ثم قاصاني مقاصاة المهادن. فانطلق هو وابنه كفرسي رهان. قال الرئيس الإمام أبو محمد القسم بن علي قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب. وما أنا أفسر منها ما أخاله يلتبس على مقتبس أما قوله بطؤ قبسه فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص. وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا. فقصد مصر وأقام بها سنة ثم جاء بالمبعثة يشتد ومعه جمر فتبدد فقال تعست العجلة. وأما ذات النحيين فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الأنصاري ليبتاع منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها فأخذته بإحدى يديها. ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بيدها الأخرى. ثم غشيها وهي لا تقدر على امتناعها ولا دفع عرضها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هنأك. فضرب بها المثل فيمن شغل. وهي في هذا المثل مفعولة لأنها شغلت. وأكثر الأمثال التي تأتي على أفعل من فعل الفاعل. وأما قوله أنف في السماء واست في الماء. يضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا. وأما قوله أفرغ من حجام ساباط. فذكر أنه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجند بدانق نسيئة. وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد. فكان يبرز أمه عند

تمادى غلطته فيجهها لكيلا يقرع بالبطالة. فما زال يجهها حتى نزف دمها
وماتت واما قوله يشكو الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه
ولا يبالي اشتمر ارتحاليه لانه لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام. ومنه قول الراجز
يخاطب جملا له. انك لا تشكو الى مصمت. فاصبر على الحمل الثقيل او مت.
ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر واما قوله تشعبت شعابي جدواي
فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري. والشعاب النواحي واحدها شعب
واما قوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع
ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها واما البعير الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون وتعرف بالحرامية

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي انه قال ما زلت مذ رحلت عنسي.
وارتحلت عن عرسي وغرسي. احن الى عيان البصرة. حنين المظلوم الى
النصرة. لما اجمع عليه ارباب الدراية. واصحاب الرواية. من خصائص معالمها
وعلمائها. ومآثر مشاهدها وشهدائها. واسال الله تعالى ان يوطئني ثراها
لافوز بمراها. وان يمطيني قراها. لاقتري قراها. فلما احلنيها الحظ. وسرح لي فيها اللحظ

شعر

رأيت بها ما يملأ العين قرة ... ويسلي عن الاوطان كل غريب

فغلست في بعض الايام. حين نصل خضاب الظلام. وهتف ابو المنذر
بالنوم. لاخطو في خططها. واقضي الوطر من توسطها. فاداني الاختراق
في مسالكها. والانصلات في سككها. الى محلة موسومة بالاحترام. منسوبة
الى بني حرام. ذات مساجد مشهودة. وحياض مورودة. ومبان
وثيقة. ومغان انيقة. وخصائص اثيرة. ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا ... واخوان تناهوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ... ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ... ومطلع الى تخليص عان
وكم من قارئ فيها وقار ... اضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ... وناد للندى حلو المجاني
ومغنى ما يزال يغن فيه ... اغاريد الغواني والاغاني
فصل ان شئت فيها من يصلي ... واما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها ... او الكاسات منطلق العنان

قال ابو زيد فبينا انا انفض طرقها. واستشف رونقها. اذ لمحت
عند دلوك براح. وظلال الرواح. مسجدا مشتهرا بطرائفه. مزدهرا بطوائفه

فغلست في

وقد اجرى لفظه ذكر حروف البدل. وجروا في حلبة الجدل. فعجبت
نحوهم لاستنباط نبوتهم. لا لاقتباس نحوهم. فلم يكن الا كقبسة العجلان.
حتى ارتفعت الاصوات بالاذان. ثم ردف التأذين بروز الامام. فاغمدت
ظبى الكلام. وحلت الحبى للقيام. وشغلنا بالقنوت. عن استمداد القوت.
وبالسجود. عن استنزال الجود. فلما قضى الفرض. وكاد الجمع ينفض. انبرى
من الجماعة. كهل حلو البراعة. له مع السمت الحسن. ذلاقة اللسن. وفصاحة
الحسن. وقال يا جيرتي. الذين اصطفيتهم على اغصان شجرتي.
وجعلتهم دار هجرتي. واتخذتهم كرشي وعيبتي. واعددتهم
لمحضري وغيبتي. اما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخرة.
وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة. وان الدين امحاض النصيحة.
والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة. وان المستشار مؤتمن. والمسترشد
بالنصح قمن. وان اخاك هو الذي عذلك. لا الذي عذرك. وصديقك
من صدقك. لا من صدّقك. فقال له الحاضرون ايها الخل الودود.
والخدن المودود. ما سر كلامك الملغز. وما شرح خطابك الموجز. وما الذي
تبغيه منا لننجز ولو اعجز. فوالذي حبانا بمحبتك. وجعلنا صفوة احبتك

ما نالوك نصحا

ما نالوك نصحا. ولا ندخر عنك نضحا. فقال جزيتم خيرا. ووقيتم ضيرا.
فانكم ممن لا يشقى بهم جليس. ولا يصدر عنهم تلبيس. ولا يخيب فيهم مظنون.
ولا يطوى دونهم مكنون. وسأبثكم ما حل في صدري. واستفتيكم
فيما عيل له صبري. اعلموا اني كنت عند صلود الزند وصدود الجد.
اخلصت مع الله تعالى نية العقد. واعطيته صفقة العهد.
على ان لا اسبأ مداما. ولا اعاقر ندامى. ولا احتسي قهوة. ولا
اكتسي نشوة. فسولت لي نفسي المضلة. وشهوتي المزلة. ان
نادمت الابطال. وعاطيت الارطال والانطال. واضعت الوقار
وارتضعت العقار. وامتطيت مطا الكميت. وتناسيت التوبة كالميت.
ثم لم اقنع بهاتيكم المرة. في طاعة ابي مرة. حتى عكفت على الخندريس
في يوم الخميس. وبت صريع الصهباء. في ليلة الغراء. وها انا بادي
الكآبة. لرفض الانابة. نامي الندامة. لوصل المدامة. شديد الاشفاق
لترك (لنقض) الميثاق. ومعترف بالاسراف في عب السلاف. فيا قوم
هل من حيلة تعرفونها تباعدني من ذنبي. وتدنيني من ربي. قال ابو زيد
فلما حل انشوطة نفثه. وقضى الوطر من اشتكاء بثه. ناجتني نفسي

يا أبا زيد هذه نُغرة صيد، فشمّر عن يد وأيد. فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم، وانخرطت من الصف انخراط السهم، وقلت:

أيها الأورع الذي … فاق مجدا وسؤددا
والذي يبتغي الرشا … د لينجو به غدا
إن عندي علاج ما … بت منه مسهدا
فاستمعها عجيبة … غادرتني ملدّدا
أنا من ساكني سروج … ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها … ومطاعا مسوّدا
منزلي مألف الضيوف … وما لي لهم سدى
أشتري الحمد باللهى … وأقي العرض بالجدى
لا أبالي بمنفس … طاح في البذل والندى
أوقد النار باليفاع … إذا الليل أخمدا
ويراني المؤملون … ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي قصيد … فأنثني يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس … قدح زندي فأصلدا

طال ما ساعد الزمان … وأضحت مسعدا
فقضى الله أن يغير … ما كان عوّدا
بوّأ الروم أرضنا … بعد ضغن تولّدا
فاستباحوا حريم من … صاد فوقه موجدا
وحووا كل ما انتشر … بها لي وما بدا
فتطوحت في البلاد … طريدا مشرّدا
أجتدي الناس بعدما … كنت من قبل مجتدى
وترى بي خصاصة … أتمنى لها الردى
والبلاء الذي به … شمل أنسي تبددا
أن سبوا ابنتي التي … أسروا بالتقدي
فاستبن محنتي ومد … إلى نصرتي يدا
وأجرني من الزمان … فقد جار واعتدى
وأعنّي على فكاك … ابنتي من يد العدى
فبذا تمتحي المآثم … عمّن تمرّدا
وبه تقبل الإنابة … ممّن تزهّدا

وهو كفارة لمن زا | غ بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا | فلقد قمت مرشدا
فاقبل النصح والهداية | واشكر لمن هدى
واسمح الآن بالذي | يتسنى لتحمدا

قال ابو زيد فلما اتممت هذرمتي • واوهم المسئول صدق كلمتي • اغراه القوم الى الكرم بمواساتي • ورغبه الكلف بتحمل الكلف في مقاساتي • فرضخ لي على الحافرة • ونفح لي بالصرة الوافرة • فانقلبت الى وكري • فرحا بنجح مكري • قد حصلت من صوغ المكيدة • على سوغ الثريدة • ووصلت من حوك القصيدة • الى لوك العصيدة قال الحارث ابن همام فقلت له سبحان من ابدعك • فما اعظم خدعك • فاستغرق في الضحك ثم انشد غير مرتاب •

عش بالخداع فانت في دهر | بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى | تستدير رحى المعيشة
وصد النسور فان تعذر | صيدها فاقنع بريشة
واجن الثمار فان تفتك | فرض نفسك بالحشيشة

وارح فؤادك ان نبا | دهر من الفكر المطيشة
فتغاير الاحداث يؤ | ذن باستحالة كل عيشة

المقامة التاسعة والاربعون وتعرف بالساسانية

حكى الحارث بن همام • قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة • وابتزه قيد الهرم النهضة • احضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه • وقال يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء • واكتحالي بمرود الفناء • وانت بحمد الله ولي عهدي • وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي • ومثلك لا تقرع له العصا • ولا ينبه بطرق الحصا • ولكن قد ندب الى الادكار • وجعل صيقلا للافكار • واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط • ولا يعقوب الاسباط • فاحفظ وصيتي • وجانب معصيتي • واحذ مثالي • واقتف امثالي • فانك ان استرشدت بنصحي • واقتبست بصبحي • طاب معاشك • وطال انتعاشك • وامرع خانك • وارتفع دخانك • وان تناسيت سورتي • ونبذت مشورتي • قل رمادا فيك • وزهد اهلك وهطك فيك • يا بني اني جربت حقايق الامور • وبلوت تصاريف الدهور • فرايت المرء

بتشبيبه لا بنسبه، والفحص عن مكسبه لا عن حسبه، وكنت سمعت أن المعاش
إمارة، وتجارة، وزراعة، وصناعة، فمارست هذه الأربع لأنظر أيها
أرفق وأنفع، فما أحمدت منها معيشة، ولا استرغدت فيها عيشة،
أما فرص الولايات، وخلس الإمارات، فكأضغاث الأحلام، والفيء المنتسخ بالظلام
وناهيك بها غصة تمر وجداً بمرارة الفطام، وأما بضائع التجارات، فعرضة
للمخاطرات، وطعمة للغارات، وما أشبهها بالطيور الطيارات،
وأما اتخاذ الضياع، والتصدي للازدراع، فمتعبة للأعراض، وقيود عائقة
عن الارتكاض، وقلما خلا ربهما من إذلال، أو رزق روح بال، وأما حرف
أولي الصناعات، فغير فاضلة عن الأقوات، ولا نافقة في جميع الأوقات، ومعظمها
معصوب بشبيبة الحياة، ولم أر ما هو بارد المغنم، لذيذ المطعم، وافي المكسب،
صافي المشرب، إلا الحرفة التي وضع ساسان أساسها، ونوع أجناسها،
وأضرم في الخافقين نارها، وأوضح لبني غبراء منارها، فشهدت
وقائعها معلماً، واخترت سيماها ميسماً، إذ كانت المتجر الذي لا يبور،
والمنهل الذي لا يغور، والمصباح الذي يعشو إليه الجمهور، ويستصبح به
العمي والعور، وكان أهلها أعز قبيل، وأسعد جيل، لا يرهقهم بخس حيف،

ولا يقلقهم

ولا يقلقهم سل سيف، ولا يخشون حمة لاسع، ولا يدينون لدان ولا
شاسع، ولا يرهبون من برق ورعد، ولا يحفلون بمن قام وقعد، أنديتهم
منزهة، وقلوبهم مرفهة، وطعمهم معجلة، وأوقاتهم غر محجلة، أينما
سقطوا لقطوا، وحيثما انخرطوا خرطوا، لا يتخذون أوطاناً، ولا يتقون سلطاناً،
ولا يمتازون عمن تغدو خماصاً وتروح بطاناً، فقال الابن: يا أبت لقد
صدقت فيما نطقت، ولكنك رتقت وما فتقت، فبين لي كيف
أقتطف، ومن أين يؤكل الكتف، فقال: يا بني إن الارتكاض بابها،
والنشاط جلبابها، والفطنة مصباحها، والقحة سلاحها، كن أجول
من قطرب، وأسرى من جندب، وأنشط من ظبي مقمر، وأسطى من ذئب
متنمر، واقدح زند جدك بجدك، واقرع باب رزقك بكدك، وجب
كل فج، وخض كل لج، وانتجع كل روض، وألق دلوك في كل حوض،
ولا تسأم الطلب، ولا تمل الدأب، وقد كان مكتوباً على عصا شيخنا
ساسان: من طلب جلب، ومن جال نال، وإياك والكسل فإنه عنوان
النحوس، ولبوس ذوي البوس، ومفتاح المتربة، ولقاح المتعبة، وشيمة
العجزة الجهلة، وشنشنة الوكلة التكلة، وما اشتار العسل من اختار الكسل

ولا ملأ الراحة، من استوطأ الراحة، وعليك بالإقدام ولو على الضرغام،
فإن جراءة الجنان، تنطق اللسان، وتطلق العنان، وبها تدرك الحظوة،
وتملك الثروة، كما أن الخور صنو الكسل، ومبطأة العمل، وسبب الفشل،
ومخيبة الأمل، ولهذا قيل في المثل، من جسر أيسر، ومن هاب خاب،
ثم ابرز يا بني في بكور ابن زاج، وجراءة أبي الحارث، وحزامة
أبي قرة، وختل أبي جعدة، وحرص أبي عقبة، ونشاط أبي وثاب،
ومكر أبي الحصين، وصبر أبي أيوب، وتلطف أبي غزوان، وتلون
أبي براقش، واخلب بمصوغ اللسان، واخدع بسحر البيان، وارتد
السوق قبل الجلب، وامتر الضرع قبل الحلب، وسائل الركبان قبل
المنتجع، ودمث لجنبك قبل المضطجع، واشحذ بصيرتك للعيافة،
وأنعم نظرك في القيافة، فإن من صدق توسمه، طال تبسمه، ومن
أخطأت فراسته، أبطأت فريسته، وكن يا بني خفيف الكل،
قليل الدل، راغباً عن العل، قانعاً من الوبل بالطل، وعظم وقع اليسير،
واشكر على النقير، ولا تقنط عند الرد، ولا تستبعد رشح الصلد،
ولا تيأسن من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وإذا

خيرت بين

خيرت بين ذرة منقودة، ودرة موعودة، فمل إلى النقد،
وفضل اليوم على الغد، فإن للتأخير آفات، وللعزائم بدوات،
وللعدات معقبات، وبينها وبين النجح عقبات، وعليك بصبر
أولي العزم، ورفق ذوي الحزم، وجانب خرق المشتط، وتخلق
بالخلق السبط، وقيد الدرهم بالربط، وشب البذل بالضبط، ولا تجعل
يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط، ومتى نبا بك بلد،
أو نابك فيه كمد، فبت منه أملك، وأسرع عنه جملك، فخير البلاد
ما حملك، ولا تستثقلن الرحلة، ولا تستكرهن النقلة، فإن أعلام شرعتنا،
وأشياخ عشيرتنا، أجمعوا على أن الحركة بركة، والطراوة سفتجة،
وزروا على من زعم أن الغربة كربة، والنقلة مثلة، وقالوا هي تعلة
من اقتنع بالرذيلة، ورضي بالحشف وسوء الكيلة، وإذا أزمعت
الاغتراب، وأعددت له العصا والجراب، فتخير الرفيق المسعد،
من قبل أن تنجد أو تصعد، فإن الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق،

خذها إليك وصية ... لم يوصها قبلي أحد
غراء حاوية خلا ... صات المعاني والزبد

نقحتها تنقيح من ... محض النصح واجتهد
فاعمل بها ممتثلاً ... عمل اللبيب اخي الرشد
حتى يقول الناس هذا ... الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت واستقصيت فان اقتديت فواهاً لك وان اعتديت فآهاً منك والله تعالى خليفتي عليك وارجو ان لا تخلف ظني فيك فقال له ابنه يا ابت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك ولقد قلت سدادا وعلمت رشادا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا ولئن مهلت بعدك ولا ذقت فقدك فلاتأدبن بآدابك الحسنة ولاقتدين بآثارك الوضحة حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من اشبه اباه فما ظلم قال الحرث بن همام فاخبرت ان بني ساسان لما سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمن وحفظوها كما يحفظ ام القرآن حتى انهم ليرونها الى الآن اولى ما لقنوه الصبيان وانفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون وتعرف بالبصرية

حكى الحرث بن همام قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره

ولاح علي شعاره وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع من ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت اقصاه ترائى لي ذو اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فابتدرت قصده وتوردت ورده ورجوت ان يكون سقاط عنده ولم ازل انتقل في المراكز واتخطى اللاكز والواكز الى ان جلست تجاهه وحيث امنت اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه فتسرى برؤيته همي وارفضت كتيبة غمي وحين رآني وبصر بمكاني قال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما اضوع رياكم وافضل مزاياكم بلدكم اوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة واوسعها رقعة وامرعها نجعة واقومها قبلة واوسعها دجلة واكثرها انهارا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة البيت والمقام واحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى

لم تدنس ببيوت النيران • ولا اطيف فيه بالاوثان • ولا سجد على ارضه
لغير الرحمن • ذو المشاهد المشهودة • والمساجد المقصودة • والمعالم المشهورة
والمقابر المزورة • والآثار المحمودة • والخطط المحدودة • به تلتقي الفلك و
الركاب • والحيتان والضباب • والحادي والملاح • والقانص والفلاح
والناشب والرامح • والسارح والسابح • وله آية المد الفايض والجزر
الغايض • واما انتم فمن لا تختلف في خصايصهم اثنان • ولا ينكرها
ذو شنآن • دهماؤكم اطوع رعية لسلطان • واشكرهم لاحسان •
وزاهدكم اورع الخليقة • واحسنهم طريقة على الحقيقة • وعالمكم
علامة كل زمان • والحجة في كل اوان • ومنكم من استنبط علم النحو
ووضعه • والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه • وما من فخر الا ولكم فيه اليد
الطولى • والقدح المعلى • الا وانتم به احق واولى • ثم انكم اكثر اهل الارض
موذنين • واحسنهم في النسك قوانين • وبكم اقتدي في التعريف
وعرف التسحير في الشهر الشريف • ولكم اذا اقرت المضاجع • وهجع
الهاجع • متذكار يوقظ النايم • ويونس القايم • وما ابتسم ثغر فجر •
ولا بزغ نوره في بر وبحر • الا ولتاذينكم في الاسحار • دوي كدوي

الريح

الريح في البحار • وبهذا صدع عنكم النقل • واخبر النبي صلى الله عليه وسلم
من قبل • وبين ان دويكم في الاسحار كدوي النحل • فشرفا لكم ببشارة
المصطفى • ووا اها لمصركم وان كان قد عفا • ولم يبق منه الا شفا • ثم انه
خزن لسانه • وختم بيانه • حتى حدج بالابصار • وقرف بالاقصار
فتنفس تنفس من قيد للقود • او ضبثت به براثن اسد • ثم قال
اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العلم المعروف • ومن له المعرفة
والمعروف • ومن عرفني فانا ذاك • وشر المعارف من آذاك •
ومن لم تثبت عرفني • فساصدقه صفتي • انا الذي انجدوا تهم •
وايمن واشام • واصحر وابحر • وادلج واسحر • نشأت بسروج
وربيت على السروج • ثم ولجت المضايق • وفتحت المغالق •
وشهدت المعارك • والنت العرايك • واقتدت الشوامس • وارغمت
المعاطس • واذبت الجوامد • وامعت الجلامد • سلوا عني المشارق
والمغارب • والمناسم والغوارب • والمحافل والجحافل • والقبايل
والقنابل • واستوضحوني من نقلة الاخبار • ورواة الاسمار •
وحداة الركبان • وحذاق الكهان • لتعلموا كم فج سلكت • وحجاب هتكت

ومهلكة اقتحمت، وملحمة ألحمت، وكم ألباب خدعت، وبدع ابتدعت، وفرص اختلست، وأسد افترست، وكم محلّق غادرته لقى، وكامن استخرجته بالرقى، وحجر سحرته حتى انصدع، واستنبطت زلاله بالخدع، ولكن فرط ما فرط، والغصن رطيب، والفود غربيب، وبرد الشباب قشيب، فأما الآن فقد استشنّ الأديم، وتأوّد القويم، واستنار الليل البهيم، فليس إلا الندم إن نفع، وترقيع الخرق الذي قد اتسع، وكنت قد رويت في الآثار المستندة، والأخبار المعتمدة، أن لله تعالى في كل يوم نظرة، وأن سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الأدعية، فقصدتكم أنضي الرواحل، وأطوي المراحل، حتى قمت هذا المقام فيكم، ولا منّ لي عليكم، إذ ما سعيت إلا في حاجتي، ولا تعبت إلا لراحتي، ولست أبغي أعطيتكم، بل أستدعي أدعيتكم، ولا أسألكم أموالكم، بل أستنزل سؤالكم، فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب، والإعداد للمآب، فإنه رفيع الدرجات، ومجيب الدعوات، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ثم أنشد

أستغفر الله من ذنوب ... أفرطت فيهن واعتديت

كم خضت

كم خضت بحر الضلال جهلا ... وخضت في الغي واغتديت

وكم خلعت العذار ركضا ... إلى المعاصي وما ونيت

وكم أطعت الهوى اغترارا ... واحتلت واغتلت وافتريت

وكم تناهيت في التخطي ... إلى الخطايا وما انتهيت

فليتني كنت قبل هذا ... نسيا ولم أجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير ... من المساعي التي سعيت

يا رب عفوا فأنت أهل ... للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمدّه بالدعاء، وهو يقلّب وجهه إلى السماء، إلى أن دمعت أجفانه، وبدا رجفانه، فصاح الله أكبر، بانت أمارة الاستجابة، وانجابت غشاوة الاسترابة، فجزيتم يا أهل البصرة، جزاء من هدى من الحيرة، فلم يبق في القوم إلا من سرّ بسروره، ورضخ له بميسوره، فقبل عفو برّهم، وأقبل يهرف في شكرهم، ثم انحدر من الصخرة، يؤم شاطئ البصرة، وأعقبته إلى حيث تخالينا، وأمنّا التجسس والتحسس علينا، فقلت له لقد أغربت في هذه النوبة،

فما رأيك في التوبة • فقال أقسم بعلام الخفيات • وغفار الخطيئات •
إن شأني لعجاب • وإن دعاء قومك لمجاب • فقلت زدني إفصاحا •
زادك الله صلاحا • فقال وأبيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع •
ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع • فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه •
وويل لمن باتوا يدعون عليه • ثم ودعني وانطلق • وأودعني القلق •
فلم أزل أعاني لأجله الفكر • وأتشوق إلى خبرة ما ذكر • وكلما تنشّيت
خبرة من الركبان • وجوابة البلدان • كنت كمن حاور عجماء • أو نادى صخرة
صماء • إلى أن لقيت بعد تراخي الأمد • وتراقي الكمد • ركبا قافلين من سفر •
فقلت هل من مغربة خبر • فقالوا إن عندنا الخبر الأغرب من العنقاء •
والأعجب من نظر الزرقاء • فسألتهم إيضاح ما قالوا • وأن يكيلوا لي ما اكتالوا •
فحكوا أنهم ألموا بسروج • بعد ما فارقها العلوج • فرأوا أبا زيد المعروف
قد لبس الصوف • وأمّ الصفوف • وصار بها الزاهد الموصوف • فقلت
أتعنون ذا المقامات • فقالوا إنه اليوم ذو الكرامات • فحفزني إليه النزاع • ورأيتها
فرصة لا تضاع • فارتحلت رحلة المغذ • وسرت نحوه سير المجد • حتى
حللت بمسجده • وقرارة متعبده • فإذا هو قد نبذ صحبة أصحابه • وانتصب

محرابه

في محرابه • وهو ذو عباءة مخلولة • وشملة موصولة • فهبته مهابة من ولج
على الأسود • وألفيته ممن سيماهم في وجوههم من أثر السجود •
ولما فرغ من سبحته • حياني بمسبحته • من غير أن نغم بحديث • ولا
استخبر عن قديم ولا حديث • ثم أقبل على أوراده • وتركني أعجب
من اجتهاده • وأغبط من يهدي الله من عباده • ولم يزل في قنوت
وخشوع • وسجود وركوع • وإخبات وخضوع • إلى أن أكمل إقامة الخمس •
وصار اليوم أمس • فحينئذ انكفأ بي إلى بيته • وأسهمني في قرصه
وزيته • ثم نهض إلى مصلاه • وتخلا بمناجات مولاه • حتى إذا لاح
سنا الفجر • وانقلب المتهجد بذخيرة الأجر • عقب تهجده بالتسبيح
ثم اضطجع ضجعة المستريح • وجعل يرجع بصوت فصيح •

خل ادكار الأربع • والمعهد المرتبع
والظاعن المودع • وعد عنه ودع
واندب زمانا سلفا • سودت فيه صحفا
ولم تزل معتكفا • على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها • مآثما أبدعتها
لشهوة أطعتها • في مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها • في خزية أحدثتها
وتوبة نكثتها • لملعب ومرتع
وكم تجرأت على • رب السموات العلى
ولم تراقبه ولا • صدقت فيما تدعي

وكم غمطت بره • وكم أمنت مكره • وكم نبذت أمره • نبذ الحذا المرقع

وكم ركضت في اللعب • وفهت عمدا بالكذب • ولم تراع ما يجب • من عهده المتبع

فالبس شعار الندم • واسكب شآبيب الدم • قبل زوال القدم • وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف • ولذ ملاذ المقترف • واعص هواك وانحرف • عنه انحراف المقلع

إلام تسهو وتني • ومعظم العمر فني • فيما يضر المقتني • ولست بالمرتدع

أما ترى الشيب وخط • وخط في الرأس خطط • ومن يلح وخط الشمط • بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي • على ارتياد المخلص • وطاوعي وأخلصي • واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى • من القرون وانقضى • واخشي مفاجاة القضا • وحاذري أن تخدعي

وانتهجي سبل الهدى • وادكري وشك الردى • وأن مثواك غدا • في قعر لحد بلقع

آها له بيت البلا • والمنزل القفر الخلا • ومورد السفر الألى • واللاحق المتبع

بيت يرى من أودعه • قد ضمه واستودعه • بعد الفضاء والسعة • قيد ثلاث أذرع

لا فرق أن يحله • داهية أو أبله • أو معسر أو من له • ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي • يحوي الحيي والبذي • والمبتدي والمحتذي • ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي • وربح عبد قد وقي • سوء الحساب الموبق • وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى • ومن تعدى وطغى • وشب نيران الوغا • لمطعم أو مطمع

يامن عليه

يا من عليه المتكل • قد زاد ما بي من وجل • لما اجترحت من زلل • في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم • وارحم بكاه المنسجم • فأنت أولى من رحم • وخير مدعو دعي

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق • ويصلها بزفير وشهيق • حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل أبكي عليه • ثم برز إلى مسجده • بوضوء تهجده • فانطلقت ردفه • وصليت مع من يصلي خلفه • ولما انفض من حضر • وتفرقوا شغر بغر • أخذ يهيمن بدرسه • ويسبك يومه في قالب أمسه • وفي ضمن ذلك يبز أرباب الرقوب • ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت أنه قد التحق بالأفراد • وأشرب قلبه هوى الانفراد • فأخطرت بقلبي عزمة الارتحال • وتخليته والتخلي بتلك الحال • فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت • فزفر زفير الأواه • ثم قرأ وإذا عزمت فتوكل على الله • فاستجلت عند ذلك تصديق المحدثين • وتيقنت أن في الأمة محدثين • ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح • وقلت له أوصني أيها العبد الصالح • فقال اجعل الموت نصب عينك • وهذا فراق بيني وبينك • فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي • وزفراتي يتصعدن من التراقي • وكانت هذه

خاتمة الكتاب قال الشيخ الامام الرئيس ابو محمد القسم بن علي رحمه الله تعالى

هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار، وأمليتها بلسان الاضطرار، وانا قد الجئت الى ان ارصدتها للاستعراض، ونادبت عليها في سوق الاعتراض، هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع، ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع، ولو عضدني نور التوفيق، ونظرت لنفسي نظر الشفيق، لسترت عواري الذي لم يزل مستورا، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا، وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو، واسترشده ما يعصم من السهو، ويحظي العفو، انه اهل التقوى واهل المغفرة، وولي الخيرات في الدنيا والآخرة، الحمد لله تعالى رافع السموات نجز زبر المقامات

في اواسط شهر ذي الحجة المبارك من شهور سنة سبع وعشرة بعد مائة والف من هجرة من انزل

الظاهر سبع عشرة بلا واو ملفوظة

عليه القرآن حرفا بعد حرف على يد العبد الفقير الى عفو ربه العليم القدير
لعله الشهير بخوجه اغفر ذنوبه وستر عيوبه بحق نبيه حبيبه و
حميت عن البأساء وكان وقتئذ
مدرسا بالمدرسة المرادية بها بلك
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه
اجمعين

باسمه سبحانه ونسأل الختام

الاولى ان يقول بان الرسالتان

هذان الرسالتان السينية والشينية للشيخ الهمام ابي محمد القسم بن علي الحريري ايضا رحمه الله تعالى

الرسالة السينية، باسم القدوس استفتح، وباسعاده استنجح

سيرة سيدنا الرئيس الاسفهسلار السيد النفيس، سيد الرؤساء، سيف السلطان، حرست نفسه، واستنارت شمسه، وبسق غرسه، واتسق انسه، استمالة الجليس، ومساهمة الانيس، ومساعدة الكبير والسليب، ومواساة السحيق والنسيب، والسياسة تستدعي استدامة السنن، واستحفاظ الرسم الحسن، وسمعت بالأمس تدارس الالسن سلافة خندريسه، وسلسالا كؤوسه، ومحاسن مجلس مسرته، واحسان مسمعة ستارته، فاستسلفت السرآء، وتوسمت الاستدعاء، وسوفت نفسي بالاحتساء، وآنسته موانسة الجلساء، وجلست استقري السبل، واستطلع الرسل، واستبعد تناسيّ، واسام الوساوس لاستحالة تسميّ نظم

وسيف السلاطين مستأثر ... بأنس السماع وحسو الكؤوس
سلافي وليس لباس السرو ... يناسب حسن سمات النفيس

وسن تناسي حب الأنيس / واسد السجايا ثنا الجليس
وسر حسودي بطمس الرسوم / وطمس الرسوم كرمس النفوس
وانكرني حسرة أن سرض / لقسوة سكرة الخندريس
وساقي الحسام بكأس السلاف / داء همني بعبوس وبؤس
ساكسوه لبسة مستعتب / والبس سربال سال الخسيس
واسطر سيئاته سيرة / تسير أساطيرها كالبسوس

وحسبنا السلام • وسلام الرسول إلى الأنام

الرسالة الشينية التي كتبها رحمه الله إلى بعض مشايخ الشعراء في عصره

بإرشاد المنشي أنشئ

شغفني الشيخ شمس الشعراء • ريش معاشه • وفشا رياشه • وأشرق شهابه • وأعشوشب شعابه • يشاكل شغف المنتشي بالنشوة • والمرتشي بالرشوة • والشاكر بشرخ الشباب • والعطشان بشيم الشراب • وشكري لنجشيه وشفقته • وتوهد اشتقته • يشاكل شكر الناشد للمنشد • والمسترشد للمرشد • والمستشعر للمبشر • والمستجيش للجيش المتشيم • وشعاري إنشاد شعره • وإشاعة المكاشر والكاشح

بشره

بشره • وشغلي إشاعته وشايعه • وتشييد شوافعه • والإشادة بشذوره وشنوفه • والمشورة بتشفيعه وتشريفه • وأشهد شهادة الشيخ الكاشف • والمقشر المكاشف • لا نشاقه يدهش الشاب والنشي • ويلاشي شعر الناشي • والمشافهة بتباشير الرشد • واستشيار الشهد • والمشاحة تشقي المشاحن • وتنشر المشاين • والمشاغبة تشظي الأشطان • وتشيط الشيطان • فشرفا للشيخ شرفا • وشغفا بتشنيته شغفا

نظم

فأشعاره مشهورة وشاعره / وعشرته مشكورة وعشائره
شأى الشعراء المشمعلين شعره / فشانيه محشو الحشا ومشاعره
وشوه ترقيش المرقش رقشه / فأشياعه يشكونه ومعاشره
وشان الشباب الشم والشيب وشيه / فمنشوره بشرى المشوق وناشره
شمائله معشوقة كشموله / وشربيه مستبشر ومعاشره
شكور ومشكور وحشو مشاشه / شهامة شمير يطيش مشاجره
شفاشعه مخشية وشباته / شبا مشرفي جاش بالشر شاهره
شجي بالأناشيد النشاوى وشفهم / فمشغفه مستشغف وشاكره
ويشدو فيهتش الشحيح لشدوه / ويشغفه إنشاده فيشاطره

تجشّم غشياني وشرّد وحشتي ... شانشد شعر أيشي شمسه
وبشّر بشراه بشير أباشره ... وأشكره شكراً يشيع بشائره

واستشهد شاهد الأشياء، ومشبع الأحشاء، ليشعلن شواظ اشتياقي شحطه، وليشعثن شمل تشاطي نشطه، فأنشدت الشيخ أيشعر باستيحاشي لشسوعه، واجهاشي لتشييعه، ووشايتي بتشييعه الموشى، وتشكّي شخصه بالإشراق والعشي، فحاشاه حاشاه تغشيه شبهه وتغشاه، فليستشف شرح شجوي لشطونه، ومشاركتي لشجونه، واشتغالي بتمشية شؤونه، ليتشدد جأشي، ويشارق انكماشي، عاش منتعش الحشا، مستشري البشاشة، مشحوذ الشفار، منتشر الشرار، شمّاتاً للأشرار، شحّاذاً بالأشعار، يترشح ويحوش ويقنفش المنقوش، بمشيئة الشديد البطش، الشامخ العرش، وتشفيع بشير البشر، وشفيع المحشر.

تمت الرسالتان السينية والشينية التي أنشأها الشيخ الإمام والبحر القمقام قاسم بن علي الحريري صاحب المقامات رحمه الله تعالى.

ومشبع الأحشاء

اللهم يا من بيده الأمور يسر لنا كل معسور

يقول الفقير إلى رحمة ربه الصمد، ضعيف الورى أحمد الرومي موطناً، المنتمي مولاه إلى الشهير بين أهل الوفاء والوفاق، بخواجه أخي، لما قرأ علي بعض المتوقدين المستعدين المقامات التي سمح بها الشيخ الهمام قاسم بن علي الحريري، تغمده الله تعالى بغفرانه، وأسكنه بحابح جنانه، وساقنا سائق التوفيق، حتى وصلنا في أثناء الدرس على وجه الإمعان والتحقيق إلى المقامة الكرجية التي تحوي كافات الشتاء المنقولة عن ابن سكرة، وكنت قد ألفيت من قبل معارضة بعض أرباب الأدب إياها بتقليل كافات الشتاء وتكثيرها، خلج في خلدي أن أصلي هؤلاء المجلين في مضمار المقابلة، تشحيذاً للخاطر الفاتر، فكتبت بعناية الفياض القادر قصيدة عربية سهلة المأخذ، وأوضحت ما عسى يستشكله بعض الطلاب بلسان فارسية، والله مسهل معضلات الأمور، وهو عليم بذات الصدور.

وهي هذه

أيا مصرود قرّ قرّة العين ... كاف الكيس إن الكيس كاف
وكاف الكيمياء كاف كيس ... وقلب الكيس يا كيس صاف
إذا ملكته في يوم صفو آن ... فعيشك ناعم غض وواف
فصمّ السمع عن قول ابن سكرة ... وما للكيس قط من كفاف

تيقظ واطلبن كيسا مليئا … مرافقه لك ليست بخاف
سمير القلب يغبطه القصاريت … شقيق الروح للادجاج شاف
وملؤ الكاس بالكيس اخي التخلي … معاقرة كالسم الذعاف
اذا لاقيت كيسا كف كفه … تراه كفه للاقتراف
به يصطاد حوشي المعايش … سواء ارسب عنه وطاف
كثير نيلها كف الجواد … يفيض الخلق منها باغتراف
ومنها يمتلي من غير كهف … اكف حائري تيه العفاف
ولولاه لما مدح كريم … ولا ليم لئيم ذو اعتساف
ولا قرض نشيد خوزرديف … ولا صيغ قصيد في القوافي
اذا ما فات كافات سواه … فان الكيس اس في الكفاف
متى ما نلته فاصرف رشيدا … فان البر ليس بالتشاف
وفي الفرقان اخوان الشياطين … كفى بالمرء في هجن السراف
ولا تجعله صنما كاللئام … ولا تخباه في كن الشغاف
توسل به لتحصيل الحوايج … فكل وابذل محاويج الضعاف
اذا صرهبا في يوم صرد … ومن الجو ثلج ذو التفاف

يطير في

يطير في الهواء بالتواء … ويهوي كالفراش باختلاف
ويجمد السقف وسط الزمهرير … يرى كالسمهري في الثقاف
او العضب السريجي الذي في … يد البطل المكر في المصاف
ترى حب الغمام في النزول … بريح مزمهر كالنحاف
فشر فردا وفجا ثم جزلا … ومقطوف القباء واللحاف
متى ما تصطلي نارا تذكر … عرايا الترب والرجل الحاف
وكم من معتر لا يسأل النا … س الحافا وظلعه غير خاف
فبادر واسع في دفع شغيفه … وخير البر ما بالازدهاف
وكم ضرم التسويف يبدو … نعم والسوف كم فوت سواف
بكافك فاصلحن كافا عضوه … باضعاف فيكافيك الكافي

ايا عمر الرداء عش هنيئا
وحتف المرء لا ينفك فاف

حماك لا جماك فابذلن … ابيت اللوم فابشر بالتلافي
ويا جعد البنان للا لعالك … لكف كفك خوف التراف
وطارت ام داتيك ايارا … صنع الشتاء واليتامى في ارتشاف

ترى نار الحباحب حين تاري ... كنار الغدر توقد في الشغاف

فعسّ اللميع طاء بما لديه ... الام ليس من مولاه خاف

وإني قد بليت في العمورية
والصن والضبر عاف

بصير يخدم مخ الاساحي ... مكف لف في طي اللفاف

وهزت عزة كافات عضوي ... فخلت انني في الجو هاف

ودجن مكفهر لو خش الله ... وصيرنا فج مثل الزواف

يصب نياله انجا خشيفا ... كسيل تحت ليل بل تجاف

فالجاني بكيس اي كيس ... كابهام القطاة بلا اخلاف

تحيف النسج اسماد اضيق ... من تسعين رفاه شتر ارف

وعلة خاطه ابن المذلق ... يضيق بالفيسات الزياف

فقلبت المالم يبق لي حيلة ... فيه سواه في انتجاف

ورنى زند لفوري كار كير ... قرقار والصبر ضاف

وجنو التبر في البوس كبال ... وعطر معد عرس كالسخاف

وعتريف كلسع ذي صريف ... فلا يصرفه اشقى من صراف

فكاف

فكاف واحد من سبع كافات ... قرن مثل ثالثة الاثافي

ترى الاصباح كبي قيس كيسي
وفي عيني كالقمر النيا

وتخرو بالزنا بيزن نجبه ... كظن فيه ارى متجافي

فحمد اليس صفر ابل كصفر ... ويا لله ساهي عن معن التنافي

وكانوا في غزا الكانون صيبين
كافحوص القطاة في الفيافي

بجزل مقمطر بالفخيم ... قطار اثيه كالطير الصواف

كان الجمر من فرج الجزال ... نضار جوف ارمام الغلاف

اذا ما فت في سطح الرماد ... يرمي كالنجم من خرق الطخاف

كساني المرط كالفرو احتضنني
ستري شملتي ريشي عطافي

متيما شممت اشتمال الصماء ... كنت الكسى من غداف

فهذي جنة للعقر والاكل ... رعندي اليس الله بكاف

وما ما دار بابناء الدمالز

في حانوت حانات السلاف

فيمنا كن من يكنى ابا غرة   في بكر حسن الائتلاف

وباب الكأس فتح الكتاب

كباب الكرم يبنى بالنجاف

فصحف ذا الكتاب بالكتاب   وللعقل الكتاب كالكتاف

وما للكيس للعقعاس دفوء

فضعه تحت طاقات السجاف

جدير ان يسمى شر كيس   فان الكيس بالكيس ينافي

ابا الادلس يا باه الاريب   وللآراب ضرب في القراف

حذار عن قرين السوء يا صاح   ان الطبع كالاسم المضاف

فاثن العطف عن تلك الثلاث   فان الخير عنها في التجافي

وتلك الاربع في الصرد يكفي   وليس المثبتون كالنوافي

توالي الخيل ليست كالطوارد   وما كان القوادم كالخوافي

فعيشك دع غفل وقت الشتاء   بها ان قرنا القحب الولاف

فكأس العلم والظرف تدور   ونفح العرف في جمع الظراف

ومهما خرقها يتضح سعيدا   ويصفو نجمك عن انكساف

فسل توفيق خير من الحك

فان الله يعطي كل عاف

والحمد لله سبحانه
اولا واخرا
وباطنا
وظا
هرا

ولما رماني الدهر القلب من منقلب الى منقلب الى ان قذفني بغداد فيها التعب

من مدينة بروسة المأنوسة • الى دار الخيرة ادرنة المحروسة • والى كرمان • الى ان اشتويت فيها
فالفيت غربة ثشتتها الكالح • وصرد ما النافح • اضعاف ما سوف يلقيه صحاب
النار من اهل النار • وذلك تقدير العزيز القهار • وقد كنت نظمت وقت شدة
ابياتا دريدية ابث فيها شكوى من شتاى • وهي هذه

از بحر اخضر فلک سفله پروری   با کشتی خرد نتوانی که بگذری

کر بالی بازم همت خود در ستون آه   محکم ببند بچه از چرخ چنبری

با چار میخ ناله ستون را کن استوار   در کش مکش میفت ز هر بالجو صرصری

هر موجه اژدهاست کشاده دهان خویش   ترسم که جان خود بسلامت نمی بری

کشتی بساحل آمد خواهد زدن بسنک   ای بو الهوس هنوز تو قید لنکری

بشتاب تا رسی بکناری ای فضول ... کشتی شکست یابد و تو غوطه میخوری

دیهیم خسروان ننماید بچشم تو ... در هر حباب اگر به بصیرت چو بنگری

خواهی که نفکند بخطر باشی بیکبار ... صد بار به ز ملک سلیمان قلندری

خوش وقت آنکسی که ببازار بر کسی ... با چشم در فشان ننماید توانگری

سازد ز آه تیر و ز قامت کمان کند
از بازوی نیاز فلک را نشان کند

جنگ آوری کند بسپهر ستیزه کار ... این با جفا و آن بآه فلک گذار

در سینهٔ فلک که نماید سپید و سرخ ... زخمی بود ز تیر جگر کاف دلفکار

عقاب سیل خون شود چرخ نیل رنگ ... هرگه که در دهند کند دیده اشکبار

بادا خراب خانه ات ای چرخ دون پرست ... بادا رواقت ای فلک سفله تار و مار

با اهل دل بگو که عداوت ترا ز چیست ... با کام سفلگان مدامت بود مدار

اهل هنر ز خوان تو خون جگر خورند ... ای کج عطا نگردی ازین کار شرمسار

در طاس سرنگون تو نقش مراد ... هرگز نه دیده اند و ازانند خوار و زار

در گلستان قدرشناسی تو هنوز ... ناچیده غنچه با جگر گشته پر ز خار

اهل هنر که در ره راحت فشرد پای ... در هر قدم شود بهزار الم دچار

بشنو ز من که من هم ازین قوم برغمم
دل ریش جور چرخ و نادیده مرهمم

من بودم از جهان بعیاشی شهرها ... در ملک آرزو و شه فرمان روان

پیوسته غنچه سان دل خویش شگفته بود ... از خوشدلی همیشه زدم خنده بر جهان

حرفی ز غم بدفتر اوقات من نبود ... رفتم بکوچه های جهان آستین فشان

قیدی نداشتم که رسید چنگ غم بدو ... آزاده را چه ترس ز صد صدمهٔ خزان

فرزین نهادمی بشه چرخ حیله باز ... خود شاه وقت بودم و مغرور کامران

سیمرغ طبع قاف قناعت مکان من ... هرگز ببوی لاشه نجنبید ز آشیان

شبها بفکر قند معانی چو دل فتد ... طوطی ز ملک هند و شکر میشد عیان

با شبچراغ رای من این چرخ تیره روز ... راه روش ندیدی و آنگه شدی دوان

همخنده می نشست غم عالم ببزم من ... در وقت شادتر شدی اندوه شادمان

نقد عزیز عمر گرانمایه شد ز کف
در راه جست و جوی هنر گردش تلف

در خشکسال طفلکش عام انفطام ... شد چشمهای سینهٔ مادر هم احرام

شیرم ز لب رمید و ز دو دیده گرفت پا ... دردا که غنچه ام نیافت انتظام

در میم غم نشانهٔ سین نمو حرف را　　بر نسبت تشخص ناطقه اندر رخ کلام

تا که پدر بسوی دبستان مرا که برد　　یعنی بپای خویش رسیدم به پیش دام

لوحی بزیر سپرد معلم که ای فلان　　اینک ترا برات نجاتی که قیام

در چار سالگی ز الف کردم ابتدا　　میشد ز بار محنت او الف من چو لام

دست معلمی که زدم بوسه ها برو　　سیلی ز قفای من آمد علی الدوام

اول ز تب بتیرم آمد بدل سرور　　آخر ز رب تمم آن لوح شد تمام

شد رهنما بروضهٔ مصحف مرا هجا　　پر شد ز بوی نور حروفش مرا مشام

قرآن کلید قفل دل بسته شد مرا
قرآن بجان خسته دمید آیهٔ شفا

تا این زمان که باسی و پنجم رسید سال　　راه طلب سپردم و جستم در کمال

شد صرف نقد عمر گرانمایه ام بعلم　　گاهی به نحو اکرم زید گهی مقال

گر آگهی ز منطق طرازی سخن شناس　　تقریر میکنم بتو بشنو حدیث حال

فرسودم از کلام معانی پر بدیع　　آسوده ام ز مناظره و محنت سؤال

از هیئت سپهر مقرنس شدم خموش　　باشد وقوف حکمت حق بیگمان محال

کردن ترنمات دل آویز پر اصول　　مرغ دلم بشاخ هنرها بمیثال

با قرعهٔ ملاحظه در تختهٔ دروغ　　رمال عقل من زدی صد هزار فال

از بهر کسب نور معارف بپای سعی　　در شهرها بگشتم شد جسم من هلال

هر معرفت در آخرم افکند در بلا
شد بهر یکی بکوکب من باعث وبال

آخرم افکند سپهر کبود فام
در برزخ بلا که ورا شد دی نام

شهری که شاه دی زده آن جا تختگاه　　زانرو دار السلطنه و دشت هر طرف سپاه

در حیرتم که گاه شتای الم فراش　　کاو زمین بغنود از سرد پر تباه

گر کوه قاف را بمثل آوری بکف　　عینک زنی بدیدهٔ خود ز آفتاب و ماه

از ظلمت ضباب چشم گیر او دمی　　یک ذره را نبینی از آن که بلا اشتباه

برف بیایش که در آید ز آسمان　　پایش ز برف بلغزد و افتد میان راه

پیچیده آفتاب تنش در لحاف ابر　　از سردی هواست که شد روز او سیاه

سرما بغایتیست که لرزان شد آفتاب　　آزر کند ز روزن کانون بدی نگاه

اشک یتیم دی زده گردد در خوشاب　　لیکن بچشم هیمه فروشان بود چو کاه

آه از چنین هوا که در و تاب آه نیست　　از هول دی ز کلبهٔ دل بر نخیزد آه

فریاد ازین هوای شتر گربه صد فغان
افسرده زین دو روی مغز و استخوان

آب دهر که انگیختش برخ شتا تا آب بر زمین بفسرد از جو هوا
کافور و زنجبیل و هوا یک طبع شد ترکشت طبع آتش و افسرده شد چو ما

تا کی بشوک شکوه خراشی درون خویش
ای دل دهان ببند فرو باز در دعا کش

یا مرسل الریاح و یا منشی السحاب یا منزل الثلوج و یا مبدع الضیا
یا عون من تحیر فی البرد و البرد یا غوث من تضرع بالصدق و الصفا
یارب آب دیده ایتام دی زده یارب بآتش علم افراز اغنیا
یارب بسیر چشمی هیزم فروش شهر یارب بلرزش جگر هر برهنه پا
یارب بره روان ز جان گشته ناامید دیر آمده بمنزل و نه هیزمش نه جا

مارا بجوش سینه بنما چهره بهار
مقصود هر کسی بده و کام دل آر

یارب بزیر بار ستم ناتوان شدم رحمی که تیر جور و بلا را نشانه شدم
زهر جگر فکار زمانم ز پا فکند یارب بعنایتی که قوی سست جان شدم

چرخ مقوسم ز کشاکش شکسته پشت یارب حمایتی که ز بدبختی کمان شدم
هرکس ز لطف عام تو خواهد مراد خود من خود خجل ز کرده خود بی زبان شدم
کاری نکرده‌ام که در و نقش طاعتست با یک سبوم تیغ اندر فغان شدم
یارب من آن گدای جگر ریش پر غمم کز دست برد جور زمانه چنان شدم
ای رهنمای گم شده کان فغانی دردمند حیران به تیه پر خطر بیکران شدم
یا ملتجی الوری بگه ناله زار درد خویش در لطف رایگان تو خود بد گمان شدم
آخر مرا ز بذل فیض نی دریغ با چشم مرحمت سوی آن آستان شدم

یارب بآب روی پیمبر دل مرا
شاداب فیض ساز و قبول کن دعا

پیغمبری که مکه ز روی پر صفا شده وز نور طلعتش شه انجم سها شده
یا شافع الامم توئی آن برگزیده کز بهر بوس خاک تو گردون دوتا شده
جاروب راه عزت تو پر جبرئیل در آستان قدر تو شاهان گدا شده
چشم جهان بمیل جهان که کور بود هر ذره خاکپای توش توتیا شده
یا منبع الکرم توئی آن فخر کائنات از شرع راستوار تو لرد دین بپا شده
من آن گدای مفلس عورم که از قدیم چشمم بنور دین مبین تو وا شده

١٧٤

بیت

جرمم ز حد برون و عطات ز عد فزون	چشم کرم فکن تو برین بی‌نوا بنده
هر دم بفکر جرم و جزای سزای او	پیرهنم بدست ندامت قبا شده
کارم بدست معصیت آمد گره گره	انگشت لطف عام تو مشکل‌گشا شده

روز جزا که ابر شفاعت شود پدید
یک قطره دارد از تو دل خواجه‌ش امید

اللهم یا غفار الذنوب و یا کشاف الکروب و یا ستار العیوب ارحم عبدک الفقیر الذی
لا یلوذ الی باب سوی بابک الذی لا یخیب سائله و لا یلتجاء
الی جناب غیر جنابک الذی عم نائله
بمحمد صلی الله تعالی علیه
وسلم و آله ا

[illegible]

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı | Fatih
Yeni Kayıt No |
Eski Kayıt No | 4101